

التَّسْهِيلُ لِلتَّأْوِيلِ النَّزِيلِ
تَفْسِيرٌ

حَرْجُ بَيْتِ لَحْمٍ

فِي سُؤَالٍ وَجَوَابٍ

تَأَلَّفَ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُصْطَفَى بْنُ الْعَدَوِيِّ

مَكْتَبَةُ مَكَّةَ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(يس ١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢) [يس:

س: اذكر معنى ما يلي:

(يَسْ) - الْحَكِيمِ - صِرَاطٍ - مُسْتَقِيمٍ - حَقَّ الْقَوْلُ - أَغْلَلًا - الْأَذْقَانِ - مُقَمَّحُونَ - مِنْ بَيْنِ
أَيْدِيهِمْ - سَدًّا - وَمِنْ خَلْفِهِمْ - فَأَغْشَيْنَاهُمْ - لَا يُبْصِرُونَ - الذِّكْرَ - بِالْغَيْبِ - وَأَجْرٍ
كَرِيمٍ - وَءَاثَرَهُمْ - إِمَامٍ مُبِينٍ ؟

ج:

الكلمة	معناها
(يَسْ)	أحرف مقطعة بُدئت بها بعض السور لا يعلم معناها إلا الله
(الْحَكِيمِ)	المُحْكَم، الذي لا يأتيه الباطل ولا يعتريه التحريف - المتقن
(صِرَاطٍ)	طريق
(مُسْتَقِيمٍ)	لا اعوجاج فيه
(حَقَّ الْقَوْلُ)	وجب عليهم وتحقق فيهم ما كتب الله عليهم
(أَغْلَلًا)	أطواقًا
(الْأَذْقَانِ)	جمع ذقن (وهي الذقن المعروفة للإنسان)
(مُقَمَّحُونَ)	رافعوا أبصارهم مع وجوههم
(مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ)	أمامهم، (وقيل في الدنيا)
(سَدًّا)	حاجزًا
(وَمِنْ خَلْفِهِمْ)	خلفهم (وقيل عن أمر الآخرة)
(فَأَغْشَيْنَاهُمْ)	جعلنا على أبصارهم غشاوة تحجب الرؤيا

لا يرون الحق	(لَا يُبْصِرُونَ)
القرآن	(الذِّكْرَ)
حينما يغيب عن أعين الناس، (وقيل: وهو لا يرى الله كما في الحديث: أن تعبد الله كأنك تراه)	(بِالْغَيْبِ ط)
كبير - حسن وجميل	(وَأَجْرٍ كَرِيمٍ)
قيل: مواضع أقدامهم وآثار خطاهم التي مشوها في الدنيا. وقيل: ما خلفوه وراءهم من سنة حسنة كانت أو سيئة، فاقتدى بهم الناس فيها.	(وَعَاثَرَهُمْ ع)
اللوح المحفوظ، وقيل: كتاب الأعمال الذي كتبت فيه أعمال بني آدم.	(إِمَامٍ مُّبينٍ)



ذكر بعض الوارد في فضل سورة يس وبيان ضعفه

س: هل صح لديكم شيء في فضل سورة يس؟ وما مدى صحة هذه

الأخبار التي أوردتها الحافظ ابن كثير في تفسير هذه السورة المباركة؟

ج: لم يصح لدي خبر في فضل سورة يس أما ما أورده ابن كثير

\$ في تفسير هذه السورة المباركة فلا يثبت منه شيء كذلك.

فحديث أنس:

قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، ومن

قرأ يس كتب الله له بقرعتها قراءة القرآن عشر مرات»^(١).

أخرجه الترمذي، وضعفه بقوله:

(١) الترمذي (٢٨٨٧) وغيره.

ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد بن عبد الرحمن، وهارون أبو محمد شيخ مجهول، وفي الباب عن أبي بكر الصديق ق، ولا يصح لضعف إسناده، وعن أبي هريرة منظور فيه. وما أخرجه أحمد^(١) وغيره من حديث معقل بن يسار ق، أن رسول الله ﷺ قال: «البقرة سنم القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً، واستخرجت (الله لا إله إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ)، من تحت العرش فوصلت بها - أو: فوصلت بسورة البقرة -، ويس قلب القرآن، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة، إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم».

في سنده رجل مُبهم، وكُنِيَ عنه في بعض الطرق بأبي عثمان، وليس بالنهدي، وهو مجهول، وإن كان بعض العلماء قد بنى عليه عملاً، فقال ابن كثير \$:

ولهذا قال بعض العلماء: من خصائص هذه السورة: أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله. وكان قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة، وليسهل عليه خروج الروح، والله أعلم.

قال الإمام أحمد \$: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صفوان قال: كان المشيخة يقولون: إذا قرئت -يعني يس- عند الميت خُفِّف عنه بها. **قلت (مصطفى):** كذا قال الحافظ ابن كثير \$، والمستند الذي استندوا إليه ضعيف كما ترى.

أما ما عزاه ابن كثير إلى أبي بكر البزار حيث قال: حدثنا عبد الرحمن بن الفضل، حدثنا زيد - هو ابن الحباب - حدثنا

(١) أحمد (٢٦/٥)، وأبو داود (٣١٢١) وغيرهما.

حميد- هو المكي، مولى آل علقمة - عن عطاء - هو ابن أبي رباح - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء قلبًا، وقلب القرآن يس».

ثم قال: لا نعلم رواه إلا زيد، عن حميد.

ففي سنده حميد المكي وهو مجهول.

هذا، وثم أخبار آخر في هذا الباب كلها تالفة وضعيفة، بل وأكثرها موضوع^(١).



معنى (يس)

س: اذكر بمزيد من التوسع معنى (يس) مع بيان ما ترونيه راجحًا

منها؟

ج: أقول، وبالله التوفيق، إن المعنى الذي أختاره لقوله تعالى: (يس)

(١) أنها أحرف مقطعة، العلم بها موكول إلى الله ٥، ولأهل العلم أقوال في تفسيرها ذكره الطبري وأورد لكل قول إسناده.

وأذكر ما أورده الطبري ملخصًا:

قال \$: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (يس)، فقال بعضهم:

هو قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله.

وقال آخرون: معناه يا رجل - أو يا إنسان.

(١) ولمزيد من البحث في هذا الصدد. راجع إن شئت الجزء الحديثي الذي أعده أخي الشيخ محمد بن عمرو بن عبد اللطيف رحمه الله رحمة واسعة (حديث قلب القرآن يس)، وجملة مما روي في فضلها ضمن كتابه أحاديث ومرويات في الميزان.

وقال آخرون: هو مفتاح كلامٍ افتتح الله به كلامه.

وقال آخرون: بل هو اسم من أسماء القرآن.

والله تعالى أعلم.



س: وضع معنى قوله: (وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣) عَلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤)؟

ج: هذا قسم أقسم الله ٥ فيه بالقرآن المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أقسم ربنا ٥ على صدق رسوله □ فيما أخبر به من كونه رسول من عند الله ٥ وأقسم الله على أنه (أي: رسول الله) على طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ولا انحراف، طريق موصل إلى جنات النعيم.

قال الطبري \$:

وقوله: (وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢) يقول: والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه، وبيانات حججه (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣) يقول تعالى ذكره مقسماً بوحيه وتنزيله لنبيه محمد □: إنك يا محمد لمن المرسلين بوحى الله إلى عباده.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة (وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ

٣) قسم كما تسمعون (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤).

وقوله: (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤) يقول: على طريق لا اعوجاج فيه من

الهدى وهو الإسلام.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤): أي على

الإسلام.

وفي قوله: (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾) وجهان:

أحدهما: أن يكون معناه: إنك لمن المرسلين على استقامة من الحق، فيكون حينئذ (عَلَى) من قوله: (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾) من صلة الإرسال. والآخر أن يكون خبراً المبتدأ، كأنه قيل: إنك لمن المرسلين، إنك على صراط مستقيم.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

(وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴿٢﴾) أي: المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(إِنَّكَ) يا محمد (لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾) أي: على منهج ودين قويم، وشرع مستقيم.

**س: وضح معنى قوله تعالى: (تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾)؟**

ج: المعنى، والله أعلم، مبنيٌّ على ضبط كلمة (تنزيل)، هل هي بفتح اللام: (تَنْزِيلٌ) أو بضمها: (تَنْزِيلٌ)؟ فهما قراءتان مشهورتان.

فقول من قال: (تنزيلٌ) فمعناه أن هذا القرآن تنزيلٌ من العزيز الرحيم.

وأما (تَنْزِيلٌ) فحمل بعض القائلين (تَنْزِيلٌ) على معنى الإرسال. قالوا: (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾) إرسال (الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾) أي: بإرسال العزيز الرحيم لك.

وقال بعض العلماء: إن المعنى نزل الله ذلك تنزيلاً، أما العزيز فمن

معناه: الذي لا يغلب.

أما الرحيم: فرحمته بعباده واسعة، ومن رحمته بهم يتركهم ولا يعاقبهم إن تابوا من كفرهم وأنابوا إليه.

وهذه بعض الأقوال:

قال الطبري \$:

القول في تأويل قوله تعالى: (تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾).

اختلف القراء في قراءة قوله: (تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (تنزيل العزيز) برفع (تنزيل)، والرفع في ذلك يتجه من وجهين:

أحدهما: بأن يجعل خبراً، فيكون معنى الكلام: إنه تنزيل العزيز الرحيم. والآخر: بالابتداء، فيكون معنى الكلام حينئذ: إنك لمن المرسلين، هذا تنزيل العزيز الرحيم. وقرأته عامة قراء الكوفة وبعض أهل الشام (تَنْزِيلَ) نصباً على المصدر من قوله: (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾) لأن الإرسال إنما هو عن التنزيل، فكأنه قيل: لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقاً.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب. ومعنى الكلام: إنك لمن المرسلين يا محمد إرسال الرب العزيز في انتقامه من أهل الكفر به، الرحيم بمن تاب إليه، وأناب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له.

وقال ابن كثير \$:

(تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾) أي: هذا الصراط والمنهج والدين الذي جنّت

به مُنزل من رب العزة، الرحيم بعباده المؤمنين، كما قال تعالى: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نَصِيرٌ الْأُمُورِ ﴿٥٣﴾).

[الشورى: ٥٢، ٥٣]

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) قرأ ابن عامر وحفص والأعمش ويحيى وحمزة والكسائي وخلف: تنزيل بنصب اللام على المصدر أن نزل الله ذلك تنزيلاً وأضاف المصدر فصار معرفة كقوله: (فَضْرَبَ الرِّقَابِ) [محمد: ٤] أي: فضرباً للرقاب الباقي (تنزيل) بالرفع على خبر ابتداء محذوف أي: هو تنزيل أو الذي أنزل إليك تنزيل العزيز الرحيم هذا وقرئ: (تنزيل) بالجر على البدل من (القرآن) والتنزيل يرجع إلى القرآن وقيل: إلى النبي □ أي: إنك لمن المرسلين وإنك (تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) فالتنزيل على هذا بمعنى الإرسال قال الله تعالى: (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا ﴾ [الطلاق: ١٠، ١١] ويقال: أرسل الله المطر وأنزله بمعنى، ومحمد □ رحمة الله أنزلها من السماء، ومن نصب قال: إنك لمن المرسلين إرسالاً من العزيز الرحيم و(الْعَزِيزِ) المنتقم ممن خالفه (الرَّحِيمِ) بأهل طاعته.



س: وضح معنى قوله تعالى: (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾)؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أشهرهما - وأراه أصحابهما -: أن معناه لتنذر قوماً لم يُنذر آبائهم، أي: لم يأت آباءهم نذيراً، فلذا فهم غافلون عن الذكر والتوحيد، فقوله: (مَّا) نافية، أي: أن آباءهم لم ينذروا ودلَّ على ذلك قوله تعالى: (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ

مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢﴾ [السجدة: ٣].

وقوله تعالى: (أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ... [الأنعام: ١٥٦-١٥٧]، وقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِم قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ [سبا: ٤٤]، وهذا الوجه هو اختيار الحافظ ابن كثير \$.

قال الحافظ ابن كثير \$:

وقوله تعالى: (لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾) يعني بهم: العرب؛ فإنه ما أتاهم من نذير من قبله. وذكرهم وحدهم لا ينفي مَنْ عداهم، كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم. وقد تقدم ذكر الآيات والأحاديث المتواترة في عموم بعثته، صلوات الله وسلامه عليه، عند قوله تعالى: (قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) [الأعراف: ١٥٨].

*** والقول الآخر:** أن قوله: (مَّا أُنْذِرَ)، (مَّا) هنا بمعنى الذي، فيكون المعنى لتتنذر قومًا بالذي أُنْذِرَ به آبَاؤُهُم لكونهم قد غفلوا عن الذي أُنْذِرَ به آبَاؤُهُم، أو غافلون عما سيحل بهم إذا ماتوا على الكفر، وغافلون عن العقوبات التي عاقب الله بها أعداءه المكذبين لرسله.

قال القرطبي \$:

قوله تعالى: (لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ) (مَّا) لا موضع لها من الإعراب عند أكثر أهل التفسير منهم قتادة لأنها نفي والمعنى: لتتنذر قومًا ما أتى آباءهم قبلك نذير وقيل: هي بمعنى: الذي، فالمعنى: لتتنذرهم مثل ما أُنْذِرَ آبَاؤُهُم، قاله ابن عباس وعكرمة وقاتدة أيضًا، وقيل: إن (مَّا) والفعل مصدر أي: لتتنذر قومًا إنذار آبائهم ثم يجوز أن تكون العرب قد بلغتهم

بالتواتر أخبار الأنبياء؛ فالمعنى لم يندروا برسول من أنفسهم ويجوز أن يكون بلغهم الخبر ولكن غفلوا وأعرضوا ونسوا. ويجوز أن يكون هذا خطاباً لقوم لم يبلغهم خبر نبي وقد قال الله: (وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾) [سبا: ٤٤]، وقال: (لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢﴾) [السجدة: ٣] أي: لم يأتهم نبي، وعلى قول من قال بلغهم خبر الأنبياء فالمعنى فهم معرضون الآن متغافلون عن ذلك، ويقال للمعرض عن الشيء: إنه غافل عنه وقيل: (فَهُمْ غَفِلُونَ ﴿٦﴾) عن عقاب الله.

قال الطبري \$:

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ)، فقال بعضهم: معناه: لتنذر قوماً ما أنذر الله من قبلهم من آبائهم. وأورد من طريق شعبة عن سماك عن عكرمة في هذه الآية: (لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ) قال: قد أنذروا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك لتنذر قوماً ما أنذر آبائهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ) قال بعضهم: لتنذر قوماً ما أنذر آبائهم من إنذار الناس قبلهم. وقال بعضهم: لتنذر قوماً ما أنذر آبائهم أي: هذه الأمة لم يأتهم نذير، حتى جاءهم محمد □.

واختلف أهل العربية في معنى (مَّا) التي في قوله: (مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ) إذا وجه معنى الكلام إلى أن آبائهم قد كانوا أنذروا، ولم يرد بها الجحد؛ فقال بعض نحوي البصرة: معنى ذلك: إذا أريد به غير الجحد لتنذرهم الذي أنذر آبائهم (فَهُمْ غَفِلُونَ ﴿٦﴾) وقال: فدخول الفاء في هذا المعنى لا يجوز،

والله أعلم. قال: وهو على الجحد أحسن، فيكون معنى الكلام: إنك لمن المرسلين إلى قوم لم ينذر آبائهم، لأنهم كانوا في الفترة.

وقال بعض نحويي الكوفة: إذا لم يرد بما الجحد، فإن معنى الكلام: لتنذرهم بما أنذر آبائهم، فتلقى الباء، فتكون (مَّا) في موضع نصب (فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾) يقول: فهم غافلون عما الله فاعل: بأعدائه المشركين به، من إحلال نعمته، وسطوته بهم.

س: وضح معنى قوله تعالى: (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾)؟
ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: لقد تحقق فيهم ما كتبه الله عليهم من كونهم لا يؤمنون، فقد كتبت عليهم الشقاوة ووجب عليهم العذاب فمن ثم فهم لا يؤمنون.

قال الطبري \$:

وقوله: (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾) يقول تعالى ذكره: لقد وجب العقاب على أكثرهم، لأن الله قد حتم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون رسوله.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ) أي: وجب العذاب على أكثرهم (فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾) بإنذارك وهذا فيمن سبق في علم الله أنه يموت على كفره.

قال الشنقيطي \$ في «أضواء البيان»:

الظاهر أن القول في قوله: (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ)، وفي قوله تعالى:
(﴿٧﴾ وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) [فصلت:

٢٥ [الآية. وفي قوله تعالى: (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا)] **[القصص: ٦٣]** الآية. وفي قوله تعالى: (وَيَحَقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ) **[يس: ٧٠]** . وقوله تعالى: (فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَنَاقِبُونَ) **[الصافات: ٣١]** والكلمة في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) **[٩٦]** وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) **[يونس: ٩٦، ٩٧]** وفي قوله تعالى: (قَالُوا بَلَىٰ وَلَئِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) **[الزمر: ٧١]** أن المراد بالقول والكلمة أو الكلمات على قراءة، (حقت عليهم كلمات ربك) بصيغة الجمع، هو قوله تعالى: (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) **[هود: ١١٩]** وكما دلت على ذلك آيات من كتاب الله تعالى: كقوله تعالى في آخر سورة هود: (وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفِينَ) **[١١٨]** إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) **[هود: ١١٨-١١٩]** وقوله تعالى في السجدة: (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) **[السجدة: ١٣]** .

وقوله تعالى: في أخريات ص: (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ) **[ص: ٨٤، ٨٥]** .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ) يدل على أن أكثر الناس من أهل جهنم، كما دلت على ذلك آيات كثيرة كقوله تعالى: (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) **[هود: ١٧]** ، (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) **[يوسف: ١٠٣]** ، (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ) **[الصافات: ٧١]** ، (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ) **[الشعراء: ٨]** .



س: وضع معنى قوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾)؟

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: إنا جعلنا أطواقاً من حديد أو نحاس أو غير ذلك في رقاب هؤلاء الكفار، قد ضمت هذه الأطواق أيديهم إلى رقابهم فجمعت الأيدي مع الرقبة وأحاطت بها الأطواق فلما فعل ذلك بهم، والأيدي تحت أذقانهم مضمومة إلى رقابهم وهي تحت أذقانهم فاضطروهم هذا إلى أن يرفعوا أبصارهم إلى السماء، فمن ثمّ فهم لا يرون ما أمامهم، وكذا فأيديهم مغلولة عن الخير، لا تُبسط بالخير، وهذا بيان للكفار وحالهم وبعدهم عن الإيمان وبعدهم عن الخير، فلا يفعلون خيراً ولا يصبرونه، وهذه الآية في معناها كقوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) [الإسراء: ٢٩]، أي: لا تكن ممسكاً بخيلاً، وسيأتي لها مزيد إن شاء الله.

*** وهناك وجة آخر** - وستأتي الإشارة إليه في كلام القرطبي § -
حاصله أن ذلك يوم القيامة وعبّر عنه هنا بلفظ الماضي، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير §:

يقول تعالى: إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جعل في عنقه غل، فجَمَعَ يديه مع عنقه تحت ذقنه، فارتفع رأسه، فصار مقمّحاً؛ ولهذا قال: (فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾) والمقمّح: هو الرافع رأسه، كما قالت أم زرع في كلامها: «وأشرب فأتقمّح» أي: أشرب فأروى، وأرفع رأسي تهيناً وتروياً. واكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين، وإن كانتا مرادتين، كما قال الشاعر:

فَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا أَرِيدَ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي
الْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ أَمْ الشَّرَّ الَّذِي لَا يَأْتِلِينِي

فاكتفى بذكر الخير عن ذكر الشر لَمَّا دل السياق والكلام عليه، وكذا هذا، لما كان الغُلّ إنما يعرف فيما جَمَعَ اليدين مع العنق، اكتفى بذكر العنق عن اليدين.

وقال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: إنا جعلنا أيمان هؤلاء الكفار مغلولة إلى أعناقهم بالأغلال، فلا تبسط بشيء من الخيرات. وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَيْمَانِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ) وقوله: (إِلَى الْأَذْقَانِ) يعني: فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم، فكني عن الأيمان، ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام، وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلا وأيدي المغلولين مجموعة بها إليها، فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق من ذكر الأيمان، كما قال الشاعر:

وما أدري إذا يمت وجهًا أريد الخير أيُّهما يليني
الخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي لا يأتليني

فكنى عن الشر، وإنما ذكر الخير وحده لعلم سامع ذلك بمعنى قائله، إذ كان الشر مع الخير يذكر. والأذقان: جمع ذقن، والذقن: مجمع اللحيين.

وقوله: (فَهُمْ مُّقَمَحُونَ ۝٨) والمقمح: هو المقنع، وهو أن يحدر الذقن حتى يصير في الصدر، ثم يرفع رأسه في قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة، وفي قول بعض الكوفيين: هو الغاض بصره بعد

رفع رأسه.

وأورد الطبري بإسناد ضعيف عن ابن عباس، قوله: (إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾) قال: هو كقول الله: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) [الإسراء: ٢٩] يعني بذلك: أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير.

وقال القرطبي \$:

قال النحاس: وهذه القراءة تفسير ولا يقرأ بما خالف المصحف، وفي الكلام حذف على قراءة الجماعة، التقدير: إنا جعلنا في أعناقهم وفي أيديهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهي كناية عن الأيدي لا عن الأعناق والعرب تحذف مثل هذا ونظيره: (سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ) [النحل: ٨١] وتقديره وسراويل تقيكم البرد فحذف؛ لأن ما وقى من الحر وقى من البرد؛ لأن الغل إذا كان في العنق فلا بد أن يكون في اليد ولا سيما وقد قال الله عز وجل: (فَهِيَ إِلَىٰ الْأَذْقَانِ) فقد علم أنه يراد به الأيدي (فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾) أي: رافعوا رؤوسهم لا يستطيعون الإطراق لأن من غلت يده إلى ذقنه ارتفع رأسه.

وقال القرطبي أيضاً:

وقال الفراء أيضاً: هذا ضرب مثل أي حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله وهو كقوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) [الإسراء: ٢٩] وقاله الضحاك: وقيل: إن هؤلاء صاروا في الاستكبار عن الحق كمن جعل في يده غل فجمعت إلى عنقه فبقي رافعاً رأسه لا يخفضه وغازباً بصره لا يفتحه والمتكبر يوصف بانتصاب العنق، وقال الأزهري: إن أيديهم لما

غلت عند أعناقهم رفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم سعدًا كالإبل ترفع رؤوسها وهذا المنع بخلق الكفر في قلوب الكفار وعند قوم بسلبهم التوفيق عقوبة لهم على كفرهم، وقيل: الآية إشارة إلى ما يفعل بأقوام غدا في النار من وضع الأغلال في أعناقهم والسلاسل كما قال تعالى: (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ) وأخبر عنه بلفظ الماضي.

قال الشنقيطي \$:

واعلم: أن قول من قال من أهل العلم: إن معنى قوله تعالى في هذه الآية الكريمة (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا) أن المراد بذلك الأغلال، التي يعذبون بها في الآخرة كقوله تعالى: (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ) (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) [غافر: ٧١، ٧٢] خلاف التحقيق، بل المراد بجعل الأغلال في أعناقهم وما ذكر معه في الآية هو صرفهم عن الإيمان والهدى في دار الدنيا.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) (١).

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: إنا جعلنا أمام هؤلاء الكفار حاجزًا يحجزهم عن الإيمان والإسلام والقرآن، وكذا من خلفهم جعلنا حاجزًا فلا يصل إليهم قرآن ولا هدى ولا نور كما قال تعالى: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا) [الإسراء: ٤٥].

أما قوله: (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) (١) فمعناه - والله أعلم - جعلنا على بصرهم غشاوة عن الحق فلا يرونه ولا يبصرونه، والله أعلم.

قال الطبري \$:

وعنى بقوله: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) أنه زين لهم سوء أعمالهم فهم يعمهون، ولا يبصرون رشدًا، ولا يتنبهون حقًا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: جعل هذا سدًّا بينهم وبين الإسلام والإيمان، فهم لا يخلصون إليه، وقرأ (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾) وقرأ (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾) [يونس: ٩٦]... الآية كلها، وقال: من منعه الله لا يستطيع.

قال الطبري \$:

وقوله: (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾) يقول: فأغشينا أبصار هؤلاء أي: جعلنا عليها غشاوة؛ فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: (فَأَغْشَيْنَاهُمْ) أي: أغشينا أبصارهم عن الحق، (فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾) أي: لا ينتفعون بخير ولا يهتدون إليه.

قال القرطبي \$:

وقال الضحاك: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا) أي: الدنيا (وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) أي: الآخرة، أي: عموا عن البعث وعموا عن قبول الشرائع في الدنيا قال الله تعالى: (﴿ وَفِضَّنَا لَهُمْ قُرْنَآءَ فَرَزْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾) | فصلت: ٢٥ | أي: زينوا لهم الدنيا ودعوهم إلى التكذيب بالآخرة، وقيل: على هذا (مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا) أي: غرورًا بالدنيا (وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) أي: تكذيبًا بالآخرة وقيل: (مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) الآخرة (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) الدنيا.



الغوي من أغواه الله

س: قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١﴾) فيه دلالة على أن الله ٥ يصرف عن الإيمان القوم الذين سبقت لهم الشقاوة، ولذلك أسباب، فربي يصرفهم لانصرافهم الأول، ويزيغ قلوبهم كما زاغوا لأول مرة، دَلَّلَ على ما ذكر.

ج: قال الشنقيطي \$ في «أضواء البيان»:

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية ^(١) من كونه جلَّ وعلا يصرف الأشقياء الذين سبقت لهم الشقاوة في علمه عن الحق ويحول بينهم وبينه، جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) [الكهف: ٥٧]، وقوله تعالى: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً) [البقرة: ٧] وقوله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً) [الجاثية: ٢٣]، وقوله تعالى: (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) [الأنعام: ١٢٥]، وقوله تعالى: (مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُادَى لَهُ) [الأعراف: ١٨٦]، وقوله تعالى: (وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِمْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾) [المائدة: ٤١].

وقوله تعالى: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾) [النحل: ١٠٨]، وقوله تعالى: (وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) [هود: ٢٠].
وقوله تعالى: (الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) [الكهف: ١٠١]

(١) يعني قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا) .

والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقد قدمنا أن هذا الطبع والختم على القلوب وكذلك الأغلال في الأعناق، والسد من بين أيديهم ومن خلفهم، أن جميع تلك الموانع المانعة من الإيمان، ووصول الخير إلى القلوب أن الله إنما جعلها عليهم بسبب مسارعته، لتكذيب الرسل، والتمادي على الكفر، فعاقبهم الله على ذلك، بطمس البصائر والختم على القلوب والطبع عليها، والغشاوة على الأبصار، لأن من شؤم السيئات أن الله جلّ وعلا يعاقب صاحبها عليها بتماديه على الشرّ، والحيلولة بينه وبين الخير وجزاه الله بذلك على كفره جزاءً وفاقاً.

والآيات الدالة على ذلك كثيرة كقوله تعالى: (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ)

[النساء: ١٥٥] فالباء سببية، وفي الآية: تصريح منه تعالى أن سبب ذلك

الطبع على قلوبهم هو كفرهم، وكقوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) **[المنافقون: ٣]** ومعلوم أن الفاء من حروف التعليل أي: فطبع على

قلوبهم بسبب كفرهم ذلك، وقوله تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) **[الصف: ٥]**

. وقوله تعالى: (وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَتَهُمْ وَأَبْصَرَ لَهُمْ كَمَا لَهُ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي

طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾) **[الأنعام: ١١٠]** وقوله تعالى: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ

مَرَضًا) **[البقرة: ١٠]** إلى غير ذلك من الآيات كما تقدم إيضاحه.

وقد دلت هذه الآيات على أن شؤم السيئات يجرّ صاحبه إلى التماذي

في السيئات، ويفهم من مفهوم مخالفة ذلك، أن فعل الخير يؤدي إلى

التمادي في فعل الخير، وهو كذلك كما قال تعالى: (وَالَّذِينَ هَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى

وَأَنَّهُمْ تَقَوُّهُمْ ﴿١٧﴾) **[محمد: ١٧]** وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا)

[العنكبوت: ٦٩]، وقوله تعالى: (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ) [التغابن: ١١] إلى غير ذلك من الآيات.

عدم انتفاع أهل الكفر بالمواعظ

س: **وضح معنى قوله تعالى: (وَسَاءَ عَلَيْهِمْ)** **أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴿١٠﴾ **إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ** ﴿١١﴾.

ج: **المعنى -** والله تعالى أعلم -: ويستوي عند هؤلاء الكفار الإنذار من عدمه، فإذا أنذرتهم لم يؤمنوا وإذا لم تنذرهم لن يؤمنوا كذلك، فهم لا ينتفعون بذكر فقد قضى عليهم بأنهم من أهل النار، ومن ثم لا تجدي معهم الموعدة ولا تنفع معهم التذكرة، إنما ينتفع بالإنذار أهل الإيمان الذين اتبعوا القرآن وصدقوا به وخشوا ربهم سبحانه وتعالى في حال غيابهم عن الناس، قد أيقنوا أن الله يراهم وقد أيقنوا أن الله سيحاسبهم وسيلنتقون به فهؤلاء بشرهم يا رسول الله بمغفرة لذنوبهم وعظيم الأجور التي أعدت لهم وكريمها.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وسواء يا محمد على هؤلاء الذين حق عليهم القول، أي الأمرين كان منك إليهم: الإنذار، أو ترك الإنذار، فإنهم لا يؤمنون؛ لأن الله قد حكم عليهم بذلك. وقوله: (**إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ**) يقول تعالى ذكره: إنما ينفع إنذارك يا محمد من آمن بالقرآن، واتبع ما فيه من أحكام الله (**وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ**) يقول: وخاف الله حين يغيب عن أبصار

الناظرين، لا المنافق الذي يستخف بدين الله إذا خلا ويظهر الإيمان في الملاء ولا المشرك الذي قد طبع الله على قلبه. وقوله: (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ) يقول: فبشر يا محمد هذا الذي اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب بمغفرة من الله لذنوبه (وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١١) يقول: وثواب منه له في الآخرة كريم، وذلك أن يعطيه على عمله ذلك الجنة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) واتباع الذكر اتباع القرآن.

قال ابن كثير \$:

وقوله: (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠) أي: قد ختم الله عليهم بالضلالة، فما يفيد فيهم الإنذار ولا يتأثرون به.

وقد تقدم نظيرها في أول سورة البقرة، وكما قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ١٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ١٧)

[يونس: ٩٦-٩٧]

(إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) أي: إنما ينتفع بإنذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكر، وهو القرآن العظيم، (وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ) أي: حيث لا يراه أحد إلا الله، يعلم أن الله مطلع عليه، وعالم بما يفعله، (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ) أي: لذنوبه، (وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١١) أي: كبير واسع حسن جميل، كما قال: (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٣) **[الملك: ١٢].**



س: هل صح لهذه الآية الكريمة سبب نزول: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى

وَنَكُتِبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾؟

ج: الحديث قد ورد له سبب نزول. أخرجه البزار واستغربه ابن كثير، وقد أورده شيخنا الشيخ مقبل بن هادي الوادعي \$ في كتابه «الصحيح المسند من أسباب النزول» مصححاً له لشواهد، ولكني أراه ضعيفاً، فقال \$ ناقلاً عن ابن كثير: قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا عباد بن زياد الساجي حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد ؓ قال: إن بني سلمة شكوا إلى رسول الله ص بُعد منازلهم من المسجد فنزلت: (وَنَكُتِبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ) فأقاموا في مكانهم. وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد ؓ عن النبي ص بنحوه، وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكاملها مكية. اهـ.

الحديث رجاله رجال الصحيح إلا عباد بن زياد وفيه كلام كما في تهذيب التهذيب لكنه قد توبع كما ترى وقد أخرجه الترمذي ج ٤ ص ١٧١ وحسنه. والحاكم ج ٢ ص ٢٨٤ وصححه وأقره الذهبي من حديث أبي سعيد الخدري لكن فيه عندهما طريف بن شهاب وهو ضعيف جداً كما في الميزان وهو عند الحاكم سعيد بن طريف فلعله غلط فيه بعض الرواة. هذا والحديث له شاهد عند ابن جرير \$ عن ابن عباس ؓ قال: كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت: (وَنَكُتِبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ) وسنده صحيح.

أما قول الحافظ ابن كثير \$: إن فيه غرابة لأن السورة بكاملها مكية فلم يظهر لي اتجاهه، فإذا ثبت أن هذه الآية نزلت بمكة فلا مانع من

نزولها مرتين وإن لم يثبت نزولها بمكة فقد تكون السورة مكية إلا آية
كما هو معروف. والله أعلم. انتهى ما قاله شيخنا \$.



المراد بالآثار التي تُكتب

س: وضح معنى الآية الكريمة: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) (١٣).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن الله ٥ يخبرنا بأنه سيحيي الموتى يوم القيامة ويخرجهم من قبورهم أحياء، أما في الدنيا فإن أعمالهم التي عملوها تكتب عليهم وكذا أقوالهم ونواياهم، فهذا ما قدموه في دنياهم، أما آثارهم فالعلماء فيها قولان: أحدهما: آثار خطاهم التي مشوها على الأرض مكتوبة لهم في سجل أعمالهم. والثاني: ما خلفوه بعدهم من آثار وسنن، فإن تركوا خيراً يَتَّبَع وسُنناً تتبع فهم مأجورون، وإن خلفوا سيئ السنن، وتأسى بهم في الشر أقوام فهذه آثار سيئة مكتوبة.

أما قوله تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) (١٣) فمعناه أن كل شيء قد أحصي وكتب عند الله في اللوح المحفوظ (أم الكتاب)، وقيل في كتاب العبد الذي يقرؤه يوم القيامة، إذ الله قال: (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشُورًا) (١٣) أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) [الإسراء: ١٣-١٤].

وهذه بعض أقوال أهل العلم فيما ذكرت.

قال الحافظ ابن كثير \$:

ثم قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى) أي: يوم القيامة، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب مَنْ يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق، كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب: (أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (١٧) [الحديد: ١٧].

وقوله: (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) أي: من الأعمال.

وفي قوله: (وَأَثَرَهُمْ) قولان:

أحدهما: نكتب أعمالهم التي باثروها بأنفسهم، وآثارهم التي أثروها من بعدهم، فنجزهم على ذلك أيضًا، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، كقوله □: «مَنْ سَنَ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً، كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مَنْ غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مَنْ غَيْرَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا»^(١).

وأورد الحافظ ابن كثير أيضًا ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله □: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: مَنْ عِلْمٍ يَنْتَفِعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ، أَوْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ مِنْ بَعْدِهِ».

وأورد ابن كثير بعض الآثار في هذا المعنى، وقال:

والقول الثاني: أن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية.

وأورد حديث جابر بن عبد الله ؓ وفيه: خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله □، فقال لهم: «إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنْكُمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ؟». قالوا: نعم يا رسول الله؛ قد أردنا ذلك، فقال: «يَا بَنِي سَلْمَةَ، دِيَارَكُمْ تَكْتُبُ آثَارَكُمْ، دِيَارَكُمْ تَكْتُبُ»^(٢).

وأورد ابن كثير أحاديث وآثار أخر في هذا الصدد.

(١) مسلم (١٠١٧) بنحوه.

(٢) أحمد (٣٣٢/٣)، ومسلم (٦٦٥).

ثم قال ابن كثير \$:

وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول، بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأحرى، فإنه إذا كانت هذه الآثار تُكتب، فلأن تُكتب تلك التي فيها فُدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى، والله أعلم.

وقوله: (وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٦﴾)، أي: جميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ، والإمام المبين هنا هو أم الكتاب. قاله مجاهد، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وكذا في قوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْبِهِمْ) [الإسراء: ٧١]، أي: بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير وشر، كما قال تعالى: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالشَّهَادَةِ) [الزمر: ٦٩]، وقال تعالى: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوزِلْنَا مَالٌ هَذَا أَلْكِتَابُ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا) [الكهف: ٤٩].

أما الطبري رحمه الله تعالى فافتصر على القول الثاني فقال:

يقول تعالى ذكره: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى) من خلقنا (وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا) في الدنيا من خير وشر، وصالح الأعمال وسيئها.

وقوله: (وَأَثَرَهُمْ) يعني: وآثار خطاهم بأرجلهم، وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم أرادوا أن يقربوا من مسجد رسول الله ﷺ، ليقترب عليهم. وأورد الطبري جملة من الآثار في ذلك، منها أثر جابر ^(١) قال: أراد بنو سلمة قرب المسجد قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا بني سلمة دياركم إنها تكتب آثاركم».

(١، ٢) وهذه وتلك صحيحتان.

وفي رواية^(١٢):

أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد، قال: والبقاع خالية، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «يا بني سلمة دياركم إنها تُكتب آثاركم»، قال: فأقاموا وقالوا: ما يسرنا أنا كنا تحوّلنا.

وقد روي هذا الخبر من وجوه متعددة.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: (وَأَثَرَهُمْ) قال: قال الحسن: وآثارهم قال: خطاهم. وقال قتادة: لو كان مغفلاً شيئاً من شأنك يا ابن آدم أغفل ما تعفي الرياح من هذه الآثار.

وقوله: (وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْتَهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) يقول تعالى ذكره: وكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه، فأثبتناه في أم الكتاب، وهو الإمام المبين. وقيل: (مُبِينٍ) لأنه يُبين عن حقيقة جميع ما أثبت فيه.

وأورد بإسناد صحيح عن مجاهد: (فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) قال: في أم الكتاب.

وبإسناد حسن عن قتادة قال: كل شيء مُحصى عند الله في كتاب.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال: أم الكتاب التي عند الله فيها الأشياء كلها هي الإمام المبين.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى) أخبرنا تعالى بإحيائه الموتى رداً على الكفرة، وقال الضحاك والحسن: أي نحْيِيهم بالإيمان بعد الجهل، والأول أظهر، أي: نحْيِيهم بالبعث للجزاء ثم توعدهم بذكره كتب الآثار وهي:

إحصاء كل شيء وكل ما يصنعه الإنسان قال قتادة: معناه من عمل،

وقاله مجاهد وابن زيد ونظيره قوله: (عِلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾) [

الانفطار: ٥]، وقوله: (يُبَيِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٢﴾) [القيامة: ١٢] وقال:

(اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) [الحشر: ١٨] فآثار المرء التي تبقى وتذكر

بعد الإنسان من خير أو شر يجازى عليها من أثر حسن كعلم علّمه أو

كتاب صنّفه أو حبيس احتبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة

أو نحو ذلك، أو سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة

أحدثها فيها تخسيرهم أو شيء أحدثه فيه صد عن ذكر الله من ألحان

وملاه، وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها، وقيل: هي آثار المشائين

إلى المساجد وعلى هذا المعنى تأول الآية عمر وابن عباس وسعيد بن

جبير وعن ابن عباس أيضاً أن معنى: (وَأَثَرَهُمْ) خطاهم إلى المساجد قال

النحاس: وهذا أولى ما قيل فيه لأنه قال: إن الآية نزلت في ذلك لأن

الأنصار كانت منازلهم بعيدة عن المسجد؟ [وفي الحديث مرفوعاً إلى

النبي ﷺ قال: «يكتب له برجل حسنة وتحط عنه برجل سيئة ذاهباً وراجعاً

إذا خرج إلى المسجد».



قصة أصحاب القرية

قال الله تعالى:

(وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِشَالِكٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي أَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾) [يس: ٢٩-١٣]

س: اذكر معنى ما يلي:

(فَعَزَّزْنَا - تَطَيَّرْنَا بِكُمْ - لَنَرَجُغَنَّكُمْ - وَلَيَمَسَّنَّكُمُ - أَلِيمٌ - طَبَّرَكُم مَّعَكُمْ - أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ - مُسْرِفُونَ - أَقْصَا الْمَدِينَةِ - فَطَرَنِي - ضَلَلْتُ مِثِينَ - الْمُكْرَمِينَ - خَنِمِدُونَ)

ج:

الكلمة	معناها
(فَعَزَّزْنَا)	قَوَّيْنَا - شَدَدْنَا أَرْهَمَا
(تَطَيَّرْنَا بِكُمْ)	تَشَاءَمْنَا بِكُمْ وَبِوُجُودِكُمْ مَعَنَا كَلَّمَا رَأَيْنَاكُمْ لَمْ نَرْ خَيْرًا وَلَكِنْ أَتَانَا الشَّرُّ
(لَنَرَجُغَنَّكُمْ)	لَنَقْذِفَنَّكُمْ (بِالْحَجَارَةِ أَوْ بِالشَّتْمِ وَالسَّبَابِ)
(وَلَيَمَسَّنَّكُمُ)	لَيَصِيبَنَّكُمْ - لَيَنَالَنَّكُمْ
(أَلِيمٌ)	مَوْلُومٌ مَوْجَعٌ
(طَبَّرَكُم مَّعَكُمْ)	أَعْمَالَكُمْ مَعَكُمْ - الْمَقْدَرُ عَلَيْكُمْ يَصَاحِبُكُمْ
(أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ)	أَلَكُونْنَا ذَكَرْنَاكُمْ
(مُسْرِفُونَ)	مَتَجَاوِزُونَ لِلْحَدِّ فِي الْكُفْرِ وَالطَّغْيَانِ وَالظُّلْمِ
(أَقْصَا الْمَدِينَةِ)	أَبْعَدُ مَكَانٍ فِيهَا - طَرَفُ الْمَدِينَةِ الْبَعِيدِ
(فَطَرَنِي)	خَلَقَنِي (لأول مرة)
(ضَلَلْتُ مِثِينَ)	بُعْدٌ عَنِ الْحَقِّ مَظْهَرٌ لِمَنْ تَأْمَلُهُ أَنَّنِي ضَلَلْتُ، وَقِيلَ: مَبِينٌ بِمَعْنَى: بَائِنٌ، أَيْ: وَاضِحٌ وَظَاهِرٌ
(الْمُكْرَمِينَ)	الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِإِدْخَالِهِمْ جَنَّتَهُ
(خَنِمِدُونَ)	مَيِّتُونَ - هَلَكَى - صَرَعَى

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ١٤)، مع بيان هذه القرية وأسماء الرسل.

ج: أما هذه القرية فلم ترد تسميتها في كتاب الله ٥ ولا في سنة رسوله محمد ﷺ، وكذا أسماء الرسل لم يأت في نصٍّ من كتاب أو سنة. لكن جماهير العلماء - بل نقل بعض أهل العلم الإجماع - على أنها أنطاكية.

قال القرطبي \$:

قوله تعالى: (وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ١٣) خطاب للنبي ﷺ أمر أن يضرب لقومه مثلاً بأصحاب القرية - هذه القرية هي أنطاكية- في قول جميع المفسرين فيما ذكر الماوردي.

قلت (مصطفى): أما الرسل فكما أسلفت لم تأت أسماؤهم في نص من كتاب أو سنة، ولكن ذكر البعض أنهم رسلٌ من الحواريين أرسلهم عيسى ﷺ لمدينة من المدن لدعوة أهلها إلى الله ٥، وقال آخرون من أهل العلم: بل كانوا رسلاً أرسلهم الله إليهم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ومثّل يا محمد لمشركي قومك مثلاً أصحاب القرية، ذكر أنها أنطاكية (إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ١٣) اختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل، وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية؛ فقال بعضهم: كانوا رسل عيسى ابن مريم، وعيسى الذي أرسلهم إليهم.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: (وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ (قال: ذكر لنا أن

عيسى ابن مريم بعث رجلين من الحواريين إلى أنطاكية -مدينة بالروم- فكذبوهما فأعزهما بثالث (فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾)، وقال آخرون: بل كانوا رسلاً أرسلهم الله إليهم.

قلت (مصطفى): أما قوله تعالى: (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾) فحاصل معناه أن الرسل كانوا في أول الأمرين اثنين فعززهم الله بثالث، أي: قواهما برسول ثالث أرسله ربّه ٥ مؤيداً لهما ومُصدقاً لهما، فقالت الرسل (الثلاثة) لأهل القرية: إنا إليكم مرسلون من عند الله ٥ ندعوكم لتوحيده وعدم الإشرak به.

قال الطبري \$:

وقوله: (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) يقول تعالى ذكره: حين أرسلنا إليهم اثنين يدعونهم إلى الله فكذبوهما فشددناهما بثالث، وقويناهما به.

وقوله: (فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾) يقول: فقال المرسلون الثلاثة لأصحاب القرية: إنا إليكم أيها القوم مرسلون، بأن تخلصوا العبادة لله وحده، لا شريك له، وتنبهوا مما تعبدون من الآلهة والأصنام. وبالتشديد في قوله: (فَعَزَّزْنَا) قرأت القراء سوى عاصم، فإنه قرأه بالتخفيف، والقراءة عندنا بالتشديد، لإجماع الحجة من القراء عليه، وأن معناه إذا شدد: فقويناه، وإذا خفف: فغلبناه، وليس لغلبناه في هذا الموضع كثير معنى.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى: (وَأُضْرِبَ) -يا محمد- لقومك الذين كذبوك (مَثَلًا أَصَحَّابَ الْقَرْيَةِ إِذْ

جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣).

وقوله: (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا) أي: بادروهما بالكذب، (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) أي: قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث.

وقال القرطبي \$:

أمر النبي □ بإنذار هؤلاء المشركين أن يحل بهم ما حل بكفار أهل القرية المبعوث إليهم ثلاثة رسل قيل: رسل من الله على الابتداء وقيل: إن عيسى بعثهم إلى أنطاكية للدعاء إلى الله وهو قوله تعالى: (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ) وأضاف الرب ذلك إلى نفسه لأن عيسى أرسلهما بأمر الرب وكان ذلك حين رفع عيسى إلى السماء (فَكَذَّبُوهُمَا) قيل: ضربوهما وسجنوهما (فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) أي: فقويناهما وشددنا الرسالة (بِثَالِثٍ).



س: وضع معنى قوله تعالى: (قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ)^(١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ^(١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ^(١٧).

ج: هذا - والله أعلم - بيانٌ لجواب أصحاب القرية الذي أجابوا به المرسلين الثلاثة، قالوا لهم: ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا، لستم بملائكة، ولو كنتم من عند الله لكنتم ملائكة، وهذا جواب أهل الكفر دائماً على رسلهم، يقولون: أبشرٌ مثلنا، أبشر يهدوننا، وها هنا قالوا نفس القول الذي يتقوله الكفار دائماً: (مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ) وما أنتم إلا تكذبون فأجابتهم الرسل بقولهم: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ

نبليكم ما أرسلنا به إليكم بلاغاً مبيناً مظهرًا لكوننا رسلًا من عند الله، ومظهرًا للحق.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أرسلوا إليهم حين أخبروهم أنهم أرسلوا إليهم بما أرسلوا به: ما أنتم أيها القوم إلا أناس مثلنا، ولو كنتم رسلًا كما تقولون، لكنتم ملائكة (وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ) يقول: قالوا: وما أنزل الرحمن إليكم من رسالة ولا كتاب ولا أمركم فينا بشيء (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ) في قيلكم إنكم إلينا مرسلون.

(قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) يقول: قال الرسل: ربنا يعلم إننا إليكم لمرسلون فيما دعوناكم إليه، وإننا لصادقون.

(وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) يقول: وما علينا إلا أن نبليكم رسالة الله التي أرسلنا بها إليكم بلاغًا يبين لكم أنا أبلغناكموها، فإن قبلتموها فحظ أنفسكم تصيبون، وإن لم تقبلوها فقد أدينا ما علينا، والله ولي الحكم فيه.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

(قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا) أي: فكيف أوحى إليكم وأنتم بشر ونحن بشر، فلم لا أوحى إلينا مثلكم؟ ولو كنتم رسلًا لكنتم ملائكة. وهذه شبه كثير من الأمم المكذبة، كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله: (ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا) [التغابن: ٦]، فاستعجبوا من ذلك وأنكروه. وقوله: (قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) [إبراهيم: ١٠]. وقوله حكاية عنهم في قوله: (وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمُ

إِنكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ [المؤمنون: ٣٤]، (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾) [الإسراء: ٩٤]. ولهذا قال هؤلاء: (مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾) أي: أجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين: الله يعلم أنا رسله إليكم، ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار، كقوله تعالى: (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾).

[العنكبوت: ٥٢]

(وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾) يقولون: إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم، فإذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة، وإن لم تجيبوا فستعلمون غيب ذلك.

قال السعدي \$ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾) أي: البلاغ المبين الذي يحصل به توضيح الأمور المطلوب بيانها، وما عدا هذا من آيات الاقتراح، ومن سرعة العذاب، فليس إلينا، وإنما وظيفتنا -التي هي البلاغ المبين- قمنا بها، وبينها لكم، فإن اهتديتم، فهو حظكم وتوفيقكم، وإن ضللتكم، فليس لنا من الأمر شيء.



س: **وضح معنى قوله تعالى:** (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ

وَلَنَمَسَّنَّكُم مِّنَ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٨﴾) قَالُوا طَيَّرْنَا بِكُمْ مَّعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِقُونَ

(١٩)؟

ج: معناه - والله أعلم -: أن أهل الكفر قالوا للمرسلين لما دعوهم إلى الله ٥، إنا تشاءمنا بوجودكم ورؤيتكم فكلما رأيناكم حلّ بنا الشر وحلّ بنا البلاء والهم والنكد، ولئن لم تقلعوا عن هذا وتنتهوا عما أنتم فيه وعن دعوتكم التي تبذلونها لنرجمنكم قتلاً بالحجارة، وقذفاً بالسباب والشتم وليصيبنكم منا عذاب أليم.

فأجابتهم الرسل بقولهم: إن ما يصبكم من خيرٍ أو شرٍّ مقدرٌ لكم مكتوب عليكم وملازم لكم وستلقونه حتمًا وما ذلك الذي يصيبكم من شؤمنا، بل قدره الله عليكم لكفركم ولعصيانكم. أفلكوننا ذكرناكم بالله وتوحيده وعدم الإشراف به ترجموننا وتقذفوننا، إنكم لم تتطهروا بنا فأنتم تعلمون صلاحنا، ولكنكم قوم متجاوزون للحد في الطغيان والمعاصي والكبائر.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: قال أصحاب القرية للرسل: (إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) يعنون: إنا تشاءمنا بكم، فإن أصابنا بلاء، فمن أجلكم. **وأورد عن قتادة بإسنادٍ حسن:** (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ) قالوا: إن أصابنا شر، فإنما هو من أجلكم.

وقوله: (لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ) يقول: لئن لم تنتهوا عما ذكرتم من أنكم أرسلتم إلينا بالبراءة من آلهتنا، والنهي عن عبادتنا لنرجمنكم، قيل: عني بذلك لنرجمنكم بالحجارة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ) بالحجارة

وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٨﴾) يقول: ولينا لكم منا عذاب مُّوجع.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: (قَالُوا طَٰغِيٰكُمْ مَّعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ).
يقول تعالى ذكره: قالت الرسل لأصحاب القرية (طَٰغِيٰكُمْ مَّعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ) يقولون: أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم، ذلك كله في أعناقكم، وما ذلك من شؤمنا إن أصابكم سوء فبما كتب عليكم، وسبق لكم من الله.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (قَالُوا طَٰغِيٰكُمْ مَّعَكُمْ) أي: أعمالكم معكم. وبنفس الإسناد عنه (أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ) أي: إن ذكرناكم الله تطيرتم بنا؟ (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) ﴿١٩﴾).

وقوله: (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) ﴿١٩﴾ يقول: قالوا لهم: ما بكم التطير بنا، ولكنكم قوم أهل معاص الله وآثام، قد غلبت عليكم الذنوب والآثام.

وقال ابن كثير \$:

فعند ذلك قال لهم أهل القرية: (إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ) أي: لم نرَ على وجوهكم خيراً في عيشنا.

وقال قتادة: يقولون إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم.

وقال مجاهد: يقولون: لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عذب أهلها.

(لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ): قال قتادة: بالحجارة. وقال مجاهد: بالشتم.

(وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَ عَذَابٍ أَلِيمٍ) ﴿١٨﴾) أي: عقوبة شديدة. فقالت لهم رسلهم: (طَٰغِيٰكُمْ مَّعَكُمْ) أي: مردود عليكم، كقوله تعالى في قوم فرعون: (فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُٗٓ أَلَا إِنَّمَا طَٰغَيْتُمْ عِندَ اللَّهِ): **الأعراف:**

[١٣١]، وقال قوم صالح: (أَطِيعْنَا بِكَ وَيَمْنُ مَعَكَ قَالَ طَعِرْتُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ) [النمل: ٤٧].
وقال قتادة، ووهب بن منبه: أي أعمالكم معكم. وقال تعالى: (وَأِنْ تُصِيبْهُمْ
حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ
الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا) [النساء: ٧٨].

وقوله: (أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) [١١] أي: من أجل أنا ذكرناكم
وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له، قابلتمونا بهذا الكلام،
وتوعدتمونا وتهددتمونا؟ بل أنتم قوم مسرفون.

وقال قتادة: أي إن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا، بل أنتم قوم مسرفون.



قصة مؤمنٍ مكرم

**س: وضع معنى قوله تعالى: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوْرُ
اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) [٢٠] اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ) [٢١] وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ) [٢٢] أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي
شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ) [٢٣] إِنْئِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [٢٤] إِنْئِذَا أَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ
فَأَسْمِعُونِ) [٢٥] قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ) [٢٦] بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
الْمُكْرَمِينَ) [٢٧] وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ) [٢٨] إِنْ كَانَتْ
إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فِإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) [٢٩].**

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن أصحاب القرية ^(١) لما جاءهم
المرسلون وكذبوهم، وتوعدوهم بالرجم والعذاب الأليم سمع حينئذٍ بهم
رجلٌ بيته في أطراف المدينة، بل في أقصى المدينة فلما أخبر بأمر

(١) والقرية تطلق على مجموعة البيوت المستقرة، ومن ثم ففي الاصطلاح القرية مدينة والمدينة
قرية.

المرسلين الثلاثة، وما كان من أمر قومه معهم لم تطب نفسه أن يبقى ساكنًا مآكنًا في بيته، بل رأى إزامًا عليه أن يناصر المرسلين وأن يشد أزهرهم ويقوي عضدهم، فجاء مسرعًا من أطراف المدينة وأقصاها لنصرة الحق، وهذا من فضل الله عليه أن جنَّده لنصرة الحق، كذلك فهذا من فضل الله على الدعاة إليه؛ إذ يقيض لهم من يأتي لمناصرتهم دون أن يطلبوا منه ذلك فمن الذي حمل هذا الرجل على أن يأتي من أطراف المدينة ويتكلم بكلمات الحق التي يُنصار بها المرسلين ولا يبالي في نصرة الحق، بل ينطق به حتى يقتل، إن الذي سخره لذلك هو الله سبحانه، فأيقنوا معشر الدعاة إلى الله أن الله يؤيدكم بنصره ويقيظ لكم، وأنتم لا تشعرون من يدافع عنكم.

* فالحاصل أن الرجل جاء من أقصى المدينة مشتدًا مسرعًا ساعيًا يحذر قومه وينذرهم ويوصيهم، يا قوم اتبعوا المرسلين، سيروا على طريقهم واهتدوا بما معهم من الهدى فهم لا يطلبون منكم مآلًا على إيمانكم وتصديقكم، بل هم على طريق هداية ورشاد، يريدونكم أن تسلكوا الطريق الذي سلكوه متقربين به إلى الله، يريدون لكم الخير، يريدون لكم السلامة، فهم على هداية.

هكذا شهد لهم هذا الرجل، وقد قيل إن اسمه حبيب، وعلى هذا أكثر أهل العلم، ولم يأت اسمه في خبرٍ ثابتٍ عن رسول الله ﷺ، وقيل: كان نجارًا، وقيل غير ذلك.

والحاصل أنه رجل مؤمن يصدع بالحق لا يبالي فذكر قومه بالحق وآزر المرسلين وشهد لهم بالصدق، ثم صدَّق قوله عمله، فقال: (وَمَا لِيَ لَا

أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ وما المانع لي من عبادة الله خالقي وإليه مرجعي ومرجعكم جميعاً، يحاسب الجميع ويجازيهم. أيعقل أن أعبد آلهة غيره أو أن أعبد معه رباً سواه، كلا، فلن يكون، فإن ربي ٥ إن أرادني بسوءٍ بضرٍ في بدني أو قلةٍ في مالي أو أي نوع من أنواع الضر، وكذا إذا أرادني في الآخرة بمكروه فإن هذه الآلهة المعبودة من دونه لن تشفع لي عند الله، وشفاعتها إن شفعت فليست بمقبولة، فضلاً عن كونها جمادات لا تشفع، ولا تستطيع أن تُنقذني مما حلَّ بي ولا أن تشفيني من مرض، ولا ترد إليَّ عافيتي بعد ابتلائي، إني إذا عبدتهم فقد حكمت على نفسي أنني اخترت طريقاً غير صائب وغير موفق وغير مقربٍ من الله ٥.

إني إن عبدتهم فقد حكمت على نفسي بالضلال، من رآني علم أنني ضالٌ بعبادتي لهذه الأوثان والأصنام، ثم جهر بكلمة الحق قائلاً: (إِنَّ أَمْسْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ) ﴿٢٥﴾ قال ذلك للجميع، قاله لقومه ولم يُبال بهم، وقال ذلك للمرسلين مستشهداً إياهم على مقولته لها مؤازراً لهم، متقرباً بكلمته إلى الله.

فماذا كان لما قال مقولة الحق؟! إنهم قتلوه!!

فهل ضرَّه القتل بشيء؟! كلا بل أُدخل الجنة وأكرمه الله ٥ بصنوف النعيم، وأنزله كريم المنازل فكان ناصحاً لقومه وللخلق حياً وميتاً، فقال: (يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرْتُ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) ﴿٢٧﴾ إن ربي قد غفر لي ذنوبي وأكرمني فيا ليت قومي يعلمون هذا حتى يؤمنوا فينالوا مثل ما نلت، سبحان الله! فهذا الرجل يتمنى لقومه أن يؤمنوا، وإن كانوا قد قتلوه، لكنه لا يتمنى لهم النار بل يتمنى مع كونهم قتلوه فسيح الجنات بإيمانهم

بالله. أما عن قومه الذين قتلوه فلم يقدر الله لهم إيماناً ولم يشأ سبحانه بل أخذتهم جميعاً صيحة واحدة فإذا هم ميتون، كان أمرهم أحقر من أن تنزل عليهم ملائكة من السماء بل أخذتهم صيحة واحدة فأهلكتهم وأماتتهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري \$:

وقوله: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) يقول: وجاء من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت إليهم هذه الرسل رجل يسعى إليهم؛ وذلك أن أهل المدينة هذه عزموا، واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثة فيما ذكر، فبلغ ذلك هذا الرجل، وكان منزله أقصى المدينة، وكان مؤمناً، وكان اسمه فيما ذكر «حبيب بن مري».

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) قال: ذكر لنا أن اسمه «حبيب»، وكان في غار يعبد ربه، فلما سمع بهم، أقبل إليهم. وقوله: (قَالَ يَنْقَوْمُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) يقول تعالى ذكره: قال الرجل الذي جاء من أقصى المدينة لقومه: يا قوم اتبعوا المرسلين الذين أرسلهم الله إليكم، واقبلوا منهم ما أتوكم به.

وذكر أنه لما أتى الرسل سألهم: هل يطلبون على ما جاؤوا به أجراً؟ فقالت الرسل: لا؛ فقال لقومه حينئذٍ: اتبعوا من لا يسألكم على نصيحتهم لكم أجراً.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: لما انتهى إليهم -يعني إلى الرسل- قال: هل تسألون على هذا من أجر؟ قالوا: لا فقال عند ذلك: (يَنْقَوْمُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١).

وقال في تأويل قوله تعالى: (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٣﴾) يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذا الرجل المؤمن: (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) أي: وأي شيء لي لا أعبد الرب الذي خلقني (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٣﴾) يقول: وإليه تصيرون أنتم أيها القوم وتردون جميعاً، وهذا حين أبدى لقومه إيمانه بالله وتوحيده.

وقوله: (ءَاتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ ۖ إِلَهَةً) يقول: أأعبد من دون الله آلهة، يعني: معبوداً سواه (إِنْ يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ) يقول: إذ مسني الرحمن بضرٍّ وشدة (لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا) يقول: لا تغني عني شيئاً بكونها إلي شفعاء، ولا تقدر على رفع ذلك الضر عني (وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٣٤﴾) يقول: ولا يخلصوني من ذلك الضر إذا مسني.

وقوله: (إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٥﴾) يقول إني إن اتخذت من دون الله آلهة هذه صفتها (إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٥﴾) لمن تأمله، جوره عن سبيل الحق. **وقوله:** (إِنِّي ۖ ءَآمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٣٦﴾) فاختلف في معنى ذلك، فقال بعضهم: قال هذا القول هذا المؤمن لقومه يعلمهم إيمانه بالله.

وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسل، وقال لهم: اسمعوا قولي لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، وأناي قد آمنت بكم واتبعتمكم؛ فذكر أنه لما قال هذا القول، ونصح لقومه النصيحة التي ذكرها الله في كتابه وثبوا به فقتلوه.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة قتلهم إياه، فقال بعضهم: رجموه بالحجارة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٣﴾)

هذا رجل دعا قومه إلى الله، وأبدى لهم النصيحة فقتلوه على ذلك. وذكر لنا أنهم كانوا يرمونه بالحجارة، وهو يقول: اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، حتى أقعصوه وهو كذلك.

وقال آخرون: بل وثبوا عليه، فوطئوه بأقدامهم حتى مات.

وقال في تأويل قوله تعالى: (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾).

يقول تعالى ذكره: قال الله له إذ قتلوه كذلك فلقية: (ادْخُلِ الْجَنَّةَ) فلما دخلها وعاین ما أكرمه الله به لإيمانه وصبره فيه (قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي) يقول: يا ليتهم يعلمون أن السبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي، وجعلني من الذين أكرمهم الله بإدخاله إياه جنته، كان إيماني بالله وصبري فيه، حتى قتلت، فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ) فلما دخلها (قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾) قال: فلا تلقى المؤمن إلا ناصحاً، ولا تلقاه غاشئاً، فلما عاین من كرامة الله (قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾) تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاین من كرامة الله، وما هجم عليه.

وقال في تأويل قوله تعالى: (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كُنْتَ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فِإِذَا هُمْ خُمُودُونَ ﴿٢٩﴾).

يقول تعالى ذكره: وما أنزلنا على قوم هذا المؤمن الذي قتله قومه لدعائه إياهم إلى الله ونصيحته لهم (مِنْ بَعْدِهِ) يعني: من بعد مهلكه (مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ).

واختلف أهل التأويل في معنى الجند الذي أخبر الله أنه لم ينزل إلى قوم هذا المؤمن بعد قتلهموه، فقال بعضهم: عني بذلك أنه لم ينزل الله بعد ذلك إليهم رسالة، ولا بعث إليهم نبيًا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٢٨) قال: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ) (٢٩).

وقال آخرون: بل عني بذلك أن الله تعالى ذكره لم يبعث لهم جنودًا يقاتلهم بها، ولكنه أهلكهم بصيحة واحدة.

قال الطبري \$:

وهذا القول الثاني أولى القولين بتأويل الآية، وذلك أن الرسالة لا يقال لها جند إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك الرسل، فيكون وجهًا، وإن كان أيضًا من المفهوم بظاهر الآية بعيدًا، وذلك أن الرسل من بني آدم لا ينزلون من السماء والخبر في ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مهلك هذا المؤمن على قومه جنودًا وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم.

وقوله: (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ) (٢٩) يقول: ما كانت هلكتهم إلا صيحة واحدة أنزلها الله من السماء عليهم.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) نصبًا على التأويل الذي ذكرت، وأن في كانت مضمراً وذكر عن أبي جعفر المدني أنه قرأه (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) رفعًا على أنها مرفوعة بكان، ولا مضمّر في كان.

والصواب من القراءة في ذلك عندي النصب لإجماع الحجة على

ذلك، وعلى أن في كانت مضمراً.

وقوله: (فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢١﴾) يقول: فإذا هم هالكون.

قال السعدي \$ في «تيسير الكريم الرحمن»:

(وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾) أي: وما المانع لي من عبادة من هو المستحق للعبادة، لأنه الذي فطرني، وخلقني، ورزقني، وإليه مآل جميع الخلق، فيجازيهم بأعمالهم، فالذي بيده الخلق والرزق، والحكم بين العباد، في الدنيا والآخرة، هو الذي يستحق أن يعبد، ويثنى عليه ويمجد، دون من لا يملك نفعا ولا ضرا، ولا عطاء ولا منعا، ولا حياة ولا موتا ولا نشورا.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

(قَالَ يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾): يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم، (اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا) أي: على إبلاغ الرسالة، (وَهُمْ مُّهِتَدُونَ ﴿٢١﴾) فيما يدعونكم إليه، من عبادة الله وحده لا شريك له.

(وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي) أي: وما يمنعي من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له، (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾) أي: يوم المعاد، فيجازيكم على أعمالكم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

(ءَاتَخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً)؟ استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، (إِنْ يُرَدِّنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقَدُونَ ﴿٢٣﴾) أي: هذه الآلهة التي تعبدونها من دونه، لا يملكون من الأمر شيئا. فإن الله لو أرادني بسوء، (فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ) [يونس: ١٠٧] وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا ينقذونني مما أنا فيه، (إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾) أي: إن اتخذتها آلهة من

دون الله.

وقوله: (إِنِّتْ ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾): قال ابن إسحاق ^(١) -فيما بلغه عن ابن عباس وكعب وهب- يقول لقومه: (إِنِّتْ ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ) الذي كفرتم به، (فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾) أي: فاسمعوا قولي.

ويحتمل أن يكون خطابه للرسول بقوله: (إِنِّتْ ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ) أي: الذي أرسلكم، (فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾) أي: فاشهدوا لي بذلك عنده. وقد حكاه ابن جرير فقال: وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسول، وقال لهم: اسمعوا قولي، لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، إني آمنت بربكم واتبعكم. وهذا الذي حكاه عن هؤلاء أظهر في المعنى، والله أعلم.

وأورد الحافظ ابن كثير \$ أقوالاً وآثاراً منها أثر مرسل عزاه لابن أبي حاتم من طريق عبد الملك -يعني: ابن عمير- قال: قال عروة بن مسعود الثقفي للنبي □: ابعثني إلى قومي أَدْعُوهم إلى الإسلام. فقال رسول الله □: «إني أخاف أن يقتلوك». فقال: لو وجدوني نائمًا ما أيقظوني. فقال له رسول الله □: «انطلق». فانطلق فمرَّ على اللات والعزى، فقال: لأصبحنَّكَ غدًا بما يسوؤُك. فغضبت ثقيف، فقال: يا معشر ثقيف، إن اللات لا لات، وإن العزى لا عزى، أسلموا تسلموا. يا معشر الأحلاف، إن العزى لا عزى، وإن اللات لا لات، أسلموا تسلموا. قال ذلك ثلاث مرات، فرماه رجل فأصاب أَعْجَلَه فقتله، فبلغ رسول الله □ فقال: «هذا مثله كمثله صاحب يس (قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾) بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَ مِنِّي الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾)».

(١) هذا ضعيف عن ابن عباس.

وآثارًا أخر أوردها ابن كثير فيها مقال أعرضت عنها.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٢٨): يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه، غضبًا منه تعالى عليهم؛ لأنهم كذبوا رسله، وقتلوا وليه. ويذكر تعالى: أنه ما أنزل عليهم، وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم، بل الأمر كان أيسر من ذلك. قاله ابن مسعود، فيما رواه ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عنه أنه قال في قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٢٨) أي: ما كثرناهم بالجموع. الأمر كان أيسر علينا من ذلك، (إِنْ كُنْتَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ) (٢٩) قال: فأهلك الله ذلك الملك، وأهلك أهل أنطاكية، فبادوا عن وجه الأرض، فلم يبق منهم باقية.

وقيل: (وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ) (٢٨) أي: وما كنا ننزل الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم، بل نبعث عليهم عقابًا يدمرهم.

وقيل: المعنى في قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ (٢٨) أي: من رسالة أخرى إليهم. قاله مجاهد وقتادة. قال قتادة: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله، (إِنْ كُنْتَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ) (٢٩).

قال ابن جرير: والأول أصح؛ لأن الرسالة لا تسمى جنْدًا.

قال المفسرون: بعث الله إليهم جبريل غ فأخذ بعضادتي باب بلدهم، ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون عن آخرهم، لم يبق فيهم روح تنردد في جسد.

وقال القرطبي \$:

وفي هذه الآية تنبيه عظيم ودلالة على وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه، والتلطف في اقتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه، إلا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل، وهم كفرة عبدة أصنام، فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل النعمة على قومه فأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٢٨) أي: ما أنزلنا عليهم من رسالة ولا نبي بعد قتله قاله قتادة ومجاهد والحسن. قال الحسن: الجند الملائكة النازلون بالوحي على الأنبياء وقيل: الجند العساكر، أي: لم أحتج في هلاكهم إلى إرسال جنود ولا جيوش ولا عساكر بل أهلكهم بصيحة واحدة، قال معناه ابن مسعود وغيره فقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٢٨) تصغير لأمرهم أي: أهلكناهم بصيحة واحدة من بعد ذلك الرجل أو من بعد رفعه إلى السماء.



قال الله تعالى:

(يَحْشُرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْبَلَدُ الْمَيِّتُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾) [يس: ٣٠-٤٤]

س: اذكر معنى ما يلي:

- (يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ - يَسْتَهْزِئُونَ - لَا يَرْجِعُونَ - لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ - الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ - الْأَزْوَاجَ - وَءَايَةُ لَهُمْ - نَسْلَخُ مِنْهُ - مُظْلِمُونَ - لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا - كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ - يَسْبَحُونَ - ذُرِّيَّتِهِمُ - الْفُلْكِ - الْمَشْحُونِ - فَلَا صَرِيحَ).

ج:

الكلمة	معناها
(يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ)	يا ندمًا من العباد على ما فعلوه - يا ويلاً للعباد - يا دعوة العباد على أنفسهم بالحسرة (وهي الانقطاع عن الخير).
(يَسْتَهْزِئُونَ)	يسخرون
(لَا يَرْجِعُونَ)	لا يرجعون أحياء بعد الموت
(لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ)	عندنا مجموعون (يوم القيامة)
(الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ)	الأرض التي لا نبات فيها ولا زرع ولا ثمر
(الْأَزْوَاجَ)	الأصناف، والذكور والإناث
(وَءَايَةُ لَهُمْ)	ودليل لهم (على قدرتنا ووحدانيتنا)
(نَسْلَخُ مِنْهُ)	نُزْعُ عَنْهُ - نُخْرِجُ مِنْهُ
(مُظْلِمُونَ)	داخلون في الظلام
(لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا)	لموضع قرارها - لمكان تستقر فيه (وهو تحت العرش)
(كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)	كعذق النخل اليابس المنحني

يجرون	(سَبَّحُونَ)
قليل آباءهم، وقيل: ذرية آدم غ، (وتم أقوال آخر)	(ذُرِّيَّتَهُمْ)
السفينة العظيمة	(الْفُلْكِ)
الممتلئ	(الْمَشْحُونِ)
مُنْقَذ - مغيث - من يسمع صريخهم فيجيبهم	(فَلَا صَرِيحَ)



س: وضع معنى قوله تعالى: (يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ) (٣٠).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: يا حسرة ستحل بالعباد الكافرين يوم القيامة، ويا عظيم الندم الذي سيحل بهم يوم القيامة، لكونهم كذبوا الرسل في الدنيا، فكلما جاءهم رسول في الدنيا سخروا منه واستهزءوا به. ويا عظيم التلهف الذي سيصدر منهم، فإنهم يتمنون أن لو كانوا أطاعوا الرسل، ويتلهفون للخروج من النار.

وكان النداء في قوله: (يَحْسَرَةُ) أي: يا حسرة تعالى وحلي بالعباد يوم القيامة فهذا أوانك وأوان حضورك، يا عظيم الندم تعال فهذا مقامك وهذا أوانك، ويمكن أن يؤخذ المعنى اللغوي للتحسر من الانحسار ومن معانيه الانقطاع، وعدم الوصول إلى المراد، فيكون المعنى يا عظيم انقطاع هؤلاء عن الخير يوم القيامة بسبب تكذيبهم للرسل، والله أعلم. ثم هذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: يا حسرة من العباد على أنفسهم وتندمًا وتلهفًا في

استهزأهم برسل الله (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ) من الله (إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾) وذكر أن ذلك في بعض القراءات (ياحسرة العباد على أنفسها).

وأورد عن قتادة بإسناد حسن: (يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ) أي: يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضيعت من أمر الله، وفرطت في جنب الله. قال: وفي بعض القراءات: (ياحسرة العباد على أنفسها).

*** وبإسناد ضعيف عن ابن عباس:** يا ويلًا للعباد.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

ومعنى هذا: يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، كيف كذبوا رسل الله، وخالفوا أمر الله، فإنهم كانوا في الدار الدنيا المكذبون منهم.

(مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾) أي: يكذبونه ويستهزئون به، ويجحدون ما أرسل به من الحق.



س: وضح معنى قوله تعالى: (الَّذِينَ كَفَرُوا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾) وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ألم ير هؤلاء الكفار المكذبون للرسل المعاندون للحق كم أهلكنا قبلهم من القرون الكافرة فتلك مساكنهم ظاهرة وبادية قد خربت ودمرت وسقطت سقوفها على جدرانها المائلة المتهدمة، وها هي أخبارهم قد وصلتهم.

ثم إن هؤلاء الذين أفناهم الله وأبادهم، لا يستطيعون رجوعاً إلى الحياة الدنيا لإصلاح ما أفسدوا، ولعمل صالح بعد فساد العمل، ولإيمان بعد

كفر، لا يستطيعون ذلك بحال، فهلاً اعتبر هؤلاء المكذبون؟! هلاً اعتبروا بالموت الذي يحول بينهم وبين الاستدراك والاستعتاب؟؟ ثم إن الجميع، من مات وهلك، ومن هو حي وسيموت، كل هؤلاء سيحضرون يوم القيامة ويجمعون ويقضي الله ٥ فيهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ألم ير هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد: كم أهلكنا قبلهم بتكذيبهم رسلنا، وكفرهم بآياتنا من القرون الخالية (أَنَّهُمْ إِلَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾) يقول: ألم يروا أنهم إليهم لا يرجعون.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾) قال: عاد وثمود، وقرون بين ذلك كثير.

ثم قال الطبري \$:

و (كَمْ) من قوله: (كَمْ أَهْلَكْنَا) في موضع نصب إن شئت بوقوع (يروا) عليها. وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (ألم يروا من أهلكنا) وإن شئت بوقوع أهلكنا عليها؛ وأما (أَنَّهُمْ)، فإن الألف منها فتحت بوقوع (يروا) عليها. وذكر عن بعضهم أنه كسر الألف منها على وجه الاستئناف بها، وترك إعمال يروا فيها.

وقوله: (وَإِن كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾) يقول تعالى ذكره: وإن كل هذه القرون التي أهلكناها والذين لم نهلكهم وغيرهم عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون.

قال ابن كثير \$ في قوله تعالى: ثم قال تعالى: (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ

مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ أي: ألم يتعظوا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسول، كيف لم تكن لهم إلى هذه الدنيا كرة ولا رجعة، ولم يكن الأمر كما زعم كثير من جهلتهم وفجرتهم من قولهم: (إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا) [المؤمنون: ٣٧]، وهم القائلون بالدور من الدهرية، وهم الذين يعتقدون جهلاً منهم أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها، فردَّ الله تعالى عليهم باطلهم، فقال: (الْمَرِئُونَ كَرَاهِلِكُنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾). **وقوله:** (وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾) أي: وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله ٥ فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها، ومعنى هذه كقوله تعالى: (وَإِنْ كُلًّا لَّمَّا لِيُوفِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ) [هود: ١١١].

وقد اختلف القراء في أداء هذا الحرف؛ فمنهم مَنْ قرأ: (وَإِنْ كُلُّ لَمَّا) بالتخفيف، فعنده أن (إِنْ) للإثبات، ومنهم مَنْ شدد (لَمَّا)، وجعل (إِنْ) نافية، و(لَمَّا) بمعنى (إِلَّا) تقديره: وما كل إلا جميع لدينا محضرون، ومعنى القراءتين واحد، والله أعلم.



بعض الاستدلالات على البعث

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَأَيُّ لَمَّا الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجَتْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: ودلالة للخلق على وحدانيتنا وقدرتنا على إحياء الخلق بعد موتهم، هذه الأرض الميتة التي لا نبات فيها ولا زرع

ولا ثمر، فأحييناها بالغيث الذي أنزلناه من السماء فأنبتنا فيها النباتات وأخرجنا منها الثمار، وكذا السنابل وغيرها التي منها الحبوب فمنها يأكلون، وكذا جعلنا بما أنزلناه من السماء من ماء حقائق وبساتين عظيمة من نخيل وأعناب وكذلك فجرنا في الأرض وفي البساتين والحدائق تلك العيون التي تضخ الماء.

كل ذلك خلقناه لهم وجعلناه لهم ليأكلوا من ثمار النخيل والأعناب وغيرها من الثمار التي أثمرها الله لهم، وتلك التي زرعوها بأيديهم وعرسوها بأيديهم فأنبتها الله لهم.

أفلا يقدمون لذلك شكرًا لله، شكرًا متمثلًا في توحيده وإفراده بالعبادة، شكرًا متمثلًا في الإحسان إلى الخلق وشكر الخالق وحده. وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ودلالة لهؤلاء المشركين على قدرة الله على ما يشاء، وعلى إحيائه مَنْ مات مِنْ خلقه وإعادته بعد فناءه، كهيئته قبل مماته إحياءه الأرض الميتة، التي لا نبت فيها ولا زرع بالغيث الذي ينزله من السماء حتى يخرج زرعها، ثم إخراجها منها الحب الذي هو قوت لهم وغذاء، فمنه يأكلون.

وقوله: (وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ) يقول تعالى ذكره: وجعلنا في هذه الأرض التي أحييناها بعد موتها بساتين من نخيل وأعناب (وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾) يقول: وأنبعنا فيها من عيون الماء.

وقال في تأويل قوله تعالى: (لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا

يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾).

يقول تعالى ذكره: أنشأنا هذه الجنات في هذه الأرض ليأكل عبادي من ثمره، وما عملت أيديهم يقول: ليأكلوا من ثمر الجنات التي أنشأنا لهم، وما عملت أيديهم مما غرسوا هم وزرعوا. و(ما) التي في قوله: (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) في موضع خفض عطفًا على الثمر، بمعنى: ومن الذي عملت؛ وهي في قراءة عبد الله فيما ذكر: (ومما عملته) بالهاء على هذا المعنى، فالهاء في قراءتنا مضمرة؛ لأن العرب تضمرها أحيانًا، وتظهرها في صلات: من، وما، والذي. ولو قيل: (ما) بمعنى المصدر كان مذهبًا، فيكون معنى الكلام: ومن عمل أيديهم، ولو قيل: إنها بمعنى الجحد ولا موضع لها كان أيضًا مذهبًا، فيكون معنى الكلام: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم. وقوله: (أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾) يقول: أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق من هذه الأرض الميتة التي أحييناها لهم من رزقهم ذلك وأنعم عليهم به؟

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى: (وَأَيُّ مُمْ) أي: دلالة لهم على وجود الصانع ^(١) وقدرته التامة وإحيائه الموتى (الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ) أي: إذا كانت ميتة هامة لا شيء فيها من النبات، فإذا أنزل الله عليها الماء اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج؛ ولهذا قال: (أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾) أي: جعلناه رزقًا لهم ولأنعامهم، (وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾) أي: جعلنا فيها أنهارًا سارحة في أمكنة، يحتاجون إليها ليأكلوا من ثمره.

(١) يكثر البعض من استعمال اسم الصانع، ولم أره في آية ولا في حديث صحيح.

لما امتن على خلقه بإيجاد الزروع لهم عَطَفَ بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها.

وقال ابن كثير أيضاً:

وقوله: (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) أي: وما ذاك كله إلا من رحمة الله بهم، لا بسعيهم ولا كدهم، ولا بحولهم وقوتهم. قاله ابن عباس وقتادة؛ ولهذا قال: (أَفَلَا يَشْكُرُونَ)؟ أي: فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى؟ واختار ابن جرير -بل جزم به، ولم يحك غيره إلا احتمالاً- أن (ما) في قوله: (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) بمعنى: (الذي)، تقديره: ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم، أي: غرسوه ونصبوه، قال: وهي كذلك في قراءة ابن مسعود: (ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أفلا يشكرون).

قلت (مصطفى): وفي قوله تعالى: (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) قولان:

أحدهما: مبني على أن (ما) اسم موصول بمعنى الذي، وهو المعنى الذي قدمناه.

والثاني: أن (ما) نافية، أي: ليأكلوا من ثمره وما صنعتها أيديهم، أي: ولم تصنعه أيديهم، وما كانوا يستطيعون أن يفعلوه إلا بإذن الله ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ) ﴿٦٣﴾ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أََمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) **[الواقعة: ٦٣، ٦٤].**

قال القرطبي \$:

لا موضع لها فلا تحتاج إلى صلة ولا راجع أي: ولم تعملها أيديهم من الزرع الذي أنبته الله لهم وهذا قول ابن عباس والضحاك ومقاتل وقال غيرهم: المعنى ومن الذي عملته أيديهم أي: من الثمار ومن أصناف

الحلاوات والأطعمة ومما اتخذوا من الحبوب بعلاج كالخبز والدهن المستخرج من السمسم والزيتون وقيل: يرجع ذلك إلى ما يغرسه الناس روي معناه عن ابن عباس أيضاً (أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٥﴾) نعمه.



س: وضع معنى قوله تعالى: (سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ

الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾).

ج: المعنى -والله أعلم -: تنزه ربنا وخالقنا وإلهنا عما يصفه به الواصفون المشركون، وتنزه ربنا عن الشريك والمثيل والندِّ والصاحبة والولد، تنزه عن أن يكون له شريك في الملك، تنزه عن كل نقص وعيب، تنزه ربنا وخالقنا وإلهنا الذي خلق الأصناف كلها الذي خلق كل صنف، وكل ذكر وأنثى مما تنبته الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمونه أيضاً، فقد خلق ما يعلمه عبيده، وما لا يعلمون كذلك.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: تنزيهاً وتبرئةً للذي خلق الألوان المختلفة كلها من نبات الأرض، ومن أنفسهم، يقول: وخلق من أولادهم ذكوراً وإناثاً، ومما لا يعلمون أيضاً من الأشياء التي لم يطلعهم عليها، خلق كذلك أزواجاً مما يضيف إليه هؤلاء المشركون، ويصفونه به من الشركاء وغير ذلك.

وقال ابن كثير \$:

ثم قال: (سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ) أي: من زروع وثمار ونبات. (وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ) فجعلهم ذكراً وأنثى، (وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾) أي:

من مخلوقات شتى لا يعرفونها، كما قال تعالى: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾) [الذاريات: ٤٩].

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا) نزه نفسه سبحانه عن قول الكفار؛ إذ عبدوا غيره مع ما رأوه من نعمه وآثار قدرته وفيه تقدير الأمر أي: سبحانه ونزهوه عما لا يليق به، وقيل: فيه معنى التعجب أي: عجباً لهؤلاء في كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه الآيات ومن تعجب من شيء قال: سبحان الله! والأزواج والأنواع والأصناف فكل زوج صنف؛ لأنه مختلف في الألوان والطعوم والأشكال والصغر والكبر، فاختلافها هو ازدواجها وقال قتادة: يعني الذكر والأنثى (مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ) يعني: من النبات لأنه أصناف (وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ) يعني: وخلق منهم أولاداً أزواجاً ذكوراً وإناثاً (وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾) أي: من أصناف خلقه في البر والبحر والسماء والأرض، ثم يجوز أن يكون ما يخلقه لا يعلمه البشر وتعلمه الملائكة ويجوز ألا يعلمه مخلوق ووجه الاستدلال في هذه الآية أنه إذا انفرد بالخلق فلا ينبغي أن يشرك به.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَأَيَّةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : وعلامة لهم ودليل لهم على قدرتنا ووحدانيتنا هذا الليل الذي يروونه وجعلناه لهم سكناً، ننزع عنه النهار ونخرج منه النهار فيبقى ليلاً مظلماً سكناً هادئاً، فإذا هم داخلون في

الظلام.

وبنحو هذا قال أهل العلم.**قال الطبري \$:**

يقول تعالى ذكره: ودليل لهم أيضاً على قدرة الله على فعل كل ما شاء (أَيَّلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) يقول: ننزع عنه النهار. ومعنى (مِنْهُ) في هذا الموضع: عنه، كأنه قيل: نسلخ عنه النهار، فنأتي بالظلمة ونذهب بالنهار. ومنه قوله: (وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) [الأعراف: ١٧٥] أي: خرج منها وتركها، فكَذلك انسلخ الليل من النهار. وقوله: (فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾) يقول: فإذا هم قد صاروا في ظلمة بمجيء الليل.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَيْلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾) قال: يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، وهذا الذي قاله قتادة في ذلك عندي، من معنى سلخ النهار من الليل، بعيد، وذلك أن إيلاج الليل في النهار، إنما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا في ساعات الآخر، وليس السلخ من ذلك في شيء؛ لأن النهار يسْلخ من الليل كله، وكذلك الليل من النهار كله، وليس يولج كل الليل في كل النهار، ولا كل النهار في كل الليل.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى: ومن الدلالة لهم على قدرته تعالى العظيمة خلق الليل والنهار، هذا بظلامه وهذا بضياءه، وجعلهما يتعاقبان، يجيء هذا فيذهب هذا، ويذهب هذا فيجيء هذا، كما قال: (يُعْشَى أَيْلُ النَّهَارِ يَطْبُئُهُ حَيْثَا) [الأعراف: ٥٤]؛ ولهذا قال ٥ هاهنا: (وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَيْلٌ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) أي: نصرمه منه

فيذهب، فيقبل الليل؛ ولهذا قال: (فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾) كما جاء في الحديث: «إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم».

هذا هو الظاهر من الآية.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (وَأَيَّاهُمْ أَلَيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) أي: وعلامة دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب إلهيته، والنسخ: الكشط والنزع يقال: سلخه الله من دينه، ثم تستعمل بمعنى الإخراج وقد جعل ذهاب الضوء ومجيء الظلمة كالسلخ من الشيء وظهور المسلوخ فهي استعارة و(مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾) داخلون في الظلام يقال: أظلمنا أي: دخلنا في ظلام الليل وأظهرنا دخلنا في وقت الظهر وكذلك أصبحنا وأضحينا وأمسينا وقيل: (مِنْهُ) بمعنى: عنه، والمعنى: نسلخ عنه ضياء النهار (فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾) أي: في ظلمة لأن ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء فإذا خرج منه أظلم.

قال السعدي \$:

أي: (وَأَيَّاهُمْ) على نفوذ مشيئة الله، وكمال قدرته، وإحيائه الموتى بعد موتهم. (أَلَيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) أي: نزيل منه الضياء العظيم الذي طبق الأرض، فنبدله بالظلمة، ونحلها محله (فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾).



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : ما ورد عن النبي □ عند

البخاري^(١) وغيره من حديث أبي ذر فقال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال: «يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس؟»، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾)».

وفي رواية أخرى عند البخاري أيضًا: عن أبي ذر؛ قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا)، قال: «مستقرها تحت العرش».

وفي رواية^(٢) أيضًا:

عن أبي ذر قال: كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد حين وجبت الشمس، فقال: «يا أبا ذر؛ تدري أين تذهب الشمس؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها ٥، فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت. فترجع إلى مطلعها، وذلك مستقرها، ثم قرأ: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا)».

فالحاصل - والله أعلم - أن الشمس تجري كل يوم حتى تستقر تحت العرش وتستأذن ربها للطلوع فيؤذن لها - على ما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ.

وهذا كله بتقدير الله ٥ العزيز الذي لا يمانع من شيء أرادته، العزيز كذلك في انتقامه من أعدائه، العليم بكل شيء.

قال الطبري \$:

(١) البخاري (٤٨٠٣).

(٢) انظر البخاري (٣١٩٩)، واللفظ لأحمد (١٥٢/٥).

وقوله: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) يقول تعالى ذكره: والشمس تجري لموضع قرارها، بمعنى: إلى موضع قرارها؛ وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ (١).

وأورد خبر أبي ذر الذي ذكرناه عن رسول الله ﷺ ثم قال \$.
وقوله: (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) يقول: هذا الذي وصفنا من جري الشمس لمستقر لها، تقدير العزيز في انتقامه من أعدائه، العليم بمصالح خلقه، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يخفى عليه خافية.

وأورد ابن كثير قول آخر فقال:

والقول الثاني: أن المراد بمستقرها هو: منتهى سيرها، وهو يوم القيامة، يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور، وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني.

قال قتادة: (لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) أي: لوقتها ولأجل لا تعدوه.

وقال ابن كثير أيضاً:

(ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) أي: الذي لا يخالف ولا يُمانع، (الْعَلِيمِ) بجميع الحركات والسكنات، وقد قدر ذلك وقننه على منوال لا اختلاف فيه ولا تعاكس، كما قال تعالى: (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (١٦) [الأنعام: ٩٦]. وهكذا ختم آية (حم) السجدة بقوله: (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (١٢) [فصلت: ١٢].

قال السعدي \$ في «تيسير الكريم الرحمن»:

وكذلك نزيل هذه الظلمة، التي عمتهم وشملتهم، فتطلع الشمس،

(١) قلت: ولا قول لأحد مع قول رسول الله ﷺ.

فتضيء الأقطار، وينتشر الخلق لمعاشهم ومصالحهم، ولهذا قال: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) أي: دائماً تجري لمستقر لها، قدره الله لها، لا تتعداه، ولا تقصر عنه، وليس لها تصرف في نفسها، ولا استعصاء على قدرة الله تعالى. (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) الذي بعزته دبر هذه المخلوقات العظيمة، بأكمل تدبير، وأحسن نظام. (الْعَلِيمِ ٣٨) الذي بعلمه، جعلها مصالح لعباده، ومنافع في دينهم ودنياهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ٣٩).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وجعلنا للقمر منازل ينزلها كل ليلة فيتناقص بعد تمامه واستوائه تدريجياً حتى يكون في آخر الشهر كعذق النخلة المتيبس المنحني.

قال ابن كثير \$:

ثم قال: (وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ) أي: جعلناه يسير سيراً آخر يستدل به على مضي الشهور، كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٨٩)، وقال: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِيَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) الآية [يونس: ٥]، وقال: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ أَحْسَنَهُ الْآيَاتِ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوا) (الأنعام: ١٠١)، فجعل الشمس لها ضوء يخصها، والقمر له نور يخصه، وفاوت بين سير هذه وهذا، فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد،

ولكن تنتقل في مطالعها ومغاربها صيفاً وشتاء، يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل، ثم يطول الليل ويقصر النهار، وجعل سلطانها بالنهار، فهي كوكب نهارى. وأما القمر، فقدرة منازل، يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلاً قليل النور، ثم يزداد نوراً في الليلة الثانية، ويرتفع منزلة، ثم كلما ارتفع ازداد ضياء، وإن كان مقتبساً من الشمس، حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر، حتى يصير كالعرجون القديم.

قال ابن عباس: وهو أصل العذق.

وقال مجاهد: العرجون القديم: أي العذق اليابس.

يعني ابن عباس: أصل العنقود من الرطب إذا عتق ويبس وانحنى، وكذا قال غيرهما. ثم بعد هذا بيديه الله جديداً في أول الشهر الآخر.

وقال الطبري §:

اختلفت القراء في قراءة قوله: (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ) فقرأه بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين: (والقمر) رفعاً عطفاً بها على الشمس؛ إذ كانت الشمس معطوفة على الليل، فأتبعوا القمر أيضاً الشمس في الإعراب؛ لأنه أيضاً من الآيات، كما الليل والنهار آيتان، فعلى هذه القراءة تأويل الكلام: وآية لهم القمر قدرناه منازل. وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين، وعامة قراء الكوفة نصباً (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ) بمعنى: وقدرنا القمر منازل، كما فعلنا ذلك بالشمس، فردوه على الهاء من الشمس في المعنى؛ لأن الواو التي فيها للفعل المتأخر.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، فتأويل الكلام: وآية لهم، تقديرنا

القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه، حتى عاد كالعرجون القديم؛ والعرجون: من العذق من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريخ؛ وإنما شبهه جلّ ثناؤه بالعرجون القديم، والقديم هو اليابس؛ لأن ذلك من العذق، لا يكاد يوجد إلا متقوساً منحنيًا إذا قدم ويبس، ولا يكاد أن يصاب مستويًا معتدلاً كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكَذلك القمر إذا كان في آخر الشهر قبل استساراره، صار في انحنائه وتقوسه نظير ذلك العرجون.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

قال السعدي §:

(وَالْقَمَرَ قَدَّرْتَهُ مَنَازِلَ) ينزل بها، كل ليلة ينزل منها واحدة، (حَتَّى صَغُرَ جَدًّا، فيعود) كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٢٩) أي: عرجون النخلة، الذي من قدمه نشَّ وصغر حجمه وانحنى، ثم بعد ذلك، ما زال يزيد شيئًا فشيئًا، حتى يتم [نوره] ويتسق ضياؤه.



س: وضع معنى قوله تعالى: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ

النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (٤٠).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: لا الشمس تستطيع أن تدخل في الليل وتذهب بضياء القمر، وكذا لا يستطيع الليل أن يجري بسرعة ويسبق النهار بل كلُّ يلحق بالآخر ليس بينهما مدة، فإذا ذهب هذا جاء هذا كما قال: (يَغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا) [الأعراف: ٥٤]، فمعنى: ولا الليل سابق النهار أي: ليس يسبقه بمدة زمنية ويتخلف النهار عن إدراكه ويكون بينهما

فاصل زمني، فكل هذا لا يحدث، بل كلُّ يجري في مجراه ويتتبع الآخر.

قال الطبري \$:

وقوله: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) يقول تعالى ذكره: لا الشمس يصلح لها إدراك القمر، فيذهب ضوءها بضوئه، فتكون الأوقات كلها نهاراً لا ليل فيها (وَلَا أَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) يقول تعالى ذكره: ولا الليل بفائت النهار حتى تذهب ظلمته بضيائه، فتكون الأوقات كلها ليلاً.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) ولكل حدٍّ وعلم لا يعدوه، ولا يقصر دونه؛ إذا جاء سلطان هذا، ذهب سلطان هذا، وإذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا.

وقال \$:

وقوله: (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾) يقول: وكل ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يجرون.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ): قال مجاهد: لكل منهما حدٌّ لا يعدوه ولا يقصر دونه، إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا.

وقوله: (وَلَا أَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ): يقول: لا ينبغي إذا كان الليل أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار، فسلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل.

وقال مجاهد: (وَلَا أَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) يطلبان حثيثين، ينسلخ أحدهما من الآخر.

والمعنى في هذا: أنه لا فترة بين الليل والنهار، بل كل منهما يعقب

الآخر بلا مهلة ولا تراخ؛ لأنهما مسخران دائبين يتطالبان طلبًا حثيثًا.
وقوله: (وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾) يعني: الليل والنهار، والشمس والقمر، كلهم يسبحون، أي: يدورون في فلك السماء.



س: وضح معنى هذه الآيات المباركات: (وَأَيُّهُم مَّنْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُم فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾).

ج: المعنى - والله أعلم:- ودلالة لهم، وعلامة لهم على قدرتنا ووحدانيتنا وفضلنا عليهم وإنعامنا، أننا حملنا ذرية أبيهم آدم غ مع نوح غ في السفينة العظيمة التي حملت من كل زوجين اثنين، وقيل: إن المراد بالذرية الآباء والأجداد، أي: آباء المخاطبين وأجدادهم، وسيأتي لها مزيد إن شاء الله.

أما قوله تعالى: (وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾) فالمراد وخلقنا لهم من مثل هذه الباكرة العظيمة التي حُمِلَ فيها نوح غ ومن معه بواخر وسفنًا مثلها وإن اختلفت أحجامها كي يركبوا فيها.

فقوله: (مِّن مِّثْلِهِ) أي: من مثل هذه البواخر والسفن بواخر وسفنًا.
وقال البعض: إن المراد بقوله: (مِّن مِّثْلِهِ) أي: الإبل ونحوها التي يحملون عليها.

والقول الأول أولى؛ لأن الله قال بعدها: (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ) فدلَّ ذلك على أنها السفن.

أما قوله: (فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ) أي: فلا أحد يسمع قولهم وصراخهم فينقذهم،

أي: فلا مُنقذ لهم ولا مُغيث لهم، ولكن برحمتنا حملناهم في الفلك كما حملنا آباءهم، ومتعناهم إلى حين انتهاء آجالهم، والله أعلم. وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ودليل لهم أيضاً، وعلامة على قدرتنا على كل ما نشاء، حملنا ذريتهم، يعني: من نجا من ولد آدم في سفينة نوح، وإياها عني جلّ ثناؤه بالفلك المشحون؛ والفلك: هي السفينة، والمشحون: المملوء الموقر.

وأورد الطبري عدة أسانيد تفيد أن المشحون هو الموقر الممتلئ، وأن المراد بالفلك سفينة نوح غ، وأورد الطبري قول ابن زيد بإسناد صحيح عنه.

قال ابن زيد في قوله: (الْفُلُكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾) قال: الفلك المشحون: المركب الذي كان فيه نوح، والذرية التي كانت في ذلك المركب؛ قال: والمشحون: الذي قد شحن، الذي قد جعل فيه ليركبه أهله، جعلوا فيه ما يريدون، فربما امتلأ وربما لم يمتلئ.

وقال الطبري \$:

وقوله: (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾) يقول تعالى ذكره: وخلقنا لهؤلاء المشركين المكذبيك يا محمد، تفضلاً منا عليهم، من مثل ذلك الفلك الذي كنا حملنا من ذرية آدم من حملنا فيه الذي يركبونه من المراكب.

ثم اختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله: (مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾) فقال بعضهم: هي السفن.

وأورد أقوالاً في تفسير قوله تعالى: (مِنْ مِثْلِهِ) حاصلها قولان:

أحدهما: السفن التي ينتفع بها.

والثاني: الإبل.

قال الطبري \$:

وأشبه القولين بتأويل ذلك قول من قال: عني بذلك السفن، وذلك لدلالة

قوله: (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ) على أن ذلك كذلك، وذلك أن الغرق معلوم أن لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البر.

وقوله: (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ) يقول تعالى ذكره: وإن نشأ نغرق هؤلاء المشركين إذا ركبوا الفلك في البحر (فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ) يقول: فلا مغيث لهم إذا نحن غرقناهم يغيثهم، فينجيهم من الغرق.

وقوله: (وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿١٣﴾) يقول: ولا هو ينقذهم من الغرق شيء إن نحن أغرقناهم في البحر، إلا أن ننقذهم نحن رحمة منا لهم، فننجيهم منه.

وقوله: (وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤﴾) يقول: ولنمتعهم إلى أجل هم بالغوه، فكأنه قال: ولا هم ينفذون، إلا أن نرحمهم فنمتعهم إلى أجل.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى: ودلالة لهم أيضاً على قدرته تعالى: تسخير البحر ليحمل السفن، فمن ذلك - بل أوله - سفينة نوح غ التي أنجاه الله تعالى فيها بمن معه من المؤمنين، الذين لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم غيرهم؛ ولهذا قال: (وَأَيُّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) أي: آباءهم، (فِي الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ ﴿١٤﴾) أي: في السفينة المملوءة من الأمتعة والحيوانات، التي أمره الله أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين.

جنگ ابن كثير إلى أن المراد بقوله: (مِّن مَّثَلِهِ) السفن، فقال بعد إيراد

قول من قال إنها السفن:

ويُقَوِّي هذا المذهب في المعنى قوله تعالى: (إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ

﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَاءَ آذُنٍ وَعِیَّةٍ ﴿١٢﴾) **[الحاقة: ١١-١٢].**

وقوله: (وَلِنْ نَّشَأُ نَعْرِفَهُمْ) يعني: الذين في السفن، (فَلَا صَرِخَ لَهُمْ) أي: فلا مغيث لهم مما هم فيه، (وَلَا هُمْ يُقَدُّونَ) ﴿٤٣﴾) أي: مما أصابهم. (إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا) وهذا استثناء منقطع، تقديره: ولكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر، ونُسَلِّمُكم إلى أجل مسمى؛ ولهذا قال: (وَمَتَّعْنَا إِلَىٰ حِينٍ) ﴿٤٤﴾) أي: إلى وقت معلوم عند الله.



س: كيف قيل: (وَأَيُّهُمُ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ ...) والمحمول هم الآباء الذين

كانوا مع نوح غ؟

ج: من أهل العلم من قال: إن المراد بالذرية ذرية آدم ومنهم من قال: أراد بالذرية الآباء، وهناك أقوالٌ أخر.

قال القرطبي \$:

(أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) ﴿٤١﴾ من أشكل ما في السورة لأنهم هم المحمولون فقيل: المعنى وآية لأهل مكة أنا حملنا ذرية القرون الماضية (فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ) ﴿٤١﴾ فالضميران مختلفان ذكره المهدوي وحكاه النحاس عن علي بن سليمان أنه سمعه يقول: وقيل: الضميران جميعاً لأهل مكة على أن يكون ذرياتهم أولادهم وضعفاءهم، فالفلك على القول الأول: سفينة نوح، وعلى الثاني: يكون اسماً للجنس خبر جل وعز بلطفه وامتنانه أنه خلق السفن يحمل فيها من يصعب عليه المشي والركوب من الذرية

والضعفاء فيكون الضميران على هذا متفقين، وقيل: الذرية الآباء والأجداد حملهم الله تعالى في سفينة نوح غ فالآباء ذرية والأبناء ذرية بدليل هذه الآية قاله أبو عثمان وسمي الآباء ذرية لأن منهم ذراً الأبناء وقول رابع: إن الذرية النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهاً بالفلك المشحون قاله علي بن أبي طالب فذكره الماوردي.

قال السعدي \$:

أي: ودليل لهم وبرهان على أن الله وحده المعبود؛ لأنه المنعم بالنعمة، الصارف للنقم، الذي من جملة نعمه (أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُم) قال كثير من المفسرين: المراد بذلك: آبائهم.

(وَحَلَقْنَاهُمْ) أي: للموجودين من بعدهم (مِنْ مِّثْلِهِ) أي: من مثل ذلك الفلك، أي: جنسه (مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾) به، فذكر نعمته على الآباء بحملهم في السفن؛ لأن النعمة عليهم، نعمة على الذرية. وهذا الموضع من أشكال المواضع علياً في التفسير، فإن ما ذكره كثير من المفسرين، من أن المراد بالذرية الآباء، مما لا يعهد في القرآن إطلاق الذرية على الآباء، بل فيها من الإبهام، وإخراج الكلام عن موضوعه، ما ياباه كلام رب العالمين، وإرادته البيان والتوضيح لعباده.

وتم احتمال أحسن من هذا، وهو أن المراد بالذرية الجنس، وأنهم هم بأنفسهم؛ لأنهم هم من ذرية بني آدم، ولكن ينقض هذا المعنى قوله: (وَحَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾) إن أريد: وخلقنا من مثل ذلك الفلك، أي: لهؤلاء المخاطبين، ما يركبون من أنواع الفلك، فيكون ذلك تكريراً للمعنى، تأباه فصاحة القرآن. فإن أريد بقوله: (وَحَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾) الإبل، التي

هي سفن البر، استقام المعنى واتضح، إلا أنه يبقى أيضاً، أن يكون الكلام فيه تشويش، فإنه لو أريد هذا المعنى، لقال: **وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَاهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ**، فأما أن يقول في الأول: وحملنا ذريتهم، وفي الثاني: حملناهم، فإنه لا يظهر المعنى إلا أن يقال: الضمير عائد إلى الذرية، والله أعلم بحقيقة الحال.

فلما وصلت في الكتابة إلى هذا الموضع، ظهر لي معنى ليس ببعيد من مراد الله تعالى، وذلك أن من عرف جلاله كتاب الله وبيانه التام من كل وجه، للأمور الحاضرة والماضية والمستقبلية، وأنه يذكر من كل معنى أعلاه وأكمل ما يكون من أحواله، وكانت الفلك من آياته تعالى ونعمه على عباده، من حين أنعم عليهم بتعلمها إلى يوم القيامة، ولم تزل موجودة في كل زمان، إلى زمان المواجهين بالقرآن.

فلما خاطبهم الله تعالى بالقرآن، وذكر حالة الفلك، وعلم تعالى أنه سيكون أعظم آيات الفلك في غير وقتهم، وفي غير زمانهم، حين يعلمهم صنعة الفلك البحرية الشراعية منها والبخارية، والجوية السابحة في الجو، كالطيور ونحوها، والمراكب البرية مما كانت الآية العظمى فيه لم توجد إلا في الذرية، نبه في الكتاب على أعلى نوع من أنواع آياتها فقال:

(وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾) أي: المملوء ركبانا وأمتعة.

فحملهم الله تعالى، ونجاهم بالأسباب التي علمهم الله بها، من الغرق. ولهذا نبههم على نعمته عليهم؛ حيث أنجاهم مع قدرته على ذلك، فقال: (وَلِنْ تَشَأْنُغْرِقَهُمْ فَلَا صَرَخَ لَهُمْ) أي: لا أحد يصرخ لهم فيعاونهم على الشدة، ولا يزيل عنهم المشقة، (وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٢﴾) مما هم فيه.



قال الله تعالى:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ
مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا
رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ
أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾
مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ
إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا مِنْ بَعَثِنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ
وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ
جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ
وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَهُمْ مَا
يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ
(٥٩)

س: اذكر معنى ما يلي:

(اتَّقُوا - مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ - وَمَا خَلْفَكُمْ - ءَايَةً - صَيْحَةً وَاحِدَةً - الْوَعْدُ - يَخِصِّمُونَ - تَوْصِيَةً - الصُّورِ - الْأَجْدَاثِ - يَنْسِلُونَ - شُغْلٍ - فَكَهْؤُنَ - ظِلِّلٍ - الْأَرَائِكِ - مُتَكِفُونَ - مَا يَدْعُونَ - سَلَمٌ قَوْلًا - وَامْتَرُوا).

ج:

الكلمة	معناها
(اتَّقُوا)	احذروا - اجعلوا وقاية بينكم وبين العذاب
(مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ)	العقوبات التي حلت بالأمم من قبلكم
(وَمَا خَلْفَكُمْ)	والعقوبات التي ستحل بمن كذبوا يوم القيامة (وقيل العكس)
(ءَايَةً)	دلالة على وحدانيتنا - معجزة
(صَيْحَةً وَاحِدَةً)	النفخة في الصور (النفخة الأولى)
(الْوَعْدُ)	ما وعدتمونا من العذاب ومن قيام الساعة
(يَخِصِّمُونَ)	يتخاصمون بينهم في أمور الدنيا يجادلون في يوم القيامة (أيقع أم لا يقع) يغلب بعضهم بعضًا في الخصومة
(تَوْصِيَةً)	كتاب وصية - إخبار بوصية (إخبار بما يريدونه أن يقع بعد الوفاة)
(الصُّورِ)	قرنٌ يُنفخ فيه
(الْأَجْدَاثِ)	القبور
(يَنْسِلُونَ)	يخرجون مسرعين - يُسرعون

انشغال وعملٌ (انشغال عما فيه أهل النار) وعمل يتلذذون به من طعام لذيذ واستمتاع بالنساء واقتضاض للأبكار	(شُعْلٍ)
فرحون - معجبون - متلذذون - متفكهون بالكلام وبالطعام وبالتلذذ ونحو ذلك	(فَكَهَوْنَ)
جمع ظل	(ظِلَالٍ)
الأسرة في الحبال، والأسرة جمع سرير والحبال: جمع حجلة، وهي أشبه بالناموسية من حيث الوصف العام كالغرفة من حرير تحيط بالسرير	(الْأَرَائِكِ)
جالسون جلسة الاتكاء وهي الميل بأحد الشقين على السرير أو على مسند. وقيل: الاتكاء: التربع، وهي جلسة تنم عن راحة البال والهدوء.	(مُسْكُونٍ)
ما يتمنون - ما يطلبون - ما يسألون	(مَا يَدْعُونَ)
سلام من الله عليهم يقوله الله قولاً لهم بنفسه هـ. وقيل: (وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَمٌ): أي: لكم ما سألتكم خالصاً لكم	(سَلَمٌ قَوْلًا)
تميِّزوا - انفصلوا - انعزلوا - ابتعدوا	(وَأَمْتَرُوا)



بيان عناد الكفار وشقاقهم ومخالفتهم للرسول

س: وضع معنى قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾) .

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : وإذا قيل لأهل الشرك بالله والتكذيب لرسله احذروا النقم والعقوبات التي حلت بالأمم التي كانت من قبلكم احذروا أن يحل بكم مثل ما حلَّ بهم، واحذروا الذنوب التي تسبب لكم مثل تلك النقم، وتسبب تلك العقوبات لعل الله أن يرحمكم بتقواكم ويصرف عنكم العذاب، وكذا احذروا عذاب الآخرة.

إذا قيل لهم ذلك أعرضوا واستمروا معرضين فكلما جاءتهم آية من الآيات الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا وانتقامنا ممن خالفوا أمرنا وكذبوا رسلنا أعرضوا عنها وانصرفوا.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله، المكذبين رسوله محمداً □: احذروا ما مضى بين أيديكم من نقم الله ومثلاته بمن حل ذلك به من الأمم قبلكم أن يحل مثله بكم بشرككم وتكذيبكم رسوله. (وَمَا خَلَفَكُمْ) يقول: وما بعد هلاككم مما أنتم لاقوه إن هلكتم على كفركم الذي أنتم عليه (لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾) يقول: ليرحمكم ربكم إن أنتم حذرتم ذلك، واتقيتموه بالتوبة من شرككم والإيمان به، ولزوم طاعته فيما أوجب عليكم من فرائضه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) وقائع

الله فيمن خلا قبلهم من الأمم وما خلفهم من أمر الساعة.

وقوله: (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾) يقول تعالى ذكره: وما تجيء هؤلاء المشركين من قریش آية -يعني: حجة من حجج الله- وعلامة من علاماته على حقيقة توحيده، وتصديق رسوله، إلا كانوا عنها معرضين، لا يتفكرون فيها، ولا يتدبرونها، فيعلموا بها ما احتج الله عليهم بها.

فإن قال قائل: وأين جواب قوله: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ)؟ قيل: جوابه وجواب قوله: (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ ...) قوله: (إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾)؛ لأن الإعراض منهم كان عن كل آية لله، فاكتفي بالجواب عن قوله: (اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) وعن قوله: (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ) بالخبر عن إعراضهم عنها لذلك؛ لأن معنى الكلام: وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا، وإذا أنتهم آية أعرضوا.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبراً عن تمادي المشركين في غيهم وضلالهم، وعدم أكثراتهم بذنوبهم التي أسلفوها، وما هم يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ) قال مجاهد: من الذنوب. وقال غيره بالعكس، (لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾) أي: لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه. وتقدير كلامه: أنهم لا يجيبون إلى ذلك ويعرضون عنه. واكتفى عن ذلك بقوله: (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ) أي: على التوحيد وصدق الرسل (إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾) أي: لا يتأملونها ولا ينتفعون بها.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ) قال قتادة: يعني: (اتَّقُوا

مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) أي: من الوقائع فيمن كان قبلكم من الأمم (وَمَا خَلَفَكُمْ) من الآخرة. ابن عباس وابن جبير ومجاهد: (مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) ما مضى من الذنوب (وَمَا خَلَفَكُمْ) ما يأتي من الذنوب. الحسن: (مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) ما مضى من أجلكم (وَمَا خَلَفَكُمْ) ما بقي منه وقيل: (مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) من الدنيا (وَمَا خَلَفَكُمْ) من عذاب الآخرة قاله سفيان وحكى عكس هذا القول الثعلبي عن ابن عباس قال: (مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) من أمر الآخرة وما عملوا لها (وَمَا خَلَفَكُمْ) من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها. وقيل: (مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) ما ظهر لكم (وَمَا خَلَفَكُمْ) ما خفي عنكم والجواب محذوف والتقدير: إذا قيل لهم ذلك أعرضوا، دليله قوله بعد: (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٦٦﴾) فاكتمى بهذا عن ذلك.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - : وإذا قيل لأهل الكفر والجحود والنكران والتكذيب بوحداية الله: أنفقوا على الفقراء والمساكين والمحاييج، وكذا ابذلوا من المال الذي رزقكم ما كان جوابهم لأهل الإيمان إلا السخرية والاستهزاء، ما كان جوابهم إلا أن قالوا: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه؟! أي: دعوا الفقير فقيراً، فلو أراد الله له الغنى لأغناه، فقولهم: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه، كلمة حق أريد بها باطل، وذلك أنهم استدلوا به على البخل وحرمان الفقراء والمساكين، في الوقت الذي أمرهم فيه بالإنفاق والإحسان للفقراء، فخالفوا الأمر الشرعي الديني الذي أمرهم الله به.

أما قول: (إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾) ففيه قولان لأهل العلم:

أحدهما: أنه قول الكفار لأهل الإيمان لما أمرهم بالإنفاق.

الثاني: أنه قول الله ﷻ لأهل الكفر.

وحاصل معناه: إن أنتم إلا في ذهاب عن الحق وبُعد عن الحق مظهرٌ

لمن تأمل حالكم أنكم مبتعدين عن الحق منحرفين عنه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله: أنفقوا من رزق الله

الذي رزقكم، فأدوا منه ما فرض الله عليكم فيه لأهل حاجتكم ومسكنتكم،

قال الذين أنكروا وحدانية الله، وعبدوا من دونه للذين آمنوا بالله ورسوله:

أنطعم أموالنا وطعامنا من لو يشاء الله أطعمه.

وفي قوله: (إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾) وجهان:

أحدهما: أن يكون من قيل الكفار للمؤمنين، فيكون تأويل الكلام حينئذ:

ما أنتم أيها القوم في قيلكم لنا: أنفقوا مما رزقكم الله على مساكنكم، إلا في

ذهاب عن الحق، وجور عن الرشد مبين لمن تأمله وتدبره، أنه في

ضلال، وهذا أولى وجهيه بتأويله.

والوجه الآخر: أن يكون ذلك من قيل الله للمشركين، فيكون تأويله

حينئذ: ما أنتم أيها الكافرون في قيلكم للمؤمنين: أنطعم من لو يشاء الله

أطعمه، إلا في ضلال مبين عن أن قيلكم ذلك لهم ضلال.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) أي: وإذا أمروا بالإنفاق مما رزقهم

الله على الفقراء والمحاويج من المسلمين (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا) أي: عن الذين آمنوا من الفقراء، أي: قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالإنفاق محاجين لهم فيما أمرهم به: (أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ) أي: وهؤلاء الذين أمرتمونا بالإنفاق عليهم، لو شاء الله لأغناهم ولأطعمهم من رزقه، فنحن نوافق مشيئة الله فيهم، (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾) أي: في أمركم لنا بذلك.

قال القرطبي \$:

وقيل: قالوا هذا تعلقاً بقول المؤمنين لهم: (انْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) [يس: ٤٧] أي: فإذا كان الله رزقنا فهو قادر على أن يرزقكم فلم تلتمسون الرزق منا؟ وكان هذا الاحتجاج باطلاً؛ لأن الله تعالى إذا ملك عبداً ما لا ثم أوجب عليه فيه حقاً فكأنه انتزع ذلك القدر منه فلا معنى للاعتراض وقد صدقوا في قولهم: لو شاء الله أطعمهم ولكن كذبوا في الاحتجاج ومثله قوله: (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا) [الأنعام: ١٤٨] وقوله: (قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾) [المنافقون: ١] (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾) قيل: هو من قول الكفار للمؤمنين أي في سؤال المال وفي اتباعكم محمداً، قال معناه مقاتل وغيره وقيل: هو من قول أصحاب النبي □ لهم وقيل: من قول الله تعالى للكفار حين ردوا بهذا الجواب.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾).

ج: هذا - والله أعلم - بيان لاستهزاء الكفار بالمرسلين، وبيان لتكذيبهم بالبعث، فإنهم إذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون،

وإذا قيل لهم: (إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾)، وسيأتي يوم القيامة، يظهر فيه خطؤكم ويظهر فيه صدق ما جاءكم به الرسل عليهم الصلاة والسلام، وصدق ما جاء في الكتب المنزلة من عند الله، قالوا مستنكرين مستبشرين مستهزئين: متى يتحقق هذا الوعد؟! متى تقوم الساعة؟! أرونا هذا اليوم، أرونا هذا العذاب.

فيقول تعالى: (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾) وحاصل معناه - والعلم عند الله - ما ينتظر هؤلاء حتى يؤمنوا إلا الصيحة الواحدة، وهي نفخة الصور الأولى نفخة الفزع، فحينئذ يؤمنوا، ولن ينفعهم إيمانهم آنذاك، إن هذه الصيحة تأخذهم وهم في خصومات فيما بينهم في أمور الدنيا، تأخذهم أيضاً وهم يتجادلون في الساعة وينكرونها، تأخذهم وبعضهم يخصم بعضاً بالحجة، تأخذهم فجأة وبغته فلا يستطيع أحدهم أن يوصي بالذي يوصى فيه، ولا يستطيع عندها أحد أن يرجع إلى أهله فقد قضى الأمر، وحيل بين أقوام وبين ما يشتهون.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري \$:

في تأويل قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾).

يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون المكذبون وعيد الله، والبعث بعد الممات، يستعجلون ربهم بالعذاب (مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) أي: الوعد بقيام الساعة (إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾) أيها القوم، وهذا قولهم لأهل الإيمان بالله ورسوله.

القول في تأويل قوله تعالى: (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ

﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾.

يقول تعالى ذكره: ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم، إلا صيحة واحدة تأخذهم، وذلك نفخة الفرع عند قيام الساعة. وأورد بإسنادٍ صحيح عن أبي المغيرة القواس، عن عبد الله بن عمرو، قال: لينفخ في الصور، والناس في طرقهم وأسواقهم ومجالسهم، حتى إن الثوب ليكون بين الرجلين يتساومان، فما يرسله أحدهما من يده حتى ينفخ في الصور، وحتى إن الرجل ليغدو من بيته فلا يرجع حتى ينفخ في الصور، وهي التي قال الله: (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً... الآية).

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول: «تهيج الساعة بالناس والرجل يسقي ماشيته، والرجل يصلح حوضه، والرجل يقيم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه، وتهيج بهم وهم كذلك، فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون».

وقال §:

واختلفت القراء في قراءة قوله: (وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة: (وهم يخصمون) بسكون الخاء وتشديد الصاد، فجمع بين الساكنين، بمعنى: يختصمون، ثم أدغم التاء في الصاد فجعلها صاءً مشددة، وترك الخاء على سكونها في الأصل. وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين: (وهم يخصمون) بفتح الخاء وتشديد الصاد بمعنى: يختصمون، غير أنهم نقلوا حركة التاء وهي الفتحة التي في يفتعلون إلى

الخاء منها، فحركوها بتحريكها، وأدغموا التاء في الصاد وشددوها. وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة: (يَخْصِمُونَ ﴿٤٩﴾) بكسر الخاء وتشديد الصاد، فكسروا الخاء بكسر الصاد وأدغموا التاء في الصاد وشددوها. وقرأ ذلك آخرون منهم: (يَخْصِمُونَ) بسكون الخاء وتخفيف الصاد، بمعنى: (يفعلون) من الخصومة، وكأن معنى قارئ ذلك كذلك: كأنهم يتكلمون، أو يكون معناه عنده: كان وهم عند أنفسهم يخصمون من وعدهم مجيء الساعة، وقيام القيامة، ويغلبونه بالجدل في ذلك.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن هذه قراءات مشهورات معروفة في قراء الأمصار، متقاربات المعاني، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) يقول تعالى ذكره: فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ في الصور أن يوصوا في أموالهم أحدًا (وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾) يقول: ولا يستطيع من كان منهم خارجًا عن أهله أن يرجع إليهم؛ لأنهم لا يمهلون بذلك. ولكن يعجلون بالهلاك.

قال الحافظ ابن كثير §:

يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم: (مَنْ هَذَا الْوَعْدُ؟) (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) [الشورى: ١٨]، قال الله تعالى: (مَا يَنْتَظِرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾) أي: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة، وهذه - والله أعلم - نفخة الفزع، ينفخ في الصور نفخة الفزع، والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم، فبينما هم كذلك؛ إذ أمر الله تعالى إسرأفيل فنفخ في الصور نفخة يطوّلها ويمدّها، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى ليتها، ورفع ليتها - وهي صفحة العنق -

يتسمع الصوت من قبل السماء. ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار، تحيط بهم من جوانبهم؛ ولهذا قال: (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً) أي: على ما يملكونه، الأمر أهم من ذلك، (وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾). وقد وردت هاهنا آثار وأحاديث ذكرناها في موضع آخر ثم يكون بعد هذا نفخة الصعق، التي تموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم، ثم بعد ذلك نفخة البعث.

وقال القرطبي \$:

(فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً) أي: لا يستطيع بعضهم أن يوصي بعضاً لما في يده من حق وقيل: لا يستطيع أن يوصي بعضهم بعضاً بالتوبة والإقلاع بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم (وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾) إذا ماتوا وقيل: إن معنى (وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾) لا يرجعون إليهم قولاً، وقال قتادة: (وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾) أي: إلى منازلهم لأنهم قد أعجلوا عن ذلك.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾) قَالُوا يَوَيْلَنَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾
إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾).

ج: هذا بعض البيان لما يحدث يوم القيامة ينفخ إسرافيل غ في الصور، وهو قرن يُنفخ فيه، وقد قيل إن هذه النفخة هي الثانية (على رأي من قال إنها نفختان فقط)، وقد قيل: إنها نفخة ثالثة (على رأي من قال إنها ثلاث نفحات).

وعلى كلّ فهي نفخة البعث من القبور، ينفخها إسرافيل غ، فإذا بالخلق

قد اجتمعت عظامهم المتفرقة وأشلائهم المتمزقة، وإذا بالحياة تدب فيهم بعد الممات، وبعد طول رقود، فإذا هم من القبور يخرجون إلى ربهم مسرعين كما قال تعالى: (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ) ﴿٤٣﴾ **المعارج: ٤٣.**

وهنا قال تعالى: (فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ) أي: من القبور (إِلَى رَبِّهِمْ يَسْلُوكُ) يخرجون مسرعين، فعندها يقولون: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا، وقد قال بعض أهل العلم: إنهم ينامون نومة بين النفختين.

وقال آخرون: إنما أرادوا بقولهم من مرقدنا من نومتنا التي نمناها بعد إذ قبضنا في الحياة الدنيا ومتنا فيها.

أما قوله: (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) ﴿٥٢﴾ فلاهل العلم في قائله أقوال:

أحدها: أنه قول أهل الإيمان يجيبون به الكفار، فإذا قال الكفار: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا، أجابهم أهل الإيمان بقولهم: (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) ﴿٥٢﴾.

والثاني: أنه قول الملائكة، هي التي أجابت أهل الكفر.

والثالث: أنه قول الكفار أنفسهم لبعضهم لبعض، وجواباً منهم لأنفسهم.

أما عن معنى قوله: (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) ﴿٥٢﴾ فحاصل معناه هذا الذي وعدكم الرحمن به، فقد وعدكم أنكم ستبعثون، فلما سألتهم متى هذا الوعد؛ فما هو الوعد قد تحقق وصدق المرسلون فيما أخبروا به عن الله ٥. أما قوله تعالى: (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) فحاصل معناه: أن أمر بعثكم ما شق علينا ولا أرهقنا فما كان بعثكم من قبوركم إلا بنفخة واحدة نفخها الملك الموكل بالنفخ في الصور

فإذا جميع بني آدم، وجميع الخلق عند الله ٥ محضرون يوم القيامة، ففي هذا اليوم لا تُبخس نفس شيئاً من حقها، ولا تجزي إلا بما عملت. وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رحمه الله تعالى:

ويعني بهذه النفخة: نفخة البعث.

وقوله: (فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ) يعني من أجداثهم، وهي قبورهم، واحدها جدث.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ) أي: من القبور.

وقوله: (إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) (٥١) يقول: إلى ربهم يخرجون سراعاً، والنسلان: الإسراع في المشي.

قال الطبري:

وقوله: (قَالُوا يَنْوَلِّئُنَا مِنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدًا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون لما نفخ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة فردت أرواحهم إلى أجسامهم، وذلك بعد نومة ناموها (يَنْوَلِّئُنَا مِنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدًا) وقد قيل: إن ذلك نومة بين النفختين.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

*** ذكر من قال ذلك:**

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن خيثمة، عن الحسن، عن أبي بن كعب، في قوله: (يَنْوَلِّئُنَا مِنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدًا) قال: ناموا نومة قبل البعث.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (قَالُوا يَنْوَلِّئُنَا مِنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدًا) هذا قول أهل

الضلالة، والرقدة ما بين النفختين.

وأورد الطبري رحمه الله تعالى اختلاف العلماء في تعيين القائل: (هَذَا

مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾) هل هم الكفار أم المؤمنون، واختار أنه قول أهل الإيمان، فقال:

أشبه بظاهر التنزيل، وهو أن يكون من كلام المؤمنين؛ لأن الكفار في قيلهم (مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقِدَاتٍ) دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مرقدهم جهلاً، ولذلك من جهلهم استثبتوا، ومحال أن يكونوا استثبتوا ذلك إلا من غيرهم، ممن خالفت صفته صفتهم في ذلك.

وانتصر ابن كثير § لقول الطبري - كما سيأتي بيانه - إن شاء الله.

قال الطبري:

وقوله: (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٢﴾) يقول تعالى ذكره: إن كانت إعادتهم أحياء بعد مماتهم إلا صيحة واحدة، وهي النفخة الثالثة في الصور (فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٢﴾) يقول: فإذا هم مجتمعون لدينا قد أحضروا، فأشهدوا موقف العرض والحساب، لم يتخلف عنه منهم أحد. وقد بينا اختلاف المختلفين في قراءتهم (إِلَّا صِيحَةً) بالنصب والرفع فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

في تأويل قوله تعالى: (فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾).

يقول تعالى ذكره: (فَالْيَوْمَ) يعني: يوم القيامة (لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا) كذلك ربنا لا يظلم نفساً شيئاً، فلا يوفيها جزاء عملها الصالح، ولا يحمل عليها وزر غيرها، ولكنه يوفي كل نفس أجر ما عملت من صالح، ولا يعاقبها

إلا بما اجترمت واكتسبت من شيء (وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾) يقول: ولا تكافئون إلا مكافأة أعمالكم التي كنتم تعملونها في الدنيا.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

هذه هي النفخة الثالثة، وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الأجداث والقبور؛ ولهذا قال: (فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾) والنَّسْلَانِ هو: المشي السريع، كما قال تعالى: (يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُؤْفَضُونَ ﴿٤٣﴾).

[المعارج: ٤٣]

(قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدًا؟) يعنون: قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها، فلما عاينوا ما كذبوه في محشرهم (قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدًا؟)، وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد.

وقال أَبِي بن كعب، ومجاهد، والحسن، وقتادة: ينامون نومة قبل البعث.

قال قتادة: وذلك بين النفختين.

فلذلك يقولون: (مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدًا؟)، فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون -قاله غير واحد من السلف-: (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾).

وقال الحسن: إنما يجيبهم بذلك الملائكة.

ولا منافاة؛ إذ الجمع ممكن - والله أعلم.

وقال عبد الرحمن بن زيد: الجميع من قول الكفار: (يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدًا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾).

نقله ابن جرير، واختار الأول، وهو أصح، وذلك كقوله تعالى في

الصفات: (وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِيبُكَ ﴿٢١﴾)
[الصفات: ٢٠، ٢١]، وقال تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُثْبِتُ غَيْرَ
 سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾) وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى
 يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾) **[الروم: ٥٥، ٥٦]**.

وقوله: (إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾)، كقوله:
 (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾) **[النازعات: ١٣، ١٤]**. وقال تعالى:
 (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) **[النحل: ٧٧]**، وقال: (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ
 فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾) **[الإسراء: ٥٢]**.

أي: إنما نأمرهم أمراً واحداً، فإذا الجميع محضرون، (فَأَلْيَوْمَ لَا تَظْلَمُ
 نَفْسٌ شَيْئًا) أي: من عملها، (وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾) .
شبهة ودفعها

س: كيف يُجاب على نفاة عذاب القبر إذا استدلوا على قيلهم بقوله تعالى:
(قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا)؟

ج: يجاب عليهم، أولاً: بالكم الهائل من الآيات والأحاديث التي أثبتت
 عذاب القبر، وقد قدمت كثيراً منها عند تفسير قوله تعالى في شأن قوم
 فرعون: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ...) **[غافر: ٤٦]**.

وقوله تعالى في شأن قوم نوح: (مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذَلُّوا نَارًا) [نوح:
٢٥].

وعند قوله تعالى: (أَلَهْنَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾) [التكاثر: ١-٢].
ثانياً: حمل بعض أهل العلم قول الكفار (يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) على
 نومة ناموها بين النفختين وقد تقدم القول في هذا.

ثالثاً: وهو ما نقله القرطبي؛ إذ قال: وقال أهل المعاني: إن الكفار إذا

عاینوا جهنم وما فیها من أنواع العذاب صار ما عذبوا به فی قبورهم إلى جنب عذابها كالنوم.

أقول، ذلك كالذي دخلت فی رجله شوكة فألمته فبات لیلۃ متألمًا، ثم نُشرت رجله بالمنشار، فإنه لن یذكر بعد نشر رجله ما ألمَّ به من أثر الشوكة، فقد أنساه نشر رجله بالمنشار ما كان من أمر الشوكة بلا شك؛ والله أعلم.



س: وضع معنی قوله تعالى: (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَنَكُهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْيَافِ مُتَكَفُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَكُهُةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾).

ج: هذا بیان لبعض النعيم الذي يعيشه أهل الجنة، إنهم فی انشغال عما فیہ أهل النار، فی انشغال بالتلذذ بالحرور الحسان، فی انشغال باقتصاص العذارى (الأبكار) فی انشغال بما هم فیہ من صنوف النعيم، معجبون ومتلذذون ومتفكهون وفرحون.

وهم وأزواجهم فی ظلال (وهي جمع ظل) قد جلسوا جلسة الاتكاء وهي الميل بأحد الشقين على الوسادة التي على السرير، وقيل: إن الاتكاء التربع، لهم فی هذه الجنات وتلك الظلال فاكهة من كل صنوف الفاكهة ولهم ما یتمنون ویسألون، ثم إن الله ۛ یُسَلِّمُ علیهم بنفسه - سبحانه وتعالى- قولاً یقوله بنفسه سلام صادر من ربِّ رحیم، ربِّ لم یؤاخذهم بما أسلفوا من دنیاهم من المعاصي بل عفا عنهم وتجاوز وتكرَّم، وقد ورد وجه آخر لأهل العلم فی تفسير قوله: (سَلَامٌ) أنه متعلق بما قبله فالمعنی (وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ

(٥٧) أي: ما يسألون وما يطلبون خالصٌ لهم قولاً قاله الله ٥.

وقيل: ولهم ما يدعون ذا سلام أو سلامة أو سلمًا معنى هذا لا يحسن الوقف على (مَائِدَعُونَ) ذكره القرطبي.

* وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

وقوله: (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكُهُونَ) (٥٥) اختلف أهل التأويل في معنى الشغل الذي وصف الله جل ثناؤه أصحاب الجنة أنهم فيه يوم القيامة، فقال بعضهم: ذلك افتضاض العذارى.

وقال آخرون: بل عني بذلك أنهم في نعمة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم في شغل عما فيه أهل النار.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) وهم أهلها (فِي شُغْلٍ فَاكُهُونَ) (٥٥) بنعم تأتيهم في شغل، وذلك الشغل الذي هم فيه نعمة، وافتضاض أباكرا، ولهو ولذة، وشغل عما يلقي أهل النار.

وأورد معاني لكلمة فاكهون وقراءتين لها (فاكهون) و(فكهون)، ومن معانيها أوردتها (فَكَهُونَ) (٥٥) فرحون - عجبون - كثير الفواكه - صاحب فاكهة ومن معاني فكهون الفكه الذي يتفكّه، ونقل عن بعض أهل العلم بكلام العرب: تقول للرجل الذي يتفكّه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس، إن فلاناً لفكه بأعراض الناس.

ثم قال الطبري \$:

ويعني بقوله: (هُمْ) أصحاب الجنة (وَأَزْوَاجُهُمْ) من أهل الجنة في الجنة

وقال:

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعضهم: (في ظلل) بمعنى: جمع ظلة، كما تجمع الحلة حلالاً. وقرأه آخرون: (في ظِلَلٍ)؛ وإذا قرئ ذلك كذلك كان له وجهان:

أحدهما: أن يكون مراداً به جمع الظلل الذي هو بمعنى الكِنِّ، فيكون معنى الكلمة حينئذٍ: هم وأزواجهم في كِنٍّ لا يضحون لشمس كما يضحى لها أهل الدنيا؛ لأنه لا شمس فيها.

والآخر: أن يكون مراداً به جمع ظلة، فيكون وجه جمعها كذلك نظير جمعهم الخلة في الكثرة: الخلال، والقللة: قلال.

وقوله: (عَلَى الْأَرْآئِكِ مَثْكُونٌ ﴿٥٦﴾) والأرائك: هي الحجال فيها السُّرر والفرش: واحدها أريكة.

وقوله: (لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ) يقول لهؤلاء الذين ذكرهم تبارك وتعالى من أهل الجنة في الجنة فاكهة: (وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾) يقول: ولهم فيها ما يتمنون. وذكر عن العرب أنها تقول: دع علي ما شئت أي: تمن علي ما شئت.

وقوله: (سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾) في رفع سلام وجهان في قول بعض نحويي الكوفة؛ أحدهما: أن يكون خبراً لما يدعون، فيكون معنى الكلام: ولهم ما يدعون مسلم لهم خالص. وإذا وجه معنى الكلام إلى ذلك كان القول حينئذٍ منصوباً توكيداً خارجاً من السلام، كأنه قيل: ولهم فيها ما يدعون مسلم خالص حقاً، كأنه قيل: قاله قولاً.

والوجه الثاني: أن يكون قوله: (سَلَامٌ) مرفوعاً على المدح، بمعنى: هو سلام لهم قولاً من الله. وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله: (سلاماً قولاً)

على أن الخبر متناه عند قوله: (وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾) ثم نصب سلامًا على التوكيد، بمعنى: مسلمًا قولًا. وكان بعض نحويي البصرة يقول: انتصب قولًا على البدل من اللفظ بالفعل، كأنه قال: أقول ذلك قولًا. قال: ومن نصبها نصبها على خبر المعرفة على قوله: (وَلَهُمْ) فيها (مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾). وذكر الطبري قوله وما اختاره بما أرى فيه تعارضًا وتضاربًا فأعرضت عن ذكره ثم قال \$: وقوله: (مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾) يعني: رحيم بهم إذ لم يعاقبهم بما سلف لهم من جرم في الدنيا.

قال السعدي \$:

ولهم أيضًا (سَلَامٌ) حاصل لهم (قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾) ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكده بقوله: (قَوْلًا) وإذا سلم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرؤوف الرحيم لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدًا، فلولا أن الله تعالى قَدَّرَ أن يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك. ففرجو ربنا أن لا يحرمننا ذلك النعيم، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَأَمْتَنُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: وانفصلوا يا أهل الإجرام، يا أهل الشرك عن أهل الإيمان وانعزلوا عنهم كما قال تعالى: (وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُومِّدُ

يَنْفَرُقُونَ).

[الروم: ١٤]

وكما قال: (يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ ﴿٤٣﴾) [الروم: ٤٣].

وكما قال: (فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ).

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

يعني بقوله: (وَأَمَرُوا): تميزوا؛ وهي افتعلوا، من ماز يميز، فعل يفعل منه: امتاز يمتاز امتيازًا.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبرًا عما يؤول إليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا، بمعنى: يتميزون عن المؤمنين في موقفهم،

كقوله تعالى: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا

بَيْنَهُمْ) [يونس: ٢٨].

وقال تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذِ يَنْفَرُقُونَ ﴿١٤﴾) [الروم: ١٤]، (يَوْمَئِذٍ

يَصْدَعُونَ ﴿٤٣﴾) [الروم: ٤٣] أي: يصيرون صدعين فرقتين، ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا

وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْحَنِيمِ ﴿٢٣﴾) [الصافات: ٢٢، ٢٣].



قال الله تعالى:

(﴿٦٠﴾ أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَآدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦١﴾ وَأَن أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾) [يس: ٦٠-٧٠]

س: وضع معنى ما يلي:

(أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ - لَا تَعْبُدُوا - أَضَلَّ - حِيَلًا - أَصْلَوْهَا - نَخْتُمُ - لَطَمَسْنَا - فَاسْتَبَقُوا
الْصِّرَاطَ - فَأَنَّى يُبْصِرُونَ - لَمَسَخْنَاهُمْ - عَلَى مَكَاتَتِهِمْ - مُضِيًّا - وَلَا يَرْجِعُونَ -
نُنَكِّسُهُ - ذِكْرٌ).

ج:

معناها	الكلمة
أوصيكم - أمركم - أخذ عليكم عهدًا	(أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ)
لا تطيعوا	(لَا تَعْبُدُوا)
صرف عن الحق	(أَضَلَّ)
خلقًا - أممًا	(حِيَلًا)
ادخلوها مصلين بحرًا	(أَصْلَوْهَا)
نطبع	(نَخْتُمُ)
لأعميناهم - لذهبنا بأبصارهم	(لَطَمَسْنَا)
ابتدروا الطريق - اتجهوا إلى الطريق ليسيروا فيه	(فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ)
من أي وجه يرون	(فَأَنَّى يُبْصِرُونَ)
غيرنا حالتهم إلى صور آخر كأحجار ونحوها	(لَمَسَخْنَاهُمْ)
في مكانهم - على هيئتهم - في بيوتهم	(عَلَى مَكَاتَتِهِمْ)
تقدمًا للأمام	(مُضِيًّا)
لا يستطيعون تأخرًا ورجوعًا	(وَلَا يَرْجِعُونَ)
نرده إلى مثل حال طفولته ضعيف البدن والعقل	(نُنَكِّسُهُ)



س: وضع معنى قوله تعالى: (﴿لَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىْ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ١٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِثْلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٣﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٤﴾).

ج: معناه - والعلم عند الله - ألم أوصيكم وأمركم وأخذ عليكم العهد يا بني آدم ألا تطيعوا الشيطان وألا تتبعوا خطواته، وألم أبين لكم يا بني آدم عداوة الشيطان لكم، وأوضح لكم أنه قد أظهر عداوته وأفصح عنها يوم أن أخرج أبويكم من الجنة، وألم أعهد إليكم يا بني آدم وألم أمركم أن تفردوني بالعبادة ولا تشركوا بي شيئاً فإن هذا هو الصراط المستقيم، هو عبادتي وحدي لا شريك لي وترك عبادة الشيطان وطاعته.

لقد أضل الشيطان منكم خلقاً كثيراً وأغواهم وصرفهم عن طريق الحق إلى طريق الباطل، وعن طريق الإيمان إلى طريق الكفر والطغيان، أفلم تكونوا تتفكرون في هذا، فهذه جهنم يا أهل الكفر التي حذرناكم منها ووعدناكم بها إن أنتم أصررتم على البقاء على الكفر وعلى التمسك بالشرك واتباع خطوات الشيطان، هذه جهنم التي وعدناكم بها وكذبتم بها، ادخلوا مصليين بحر ها وسمومها ادخلوها فاحترقوا بها، ادخلوها ولتحيط بكم من جميع جوانبها، ادخلوها واحترقوا بها بسبب كفركم وعنادكم وشرككم واتباعكم الشيطان وترك عبادة الله ٥.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري \$:

وقوله: (﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَآدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾) وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه منه، وهو: ثم يقال: ألم أعهد إليكم يا بني آدم، يقول: ألم أوصكم وأمركم في الدنيا أن لا تعبدوا الشيطان فتطيعوه في معصية الله (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) (١٠) يقول: وأقول لكم: إن الشيطان لكم عدو مبين، قد أبان لكم عداوته بامتناعه من السجود لأبيكم آدم حسداً منه له، على ما كان الله أعطاه من الكرامة، وغروره إياه حتى أخرجته وزوجته من الجنة.

وقوله: (وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (١١) يقول: وألم أعهد إليكم أن اعبدوني دون كل ما سواي من الآلهة والأنداد، وإياي فأطيعوا، فإن إخلاص عبادتي، وإفراد طاعتي، ومعصية الشيطان، هو الدين الصحيح، والطريق المستقيم.

وقال في تأويل قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) (١٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٣) أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٤) .
يعني تعالى ذكره بقوله: (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا) : ولقد صدَّ الشيطان منكم خلقاً كثيراً عن طاعتي، وإفرادي بالآلوهة حتى عبدوه، واتخذوا من دوني آلهة يعبدونها.

وقوله: (أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) (١٢) يقول: أفلم تكونوا تعقلون أيها المشركون إذ أطعتم الشيطان في عبادة غير الله أنه لا ينبغي لكم أن تطيعوا عدوكم وعدو الله، وتعبدوا غير الله. وقوله: (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (١٣) يقول: هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله، وتكذيبكم

رسله، فكنتم بها تكذبون. وقيل: إن جهنم أول باب من أبواب النار. وقوله: (أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾) يقول: احترقوا بها اليوم وردوها؛ يعني باليوم: يوم القيامة (بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾): يقول: بما كنتم تجحدونها في الدنيا، وتكذبون بها.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وقوله تعالى: (﴿٦٤﴾ أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٥﴾): هذا تقرير من الله للكفرة من بني آدم، الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين، وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم؛ ولهذا قال: (وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٦﴾) أي: قد أمرتكم في الدار الدنيا بعصيان الشيطان، وأمرتكم بعبادتي، وهذا هو الصراط المستقيم، فسلكتهم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به؛ ولهذا قال: (وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا)، يقال: «جِبَلًا» بكسر الجيم، وتشديد اللام. ويقال: «جُبَلًا» بضم الجيم والباء، وتخفيف اللام. ومنهم من يسكن الباء. والمراد بذلك الخلق الكثير، قاله مجاهد، والسُّدِّي، وقتادة، وسفيان بن عيينة.

وقوله: (أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾) أي: أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له، وعُدُّوكم إلى اتباع الشيطان؟!

قال القرطبي \$:

قوله تعالى: (﴿٦٧﴾ أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ) العهد هنا بمعنى الوصية أي: أَلَمْ أَوْصِكُمْ وَأَبْلَغْكُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ (أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) أي: لا تطيعوه في معصيتي، قال الكسائي: لا للنهي (وَأَنْ أَعْبُدُونِي) بكسر النون على

الأصل ومن ضم كره كسرة بعدها ضمة (هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾) أي عبادتي دين قويم قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ) أي أغوى (جِيلًا كَثِيرًا) أي خلقًا كثيرًا قاله مجاهد قتادة: جموعًا كثيرة. الكلبي: أمما كثيرة والمعنى واحد.

وقال القرطبي أيضًا في قوله تعالى: (أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾) عداوته وتعلموا أن الواجب طاعة الله، (هَذِهِ جَهَنَّمُ) أي تقول لهم خزنة جهنم هذه جهنم التي وعدتم فكذبتم بها.



شهادة الجوارح على أصحابها

س: وضع معنى قوله تعالى: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾).

ج: حاصل معنى الآية الكريمة أن جوارح الإنسان تشهد عليه يوم القيامة بما عمل، وذلك أن الإنسان الكافر يطلب يوم القيامة ألا يشهد عليه إلا نفسه فيختم على فيه، أي: يطبع على فمه ويغلق وتنطق سائر الأعضاء كما أفاده الحديث عن رسول الله ﷺ.

وقد قدمت شيئاً من ذلك في آيات سورة النور: (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾) [النور: ٢٤].

وآيات سورة فصلت: (حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾) وَقَالُوا لِمَ لُجُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾) [فصلت: ٢٠، ٢١].

وفي سورة البلد: (أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا

وَشَفَّيْتُ (٩) ... (البلد: ٧-٩).

أما الأحاديث عن رسول الله ﷺ فقد قدمناها أيضًا هنالك، ومنها ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك ^(١) قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك.

فقال: «هل تدرون مما أضحك؟».

قال: قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: «من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجز على نفسي إلا شاهدًا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال فيقول: بعدًا لكن وسحقًا، فعنك كنت أناضل».

وعبد الرزاق في مصنفه، وكذا غيره بسند حسن من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «إنكم تدعون مُفَدِّمَةً أفواهكم بالفدام، فأول ما يسأل عن أحدكم فخذ وكف» ^(٢).

قال الطبري \$:

يعني تعالى ذكره بقوله: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ): اليوم نطبع على أفواه المشركين، وذلك يوم القيامة (وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ) بما عملوا في الدنيا من معاصي الله (وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ) قيل: إن الذي ينطق من أرجلهم: أفخاذهم من الرجل اليسرى (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ^(٦٥) في الدنيا من الآثام.

وأورد الطبري بإسناد صحيح إلى يونس بن عبيد، عن حميد بن هلال،

(١) مسلم (٢٩٦٩).

(٢) عبد الرزاق في المصنف، وأحمد (٣/٥) وغيرهما.

قال: قال أبو بردة: قال أبو موسى: يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة، فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه، فيعترف فيقول: نعم أي رب عملت عملت عملت، قال: فيغفر الله له ذنوبه، ويستتره منها، فما على الأرض خليفة _____ تـ _____ رى _____ تلك الذنوب شيئاً، وتبدو حسناته، فود أن الناس كلهم يرونها؛ ويدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه ربه عمله فيجحد، ويقول أي رب، وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتك أي رب، ما عملته، فإذا فعل ذلك ختم على فيه. قال الأشعري: فإني أحسب أول ما ينطق منه لفخذه اليمنى ^(١)، ثم تلا (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾).



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ

فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾).

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: ولو نشاء لعاقبناهم في الدنيا بعقوبة عاجلة فأعميناهم فيها وسلبنا منهم الأبصار فجاءوا يبتدرون الطريق للمشي فيه فلم يستطيعوا المشي وقد سُلِبَت أبصارهم، فمن أي وجه يبصرون الطريق الذي يريدونه ويريدون سلوكه.

(١) كذا قال أبو موسى، وهناك أخبار مرفوعة إلى رسول الله ﷺ تفيد أنها فخذ الرجل اليسرى (انظر مسند أحمد ١٥١/٤).

الثاني: ولو نشاء لأضللناهم عن الهدى وأعميناهم عن الحق والصواب، فمن أي وجه يرون الحق ومن أي وجه تأتيهم الهداية وقد أضللناهم.

وهذا الوجه استبعده الطبري بما حاصله أنهم ضالون عن الهدى، فكيف يُقال ولو نشاء لطمسنا على أعينهم... ويراد به العمى عن الهدى وهم عميان؟!

قال الطبري \$:

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ) فقال بعضهم: معنى ذلك: ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى، وأضللناهم عن قصد المحجة.

قال: وقال آخرون: معنى ذلك، ولو نشاء لتركناهم عمياء، وأورد بإسناد صحيح عن الحسن، في قوله: (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) (١٦٠) قال: لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عميا يترددون.

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) (١٦١) يقول: لو شئنا لتركناهم عمياً يترددون. وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وقتادة أشبه بتأويل الكلام؛ لأن الله إنما تهدد به قومًا كفارًا، فلا وجه لأن يقال: وهم كفار، لو نشاء لأضللناهم وقد أضلهم، ولكنه قال: لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم، فطمسنا على أعينهم فصيرناهم عمياً لا يبصرون طريقاً، ولا يهتدون له؛ والطمس على العين: هو أن لا يكون بين جفني العين غر، وذلك هو الشق الذي بين الجفنين كما تطمس الريح الأثر، يقال: أعمى مطموس وطميس.

وقوله: (فَاسْتَبِقُوا الصِّرَاطَ) يقول: فابتدروا الطريق.

وقوله: (فَأَنزَلَ يُبْصِرُوكَ) (٦٦) يقول: فأني وجه يبصرون أن يسلكوه من الطرق، وقد طمسنا على أعينهم.

وقال الذين وجهوا تأويل قوله: (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ) إلى أنه معني به العمى عن الهدى، تأويل قوله: (فَأَنزَلَ يُبْصِرُوكَ) (٦٦): فأني يهتدون للحق.

قلت: وأورد القرطبي وجهًا ثالثًا أو تأويلًا آخر للقول الثاني حاصله: ولو نشاء لفقأنا عين ضلالتهم فجعلناهم يبصرون الحق ويهتدون إليه ويستبقوا إلى الصراط المستقيم، ولكننا ما فعلنا ذلك بهم فأني لهم الهداية.

قال القرطبي \$:

وقوله: (فَاسْتَبِقُوا الصِّرَاطَ) أي استبقوا الطريق ليجزوا (فَأَنزَلَ يُبْصِرُوكَ) أي فمن أين يبصرون، وقال عطاء ومقاتل و قتادة وروي عن ابن عباس^(١): ولو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم وأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فاهتدوا وأبصروا رشدهم وتبادروا إلى طريق الآخرة ثم قال: (فَأَنزَلَ يُبْصِرُوكَ) (٦٦) ولم نفعل ذلك بهم أي فكيف يهتدون وعين الهدى مطموسة على الضلال باقية.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ) (٦٧).

(١) ولم أقف على أسانيد صحيحة عنهم بذلك، والأسانيد التي أوردها الطبري عن بعضهم في هذا الباب ضعيفة، والله أعلم.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ولو نشاء لغيرنا حالتهم التي هم عليها كبشر ولحولناهم إلى أشياء أخر كحجارة جامدة في مكانها، ولجعلناهم متحجرين في أماكنهم فما استطاعوا تقدمًا ولا تأخرًا.

ولقد رؤيت صوراً لبعض البشر متجمدين كالأحجار على هيئاتهم، منهم متحجر وهو جالس، ومنهم وهو قائم، ومنهم وهو مائل، ومنهم من قد رفع يديه إلى فيه وتحجرت في طريق الوصول إلى الفم، وغير ذلك، فאלله أعلم.

قال الطبري \$:

وقوله: (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ) يقول تعالى ذكره: ولو نشاء لأقعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم في منازلهم (فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾) يقول: فلا يستطيعون أن يمشوا أمامهم، ولا أن يرجعوا وراءهم.

وأورد بإسناد صحيح عن الحسن: (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ) قال: لو نشاء لأقعدناهم.

وبإسناد حسن عن قتادة: (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ) أي: لأقعدناهم على أرجلهم (فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾) فلم يستطيعوا أن يتقدموا ولا يتأخروا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولو نشاء لأهلكناهم في منازلهم.

قال الطبري: والمكانة والمكان بمعنى واحد.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: ومن نمد له في العمر، ونحييه حياة طويلة في الدنيا نرده إلى مثل حاله في طفولته فيصير لا يعلم من بعد علم شيئاً؛ كما قال تعالى: (﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾) [الروم: ٥٤]، وكما قال تعالى: (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) [النحل: ٧٠].

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ) فنمد له في العمر (نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) نرده إلى مثل حاله في الصبا من الهرم والكبر، وذلك هو النكس في الخلق، فيصير لا يعلم شيئاً بعد العلم الذي كان يعلمه.

وقال الطبري \$:

عن قتادة قوله: (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) يقول: من نمد له في العمر ننكسه في الخلق، (لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا)، يعني الهرم. **ويعني تعالى ذكره بقوله:** (أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾): أفلا يعقل هؤلاء المشركون قدرة الله على ما يشاء بمعاينتهم ما يعاينون من تصرفه خلقه فيما شاء وأحب من صغر إلى كبر، ومن تنكيس بعد كبر في هرم.

وقال ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن ابن آدم أنه كلما طال عمره ردّ إلى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط، كما قال تعالى: (﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾) [الروم: ٥٤]. **وقال:** (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا)

[الحج: ٥].

والمراد من هذا - والله أعلم - الإخبار عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال، لا دار دوام واستقرار؛ ولهذا قال: (أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾) أي: يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم إلى الشَّيْبَةِ، ثم إلى الشيخوخة؛ ليعلموا أنهم خلُقوا لدار أخرى لا زوال لها ولا انتقال منها، ولا محيد عنها وهي الدار الآخرة.

وقال القرطبي \$:

وقال سفيان في قوله تعالى: (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) إذا بلغ ثمانين سنة تغير جسمه وضعفت قوته؛ قال الشاعر:

من عاش أخلقت الأيام جدته وخانه ثقتاه السمع والبصر

فطول العمر يصير الشباب هرمًا والقوة ضعفًا والزيادة نقصًا وهذا هو الغالب وقد تعود □ من أن يرد إلى أرذل العمر (أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾) أن من فعل هذا بكم قادر على بعثكم، وقرأ نافع و ابن ذكوان: (تعقلون) بالتاء، الباقون بالياء.



رسول الله ليس بشاعرٍ

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾) يُنذِرُ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحَقِّقُ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: وما علمنا رسول الله □ الشعر، وما يليق به ذلك ولا تسمح منزلته بذلك، فهو أجل من ذلك □، وما هو - أي وما رسول الله □ - إلا وقد أرسل لتذكير العباد، وقال البعض: إن المراد

بقوله: (إِنْ هُوَ) أي: القرآن، وما أنزل عليه قرآن موضح عن الله ٥ مراده؛ لينذر من كان قلبه حيًّا ويبقى من كان قلبه ميت على كفره وضلاله فيحق عليه ما كتبه الله عليه من الشقاوة - والله أعلم.

قال الطبري \$:

وقوله: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) يقول تعالى ذكره: وما علمنا محمدًا الشعر، وما ينبغي له أن يكون شاعرًا.

وقوله: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ) يقول تعالى ذكره: ما هو إلا ذكر، يعني بقوله: (إِنْ هُوَ) أي: محمد إلا ذكر لكم أيها الناس، ذكركم الله بإرساله إياه إليكم، ونبهكم به على حظكم. (وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٦﴾) يقول: وهذا الذي جاءكم به محمد قرآن مبين، يقول: يبين لمن تدبره بعقل ولب أنه تنزيل من الله أنزله إلى محمد، وأنه ليس بشعر ولا سجع كاهن.

وقوله: (لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا) يقول: إن محمد إلا ذكر لكم لينذر منكم أيها الناس من كان حي القلب، يعقل ما يقال له، ويفهم ما يبين له، غير ميت الفؤاد بلبيد.

قوله: (وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾) يقول: ويحق العذاب على أهل الكفر بالله، الموليين عن اتباعه، المعرضين عما أتاهاهم به من عند الله.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وقوله: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) يقول تعالى مخبرًا عن نبيه محمد □: إنه ما علمه الشعر، (وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) أي: وما هو في طبعه، فلا يحسنه ولا يحبه، ولا تقتضيه جبلته؛ ولهذا وَرَدَ أنه - عليه الصلاة والسلام - كان لا يحفظ بيتًا على وزنٍ منتظم، بل إن أنشده زَحَفَهُ أو لم يتمه.

وقال أيضاً:

ولهذا قال تعالى: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ) ويعني: محمداً □ ما علمه الله شعراً، (وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) أي: وما يصلح له، (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾) أي: ما هذا الذي علمناه، (إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾) أي: بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره. ولهذا قال: (يُنذِرُ مَنْ كَانَ حَيًّا) أي: لينذر هذا القرآن البين كلَّ حي على وجه الأرض، كقوله: (لَا تُذِرْكُم بِهِءٍ وَمَنْ بَلَغَ) [الأنعام: ١١٩]، وقال: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِءٍ مِنَ الْأَحْزَابِ فَآلَتَارُ مَوْعِدُهُ) [هود: ١١٧]. وإنما ينتفع بنذارته من هو حي القلب، مستنير البصيرة، كما قال قتادة: حي القلب، حي البصر. وقال الضحاك: يعني: عاقلاً (وَحَقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾) أي: هو رحمة للمؤمن، وحجة على الكافر.

وقال القرطبي \$:

أخبر تعالى عن حال نبيه □ ورد قول من قال من الكفار إنه شاعر وإن القرآن شعر بقوله: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) وكذلك كان رسول الله □ لا يقول الشعر ولا يزنه.

وقال أيضاً:

قوله تعالى: (وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) أي وما ينبغي له أن يقوله وجعل الله جلَّ وعزَّ ذلك علماً من أعلام نبيه غ لئلا تدخل الشبهة على من أرسل إليه فيظن أنه قوي على القرآن بما في طبعه من القوة على الشعر ولا اعتراض لمحد على هذا بما يتفق الوزن فيه من القرآن وكلام الرسول؛ لأن ما وافق وزنه وزن الشعر ولم يقصد به إلى الشعر ليس بشعر ولو كان شعراً لكان كل من نطق بموزون من العامة الذين لا يعرفون الوزن

شاعراً على ما تقدم بيانه.

وقال الزجاج: معنى (وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) أي ما يتسهل له قول الشعر لا الإنشاء (إِنْ هُوَ) أي هذا الذي يتلوه عليكم (إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾).

وقال في تفسير قوله: (يُنْذِرُ مَنْ كَانَ حَيًّا):

قوله تعالى: (لتنذر من كان حيا) أي: حي القلب قاله قتادة؛ الضحاك: عاقلاً، وقيل: المعنى لتنذر من كان مؤمناً في علم الله، هذا على قراءة التاء خطاباً للنبي غ وهي قراءة نافع وابن عامر وقرأ الباقرن بالياء على معنى لينذر الله عز وجل أو لينذر محمد □ أو لينذر القرآن وروي عن ابن السميع: (لينذر) بفتح الياء والذال (وَيَحْيَى الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾) أي وتجب الحجة بالقرآن على الكفرة.

قال السعدي §:

ينزه تعالى نبيه محمداً □، عما رماه به المشركون، من أنه شاعر، وأن الذي جاء به شعر فقال: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) أن يكون شاعراً، أي: هذا من جنس المحال أن يكون شاعراً؛ لأنه رشيد مهتدٍ، والشعراء غاؤون، يتبعهم الغاؤون، ولأن الله تعالى حسم جميع الشبه التي يتعلق بها الضالون على رسوله، فحسم أن يكون يكتب أو يقرأ، وأخبر أنه ما علمه الشعر وما ينبغي له، (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾) أي: ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الألباب، جميع المطالب الدينية، فهو مشتمل عليها أتم اشتمال، وهو يذكر العقول ما ركز الله في فطرها من الأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح.

(وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾) أي: مبين لما يطلب بيانه. ولهذا حذف المعمول، ليدل

على أنه مبين لجميع الحق بأدلتها التفصيلية والإجمالية، والباطل وأدلة بطلانه، أنزله الله كذلك على رسوله.



س: كيف يوفق بين قوله تعالى: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ مع ما ورد عن رسول الله ﷺ من كونه قال بعض أبيات الشعر في مواطن متعددة كقوله يوم حنين:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب (١)

وكقوله يوم الخندق وهم يحفرون:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا (٢)

وكقوله في مواطن أخر لما جرح أصبعه:

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت (٣)

إلى غير ذلك من المواطن التي أنشد فيها صلوات الله وسلامه عليه شعراً.

ج: ولأهل العلم على ذلك أجوبة منها:

أولاً: أن هذا من القليل النادر، والقليل النادر لا حكم له.

ثانياً: أنه قال ذلك تبعاً لغيره كالذي حدث يوم الخندق، فإنه قال ذلك تبعاً لأصحابه، قال ابن كثير: فإنهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون.

ثالثاً: أن ما صدر منه كقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

صدر منه اتفاقاً من غير قصدٍ لوزن شعر بل جرى على اللسان من غير قصد إليه. أشار إليه ابن كثير وغيره.

(١) البخاري (٢٨٦٤).

(٢) البخاري (٤١٠٤)، ومسلم (١٨٠٣).

(٣) البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦).

رابعاً: أن المراد بالنفي نفي نظم الشعر، وليس المراد إنشاءه، وقد توسع القرطبي \$ في الجواب، فقال:

إصابته الوزن أحياناً لا يوجب أنه يعلم الشعر وكذلك ما يأتي أحيانا من نثر كلامه ما يدخل في وزنه كقوله يوم حنين وغيره:

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وقوله:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فقد يأتي مثل ذلك في آيات القرآن وفي كل كلام وليس ذلك شعراً ولا في معناه كقوله تعالى: (لَنْ نَأْلُوهُ لَلْبَحْرِ تَنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ) [آل عمران: ٩٢] وقوله: (نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) [الصف: ١٣] وقوله: (وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ) [سبا: ١٣] إلى غير ذلك من الآيات وقد ذكر ابن العربي منها آيات وتكلم عليها وأخرجها عن الوزن على أن أبا الحسن الأخفش قال في قوله: «أنا النبي لا كذب» ليس بشعر، وقال الخليل في كتاب العين: إن ما جاء من السجع على جزأين لا يكون شعراً، وروي عنه أنه من منهوك الرجز وقد قيل: لا يكون من منهوك الرجز بالوقف على الباء من قوله: «لا كذب» ومن قوله: «عبد المطلب» ولم يعلم كيف قاله النبي ﷺ، قال ابن العربي والأظهر من حاله أنه قال: «لا كذب» الباء مرفوعة وبخفض الباء من عبد المطلب على الإضافة وقال النحاس: قال بعضهم: إنما الرواية بالإعراب وإذا كان بالإعراب لم يكن شعراً لأنه إذا فتح الباء من البيت الأول أو ضمها أو نونها وكسر الباء من البيت الثاني خرج عن وزن الشعر وقال بعضهم: ليس هذا الوزن من الشعر وهذا مكابرة الأعيان؛ لأن أشعار

العرب على هذا قد رواها الخليل وغيره وأما قوله: «هل أنت إلا أصبغاً دमित» فقول: إنه من بحر السريع وذلك لا يكون إلا إذا كسرت التاء من دमित فإن سكن لا يكون شعراً بحال؛ لأن هاتين الكلمتين على هذه الصفة تكون فعول ولا مدخل لفعول في بحر السريع ولعل النبي ﷺ قالها ساكنة التاء أو متحركة التاء من غير إشباع والمعول عليه في الانفصال على تسليم أن هذا شعر ويسقط الاعتراض ولا يلزم منه أن يكون النبي ﷺ عالماً بالشعر ولا شاعر، إن التمثيل بالبيت النزر وإصابة القافيتين من الرجز وغيره لا يوجب أن يكون قائلها عالماً بالشعر ولا يسمى شاعراً باتفاق العلماء كما أن من خاط خيطاً لا يكون خياطاً.

قال أبو إسحاق الزجاج: معنى (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ) وما علمناه أن يشعر أي ما جعلناه شاعراً وهذا لا يمنع أن ينشد شيئاً من الشعر، قال النحاس: وهذا من أحسن ما قيل في هذا، وقد قيل: إنما خبر الله عز وجل أنه ما علمه الله الشعر ولم يخبر أنه لا ينشد شعراً وهذا ظاهر الكلام وقيل فيه قول بين زعم صاحبه أنه إجماع من أهل اللغة وذلك أنهم قالوا: كل من قال قولاً موزوناً لا يقصد به إلى شعر فليس بشعر وإنما وافق الشعر وهذا قول بين، قالوا: وإنما الذي نفاه الله عن نبيه ﷺ فهو العلم بالشعر وأصنافه وأعارضه وقوافيه والاتصاف بقوله ولم يكن موصوفاً بذلك بالاتفاق؛ ألا ترى أن قريشاً تراوحت فيما يقولون للعرب فيه إذا قدموا عليهم الموسم، فقال بعضهم: نقول إنه شاعر، فقال أهل الفطنة منهم: والله لتكذبنكم العرب فإنهم يعرفون أصناف الشعر فوالله ما يشبه شيئاً منها وما قوله بشعر، وقال أنيس أخو أبي ذر: لقد وضعت قوله على أقرء الشعر فلم يلتئم أنه

شعر أخرجه مسلم، وكان أنيس من أشعر العرب وكذلك عتبة بن أبي ربيعة لما كلمه: والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر على ما يأتي بيانه من خبره في سورة «فصلت» إن شاء الله تعالى، وكذلك قال غيرهما من فصحاء العرب العرباء واللسن البلغاء ثم إن ما يجري على اللسان من موزون الكلام لا يعد شعرًا وإنما يعد منه ما يجري على وزن الشعر مع القصد إليه فقد يقول القائل: حدثنا شيخ لنا وينادي يا صاحب الكسائي ولا يعد هذا شعرًا وقد كان رجل ينادي في مرضه وهو من عرض العامة العقلاء: اذهبوا بي إلى الطبيب وقولوا قد اكتوى.



س: هل الشعر كله مذموم، ولماذا قيل: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ...)?

ج: ليس الشعر كله مذموم بل منه ما هو حسن محمود، وقد قال تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا) [الشعراء: ٢٢٧]، وقد أقرَّ النبي ﷺ بعض أبيات الشعر، وبعض الصحابة الشعراء، بل وأمرهم بذلك، كما قال لحسان ق: «اهجهم وجبريل معك»، وفي الحديث: «إن من الشعر حكمة»^(١).

قال ابن كثير \$:

والله أعلم. على أن الشعر فيه ما هو مشروع، وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رَوَاحَة، وأمثالهم وأضرابهم رضي الله عنهم أجمعين. ومنه

(١) انظر البخاري (٦١٤٥)، (٨٧٢).

ما فيه حكم ومواعظ وآداب، كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية، ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه النبي الله ﷺ: «آمن شعره وكفر قلبه»، وقد أنشد بعض الصحابة منه للنبي ﷺ مائة بيت، يقول عقب كل بيت: «هيه». يعني يستطعمه، فيزيده من ذلك.

أما نفيه عن رسول الله ﷺ فلفائدة عظيمة، وهي عدم التباس الشعر بالقرآن.

وكذا لنفي ما كان أهل الجاهلية يتقولون ويصفون به رسول الله ﷺ من كونه شاعر. والله أعلم.



قال الله تعالى:

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكَةٌ ﴿٧١﴾
وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مِنْفَعٌ وَمَشَارِبٌ أَفْلا
يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا
يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ
خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ
رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ
الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾)

[يس: ٧١-٨٣]

س: اذكر معنى ما يلي:

(مَلِكُونَ - وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ - جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ - نُطْفَةٍ - خَصِيمٌ مُّبِينٌ - رَمِيمٌ - فَسَبَّحَنَ - مَلَكُوتُ).

ج:

الكلمة	معناها
(مَلِكُونَ)	متصرفون - قاهرون
(وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ)	سخرناها لهم - هيأناها لهم وجعلناها مطيعة لهم
(جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ)	جنودٌ مدافعون عن الأصنام يحضرون للدفاع عنها
(نُطْفَةٍ)	قطرة من مني
(خَصِيمٌ مُّبِينٌ)	مخاصم لربه ٥ مظهر لخصومته مبين لها
(رَمِيمٌ)	متفتتة بالية - تراب
(فَسَبَّحَنَ)	تنزهه عن كل ما لا يليق به وتنزهه عن الشريك والمثيل والندّ وال صاحبة والولد
(مَلَكُوتُ)	ملك - مقاليد - مفاتيح



س: وضح معنى قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ

لَهَا مَلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مَتَّعٌ وَمَشَارِبٌ أَفْلا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: أَوَلَمْ يَرَوْا هؤلاء الكفار، وأهل الشرك أنا

خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا، وهي الأنعام الثمانية، وقيل: المراد هنا

الإبل خاصة لعظمها، كما قال تعالى: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾...) .

[الغاشية: ١٧]

(فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ ﴿٧١﴾) أي: فهم فيها متصرفون، فالطفل الصغير منهم يقود الناقة العظيمة الهائلة، ولو شاء الله لأهلكته ولأهلك أباه، ولكن الله سخرها فتراها مسخرة، ولا تستطيع يا ابن آدم أن تسحر فأراً وتجعله مطيعاً لك.

أما قوله: (فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ) أي: فمنها مراكب لهم يركبونها ويسافرون عليها، (وهي الإبل) ومنها يأكلون (فالأنعام كلها تؤكل)، (وَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ)، ومن هذه المنافع ما ينتفعون به من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها وغير ذلك، (وَمَسَارِبٌ) يشربون من ألبانها ويأكلون من سمنائها، (أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾)، أفلا يقدمون شكراً لله عز وجل على هذه النعم، أفلا يحملهم هذا على تقديم شكرٍ لله ٥ متمثلاً في حمده باللسان، وفي توحيده، وفي شكره بالجنان وفي عمل طاعة لله بالجوارح والأركان؟! وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: (أَوَلَمْ يَرَوْا) هؤلاء المشركون بالله الآلهة والأوثان (أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَنَا) يقول: مما خلقنا من الخلق ^(١) (أَنَعَمَّا) وهي المواشي التي خلقها الله لبني آدم، فسخرها لهم من الإبل والبقر والغنم (فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ ﴿٧١﴾) يقول: فهم لها مصرفون كيف شاءوا بالقهر منهم لها والضبط.

(١) وليس في هذا نفي صفة اليد، فقد دلت عليها أدلة كثيرة جداً.

وقوله: (وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ) يقول: وذللنا لهم هذه الأنعام (فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ) يقول: فمنها ما يركبون كالإبل يسافرون عليها؛ يقال: هذه دابة ركوب، والركوب بالضم: هو الفعل (وَمِنْهَا يَأْكُؤْنَ ﴿٧٢﴾) لحومها.

وقال الطبري أيضاً:

يقول تعالى ذكره: ولهم في هذه الأنعام منافع، وذلك منافع في أصوافها وأوبارها وأشعارها باتخاذهم من ذلك أثاثاً ومتاعاً، ومن جلودها أكنائاً، ومشارب يشربون ألبانها.

وقوله: (أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾) يقول: أفلا يشكرون نعمتي هذه، وإحساني إليهم بطاعتي، وإفراد الألوهية لي والعبادة، وترك طاعة الشيطان وعبادة الأصنام.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخرها لهم، (فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ ﴿٧١﴾): قال قتادة: مطيقون أي: جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم، لا تمتنع منهم، بل لو جاء صغير إلى بغير لأناخه، ولو شاء لأقامه وساقه، وذاك ذليل منقاد معه. وكذا لو كان القطارُ مائة بغير أو أكثر، لसार الجميع بسير صغير.

وقوله: (فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُؤْنَ ﴿٧٢﴾) أي: منها ما يركبون في الأسفار، ويحملون عليه الأثقال، إلى سائر الجهات والأقطار. (وَمِنْهَا يَأْكُؤْنَ ﴿٧٢﴾) إذا شأوا نحرُوا واجتزروا.

(وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) أي: من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين، (وَمَشَارِبٌ) أي: من ألبانها وأبوالها لمن يتداوى، ونحو ذلك. (أَفَلَا

يَشْكُرُونَ)؟ أي: أفلا يُؤحِّدُونَ خالق ذلك ومسخره، ولا يشركون به غيره؟

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ) هذه رؤية القلب أي أو لم ينظروا ويعتبروا ويتفكروا (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَنَا) أي مما أبدعناه وعملنا من غير واسطة ولا وكالة ولا شركة و (ما) بمعنى الذي وحذفت الهاء لطول الاسم وإن جعلت (ما) مصدرية لم تحتج إلى إضمار الهاء (أَنَعَمَّا) جمع نعم والنعم مذكر (فَهُمْ لَهُمَا مَلِكُونَ ﴿٧١﴾) ضابطون قاهرون (وَوَلَّلْنَاهَا لَهُمْ) أي سخرناها لهم حتى يقود الصبي الجمل العظيم ويضربه ويصرفه كيف شاء لا يخرج من طاعته (فَمَنَّا رَكُوبُهُمْ) قراءة العامة بفتح الراء أي مركوبهم كما يقال: ناقة حلوب أي محلوب وقرأ الأعمش و الحسن و ابن السميع: (فمنها ركوبهم) بضم الراء على المصدر.

والركوب ما يركب وأجاز الفراء: (فمنها ركوبهم) بضم الراء كما تقول فمنها أكلهم ومنها شربهم (وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾) من لحمانها (وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) من أصوافها وأوبارها وأشعارها وشحومها ولحومها وغير ذلك (وَمَشَارِبٌ) يعني ألبانها ولم ينصرفا لأنهما من الجموع التي لا نظير لها في الواحد (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) الله على نعمه.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ)

﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْخَضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزُوكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: واتخذ أهل الكفر هؤلاء مع ما جاءهم

من البينات والآيات والدلالات على واحدانيتها - مع ذلك كله اتخذوا آلهة يعبدونها غير الله ٥ ويعبدونها مع الله ٥ لعلها - بزعمهم - تنفعهم وتنصرهم، ألا فليعلم هؤلاء أن هذه الآلهة لا تستطيع نصرهم، ولن تنصرهم بل هم لهم جندٌ محضرون، ولقد قيل في قوله تعالى: (وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾) أقوال:

أحدها: أن هذه في الدنيا، وأن معنى قوله: (وَهُمْ) أي: الكفار، (هُمْ) أي: للأصنام، (جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾) أي: أن الكفار جندوا أنفسهم لنصرة أصنامهم ومعبوداتهم التي عبدوها من دون الله، فكلما تكلم أحدٌ في الأصنام بمكروهه، وكلما نفر عنها منفرٌ ورغب عنها راغبٌ إذا بهم يدافعون عن أصنامهم وعن آلهتهم أشد الدفاع.

والوجه الآخر: (وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾) أي: والأصنام يؤتى بها يوم القيامة وتحضر أمام عابديها لتبكيتهن ولتوبيخهن فها هي أحجار لا تنفع ولا تضر فكيف عبدتموها، وكذا عموم الآلهة المعبودة من دون الله تتبرأ ممن عبدها.

وهناك وجه آخر: أن أصنامهم التي عبدوها تكون عذاباً عليهم في النار.

والقول الأول أولى؛ لأن الآلهة تضل عن عبدوها يوم القيامة - والله أعلم.

أما قوله تعالى: (فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ) وعندها وقف لازم، فهو مواساة لرسول الله ﷺ، أي: لا تحزن من قولهم واقترائهم، فهذا شأنهم وشأن أمثالهم ثم مواساة أخرى بقوله تعالى: (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾) أي: لا يخفى عليهم ما يقولونه، وما يفعلونه سواءً فعلوا ذلك سرّاً أو فعلوه جهراً،

وإنّا حافظوك، وإنّا مبطلو كيدهم فاطمئن وأبشر ولا تحزن - والله أعلم.
ثم هذه بعض أقوال العلماء في الآيات المباركات.

قال الطبري \$:

قوله: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَٰهَةً) يقول: واتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها (أَعْلَهُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٧٤﴾) يقول: طمعاً أن تنصرهم تلك الآلهة من عقاب الله وعذابه.

يقول تعالى ذكره: لا تستطيع هذه الآلهة نصرهم من الله إن أراد بهم سوءاً، ولا تدفع عنهم ضرراً.

وقوله: (وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾) يقول: وهؤلاء المشركون لآلهتهم جند محضرون.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (مُحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾) وأين حضورهم إياهم، فقال بعضهم: عني بذلك: وهم لهم جند محضرون عند الحساب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وهم لهم جند محضرون في الدنيا يغضبون لهم.

عن قتادة: (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ) الآلهة (وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾) والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيراً، ولا تدفع عنهم سوءاً، إنما هي أصنام.

وهذا الذي قاله قتادة أولى القولين عندنا بالصواب في تأويل ذلك؛ لأن المشركين عند الحساب تتبرأ منهم الأصنام، وما كانوا يعبدونه، فكيف يكونون لها جنداً حينئذٍ، ولكنهم في الدنيا لهم جند يغضبون لهم، ويقاتلون دونهم.

وقوله تعالى: (فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فلا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين بالله من قومك لك: إنك شاعر، وما جئتنا به شعر، ولا تكذيبهم بآيات الله وجحودهم نبوتك.

وقوله: (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾) يقول تعالى ذكره: إنا نعلم أن الذي يدعوهم إلى قيل ذلك الحسد، وهم يعلمون أن الذي جئتهم به ليس بشعر، ولا يشبه الشعر، وأنت لست بكذاب، فنعلم ما يسرون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوهم إليه، وما يعلنون من جحودهم ذلك بألسنتهم علانية.

قال الحافظ ابن كثير §:

يقول تعالى منكرًا على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله، يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى.

قال الله تعالى: (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ) أي: لا تقدر الآلهة على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحق وأدحر، بل لا تقدر على الانتصار لأنفسها، ولا الانتقام ممن أرادها بسوء؛ لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل.

وقوله: (وَهُمْ لَمَّمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٧﴾): قال مجاهد: يعني: عند الحساب، يريد أن هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة، محضرة عند حساب عابديها؛ ليكون ذلك أبلغ في خزيهم، وأدل عليهم في إقامة الحجة عليهم.

وقال قتادة: (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ) يعني: الآلهة، (وَهُمْ لَمَّمْ جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٧﴾)، والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيرًا، ولا تدفع عنهم سوءًا، إنما هي أصنام.

وهكذا قال الحسن البصري.

وهذا القول حسن، وهو اختيار ابن جرير \$.

وقوله: (فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ) أي: تكذيبهم لك وكفرهم بالله، (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾) أي: نحن نعلم جميع ما هم عليه، وسنجزئهم وصفهم ونعاملهم على ذلك، يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلاً ولا حقيراً، ولا صغيراً ولا كبيراً، بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديماً وحديثاً.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً) أي قد رأوا هذه الآيات من قدرتنا ثم اتخذوا من دوننا آلهة لا قدرة لها على فعل (لَعَلَّهُمْ يُصْرُوكَ ﴿٧٦﴾) لما يرجون من نصرتها لهم إن نزل بهم عذاب ومن العرب من يقول: لعله أن يفعل (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ) يعني الآلهة وجمعوا بالواو والنون؛ لأنه أخبر عنهم بخبر الآدميين (وَهُمْ) يعني الكفار (هُمْ) أي للآلهة (جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾) قال الحسن: يمنعون منهم ويدفعون عنهم، وقال قتادة: أي يغضبون لهم في الدنيا وقيل: المعنى أنهم يعبدون الآلهة ويقومون بها فهم لها بمنزلة الجند وهي لا تستطيع أن تنصرهم وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى وقيل: إن الآلهة جند للعابدين محضرون معهم في النار فلا يدفع بعضهم عن بعض وقيل: معناه وهذه الأصنام لهؤلاء الكفار جند الله عليهم في جهنم لأنهم يلعنونهم ويتبرؤون من عبادتهم وقيل: الآلهة جند لهم محضرون يوم القيامة لإعانتهم في ظنونهم، وفي الخبر: إنه يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله فيتبعونه إلى النار فهم لهم جند محضرون **قلت:** ومعنى هذا الخبر ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وفي الترمذي عنه أن النبي □ قال:

«يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد، فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون» وذكر الحديث بطوله ^(١) (فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ) هذه اللغة الفصيحة ومن العرب من يقول يحزنك والمراد تسلية نبيه غ أي لا يحزنك قولهم: شاعر ساحر وتم الكلام ثم استأنف فقال: (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يَسْرُوبُ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾) من القول والعمل وما يظهرون فنجازيهم بذلك.



س: وضع معنى قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: أو لم ير هذا الإنسان الكافر أصل خلقه، وكيف كان فيتفكر بذلك ويعتبر ويوقن بقدرتنا على البعث، ولكنه ما فكر وما اعتبر وما أيقن، ولكنه كان مخلصاً لربه مجادلاً في آياته يحادد ربه ٥ ويشاقق ويعترض على أوامره ويظاهر ويتعاون مع الذين يرفضون أمر الله، فقوله: (خَصِيمٌ) بمعنى: مخاصم مجادل (مُبِينٌ) مظهر بخصومته عداوته لربه ٥.

قال الطبري \$:

فتأويل الكلام إن: أولم ير هذا الإنسان الذي يقول: (مَنْ يُعْجِ الْعِظَمَ وَهَى رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾) أنا خلقناه من نطفة فسويناها خلقاً سوياً (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ) يقول: فإذا هو ذو خصومة لربه، يخاصمه فيما قال له ربه إني فاعل، وذلك

(١) تقدم بنحوه.

إخبار الله إياه أنه محيي خلقه بعد مماتهم، فيقول: من يحيي هذه العظام وهي رميم؟! إنكاراً منه لقدرة الله على إحيائها.

وقوله: (مُيِّنٌ ٧٧) يقول: يبين لمن سمع خصومته وقيله ذلك أنه مخاصم ربه الذي خلقه.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات نزلت في أبي بن خلف، أو العاص أو فيهما، فهي عامة في كل مَنْ أنكر البعث. والألف واللام في قوله: (أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ) للجنس، يعم كل منكر للبعث.

(أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ٧٧) أي: أولم يستدل مَنْ أنكر البعث بالبدء على الإعادة، فإن الله ابتداءً خلق الإنسان من سلاله من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين، كما قال تعالى: (أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ٢٠) فجعلناه في قرارٍ مكينٍ (٢١) إلّا قدر معلومٍ (٢٢) [المرسلات: ٢٠-٢٢]. وقال: (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ) [الإنسان: ٢] أي: من نطفة من أخلط متفرقة، فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته؟

وأورد الحافظ ابن كثير \$ ما أخرجه الإمام أحمد ^(١) في مسنده بإسناد صحيح من حديث بُسْرِ بْنِ جَحَّاشٍ: أن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه، فوضع عليها إصبعه، ثم قال: «قال الله ٥: ابن آدم أنى تُعْجِزُنِي وقد خلقتك من مثل هذه؟! حتى إذا سَوَّيْتُكَ وعدلتك، مشيت بين برديك ولأرض منك وَبَيْدٌ، فَجَمَعْتُ وَمَنَعْتُ، حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة».

(١) المسند (٢١٠/٤).

وقال القرطبي \$:

(أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ) وهو اليسير من الماء نطف إذا قطر (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾) أي: مجادل في الخصومة مبين للحجة يريد بذلك أنه صار بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً خصيماً مبيناً.

وذلك أنه أتى النبي □ بعظم حائل فقال: يا محمد أترى أن الله يحيي هذا بعد ما رم! فقال النبي □: «نعم ويبعثك الله ويدخلك النار» فنزلت هذه الآية.



س: هل صح لقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ

مُبِينٌ ﴿٧٧﴾) سبب نزول؟

ج: أورد الطبري بسندٍ مرسلٍ صحيح إلى سعيد بن جبير قال: جاء العاص ابن وائل السهمي إلى رسول الله □ بعظم حائل، ففته بين يديه، فقال: يا محمد أبيعك الله هذا حيًّا بعد ما أرم؟ قال: «نعم يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم» قال: ونزلت الآيات: (أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾...) وإلى آخر الآية.

(١) وهذا مرسل، وهو ضعيف من هذا الوجه، وقد ذكره ابن أبي حاتم متصلاً بذكر ابن عباس، قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا محمد بن العلا حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن العاص بن وائل أخذ

(١) نقلاً عن شيخنا الشيخ مقبل رحمه الله إذ نقل السند أيضاً عن ابن كثير عن ابن أبي حاتم، وقال: الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٤٢٩ من طريق عمرو بن عون عن هشيم به، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

عظمًا من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله **ص**: أحيي الله هذا بعدما أرم؟ فقال رسول الله **ص**: «نعم يميئك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم». قال: نزلت الآيات آخر يس.

قلت (مصطفى): فالخبر مختلف في وصله وإرساله، كما ترى.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وشبَّهنا هذا الكافرُ بخلقنا فقال: من ذا الذي يحيي هذه العظام البالية المتفتتة، وقد أصبحت رميمًا وترابًا، ونسي هذا الإنسان الكافر كيف خلقناه فقد خلقناه من نطفةٍ من مني يمني، من قطرة مني قُذفت في رحم امرأة فهناك حدث الاختلاط بين ماء الرجل وماء المرأة كما قال تعالى: (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) [الإنسان: ٢]، وكما قال تعالى: (خَلَقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧) [الطارق: ٦، ٧]، أولم يذكر الإنسان الكافر هذا، ومن ثمَّ فلا يشبَّهنا بخلقنا، ولا يصفنا بالعجز، أو لم يتفكر في هذا فيوقن بقدرتنا على البعث، بعث العباد بعد موتهم فقل يا رسول الله لهذا الكافر الجاحد المنكر للبعث إذا سأل من يحيي العظام وهي رميم؟ قل له: يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم، فالذي خلق الخلق لأول مرة قادر على بعثهم وإعادتهم. وقل أيضًا يحييها الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون النار.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

(وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ.) يقول: ومثل لنا شبهًا بقوله: (مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾) إذ كان لا يقدر على إحياء ذلك أحد، يقول: فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق (وَنَسِيَ خَلْقَهُ.) يقول: ونسي خلقنا إياه كيف خلقناه، وأنه لم يكن إلا نطفة، فجعلناها خلقًا سويًا ناطقًا، يقول: فلم يفكر في خلقنا إياه، فيعلم أن من خلقه من نطفة حتى صار بشرًا سويًا ناطقًا متصرفًا، لا يعجز أن يعيد الأموات أحياء، والعظام الرميم بشرًا كهينتهم التي كانوا بها قبل الفناء، يقول الله لنبيه محمد ﷺ: (قُلْ) لهذا المشرك القائل لك: من يحيي العظام وهي رميم (يُحْيِيَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) يقول: يحييها الذي ابتدع خلقها أول مرة ولم تك شيئًا (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾) يقول: وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت، وكيف يحيي، وكيف يبدئ، وكيف يعيد، لا يخفى عليه شيء من أمر خلقه.

وقال \$ كذلك:

يقول تعالى ذكره: قل يحييها الذي أنشأها أول مرة (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا) يقول: الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر نارًا تحرق الشجر، لا يمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رمت، وإعادتها بشرًا سويًا، وخلقًا جديدًا، كما بدأها أول مرة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا) يقول: الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه.

قال الطبري: قوله: (فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾) يقول: فإذا أنتم من هذا

الشجر توقدون النار؛ وقال: (مَتَّهُ) والهاء من ذكر الشجر، ولم يقل: منها، والشجر جمع شجرة؛ لأنه خرج مخرج الثمر والحصى، ولو قيل: منها كان صوابًا أيضًا؛ لأن العرب تذكر مثل هذا وتؤنثه.

(أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) يقول تعالى ذكره منبهاً هذا الكافر الذي قال: (مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾) على خطأ قوله، وعظيم جهله (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ) السبع (وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ) مثلكم، فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السماوات والأرض. يقول: فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم، فكيف يتعذر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمت وبليت؟ وقوله: (بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) يقول: بلى هو قادر على أن يخلق مثلهم وهو الخلاق لما يشاء، الفعال لما يريد، العليم بكل ما خلق ويخلق، لا يخفى عليه خافية.

وقال الحافظ ابن كثير §:

ولهذا قال: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾) أي: استبعد إعادة الله تعالى -ذي القدرة العظيمة التي خلقت السماوات والأرض- للأجساد والعظام الرميمة، ونسي نفسه، وأن الله خلقه من العدم، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحدته؛ ولهذا قال تعالى: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾) أي: يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت، وأين تفرقت وتمزقت.

وأورد ما أخرجه أحمد والبخاري ومسلم، واللفظ لأحمد من حديث حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنْ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، فَلَمَّا آتَى مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطْبًا كَثِيرًا جَزَلًا، ثُمَّ

أوقدوا فيه نارًا، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحتشت فخذوها فاذروها في اليم، ففعلوا، فجمعه الله إليه فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله له». فقال عقبة بن عمرو: وأنا سمعته يقول ذلك. وكان نبأشاً^(١).

وقال \$:

وقوله: (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾) أي: الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضراً نضراً ذا ثمر ويُنْع، ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً، توقد به النار، كذلك هو فعال لما يشاء، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ) أي ونسي أنا أنشأناه من نطفة ميتة فركبنا فيه الحياة أي جوابه من نفسه حاضر ولهذا قال غ: «نعم ويبعثك الله ويدخلك النار».

قوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا) نبه تعالى على وحدانيته ودل على كمال قدرته في إحياء الموتى بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود الندي الرطب وذلك أن الكافر قال: النطفة حارة رطبة بطبع الحياة فخرج منها الحياة والعظم بارد يابس بطبع الموت فكيف تخرج منه الحياة! فأنزل الله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا) إي إن الشجر الأخضر من الماء والماء بارد رطب ضد النار وهما لا يجتمعان فأخرج الله منه النار فهو القادر على إخراج الضد من الضد وهو

(١) البخاري (٣٤٥٢)، وأحمد (٣٩٥/٥).

على كل شيء قدير ويعني بالآية ما في المرخ والعفار وهي زنادة العرب ومنه قولهم: في كل شجر نار واستجمد المرخ والعفار، فالعفار الزند وهو الأعلى والمرخ الزندة وهي الأسفل يؤخذ منهما غصنان مثل المسواكين يقطران ماء فيحك بعضهما إلى بعض فتخرج منهما النار وقال: (مَنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ) ولم يقل الخضراء وهو جمع لأنه رده إلى اللفظ ومن العرب من يقول: الشجر الخضراء كما قال ٥: (مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَأَثَرُهُ مِثْلُ بَطْنِ شَيْمٍ ﴿٥٣﴾) |

الواقعة: ٥٢ - ٥٣ .



مزيد من الاستدلالات على البعث

س: كثيرًا ما يستدل على البعث بالخلق الأول (أي بخلق الإنسان أول مرة)، دُلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) [يس: ٧٩].

وقوله تعالى: (أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) [اق: ١٥].

وقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ) [الروم: ٢٧].



س: أجيب على أهل الشرك إذ قالوا: (مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ) [جواب

يتضمن عدة استدلالات على البعث. وضح ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

الاستدلال الأول: قوله تعالى: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) فهذا دال على قدرته على البعث.

الاستدلال الثاني: قوله تعالى: (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) [٧٩]، وهذا أيضًا يتضمن قدرته على الخلق.

الاستدلال الثالث: قوله تعالى: (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ) [٨٠] فكونه أخرج من الشجر الأخضر نارًا مع أن الخضرة تتنافى مع النار قادر على إحياء الأرض بعد موتها.

وكذا من قال إن البترول أصله شجر أخضر قد تحلل.

الاستدلال الرابع: استدلالٌ بخلقه السماوات والأرض، وخلقهما أعظم من خلق الناس، فالذي خلقهما قادر على أن يخلق ما دونهما.

الاستدلال الخامس: قوله تعالى: (وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾) أي: خَلَّاق لكل شيء، و عليم بكل شيء.

الاستدلال السادس: أن ملكوت كل شيء بيديه وهو قوله: (فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٢﴾).

هذا، وقد أشار السعدي \$ إلى ذلك إذ قال مجيباً على من قال: (مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾):

فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شافٍ كافٍ، فقال: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) وهذا بمجرد تصويره، يعلم به علماً يقيناً لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون على القدرة إذا تصويره المتصور.

(وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾)، هذا أيضاً دليل ثانٍ من صفات الله تعالى، وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم.

ثم ذكر دليلاً ثالثاً فقال: (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْشَأْتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾) فإذا أخرج النار اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادهما وشدة تخالفهما، فأخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك.

ثم ذكر دليلاً رابعاً فقال: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) على سعتيها وعظمهما (بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) أي: أن يعيدهم بأعينهم. (بَلَى) قادر على

ذلك، فإن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس. (وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) وهذا دليل خامس، فإنه تعالى الخلاق، الذي جميع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه.

فإعادته للأموات فرد من أفراد آثار خلقه، ولهذا قال: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا) نكرة في سياق الشرط، فتعم كل شيء. (أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) أي: في الحال من غير تمناع.

(فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) وهذا دليل سادس، فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكيمية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية.

فإعادته إياهم بعد موتهم، لينفذ فيهم حكم الجزاء، من تمام ملكه؛ ولهذا قال: (وَالَّذِي يُرْجِعُونَ (٨٣) من غير امتراء ولا شك، لتواتر البراهين القاطعة والأدلة الساطعة على ذلك. فتبارك الذي جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور.



س: وضع معنى: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ

بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَالَّذِي يُرْجِعُونَ (٨٣).

ج: هذا - والله أعلم - احتجاج على منكري البعث بما حاصله أن الله ٥ الذي خلق السموات والأرض -وهي أكبر من خلق الناس- قادر ٥ على

أن يخلق مثل هؤلاء البشر الضعفاء الذين هم في خلقهم أيسر على الله من خلق السماوات والأرض، فخالق الشيء العظيم لا يعجز عن خلق ما دونه فهنا يقول تعالى: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) أي: مثل بني آدم، ثم يجيب تعالى بقوله: (بَلَى) أي: إنه لقادر على خلق مثلهم وهو الخلاق لا يصعب عليه خلق شيء، فهو يخلق ما يشاء، عليم بكل شيء، و عليم كيف يخلق أي شيء.

ثم يقول تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾) أي: تخلق الأشياء بكلمة (كُنْ) فيكون الشيء كما أَراده الله ٥.

وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ ^(١) : أنه «ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ أَوْ قَبْلَكُمْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا - يَعْنِي أَعْطَاهُ، قَالَ - فَلَمَّا حُضِرَ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرُ أَبٍ. قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَرِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا - فَسَرَهَا قَتَادَةُ لَمْ يَدْخَرْ - وَإِنْ يَقْدُمُ عَلَى اللَّهِ يُعَذِّبُهُ فَأَنْظِرُوا، فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ: فَاسْهَكُونِي - ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِيهَا. فَأَخَذَ مَوَاشِقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبَّى فَفَعَلُوا فَقَالَ اللَّهُ كُنْ. فَإِذَا رَجُلٌ قَانِمٌ، ثُمَّ قَالَ أَيُّ عَبْدٍ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ قَالَ مَخَافَتَكَ - أَوْ فَرَقَ مِنْكَ - فَمَا تَلَفَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ».

أما قوله: (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾) فحاصل معناه: فتنزه ربنا الذي بيده ملك كل شيء ومقاليد كل شيء عن الضعف وعن النقص وعن الشريك وكيف يكون له شريك وله ملك كل شيء (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾) أي: تبعثون وترجعون إليه يوم القيامة للحساب والجزاء.

قال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى منبهاً على قدرته العظيمة في خلق السماوات السبع، بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت، والأرضين السبع وما فيها من جبال ورمال، وبحار وقفار، وما بين ذلك، ومرشداً إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة، كقوله تعالى: (لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) [غافر: ٥٧]. وقال هاهنا: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) أي: مثل البشر، فيعيدهم كما بدأهم. قاله ابن جرير.

وهذه الآية كقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾) [الأحقاف: ٣٣]، وقال: (بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾) أي: يأمر بالشيء أمراً واحداً، لا يحتاج إلى تكرار:

إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ «كُنْ» قَوْلَةٌ فَيَكُونُ

وقال \$:

وقوله: (فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾) أي: تنزيهه وتقديسه وتبرئته من سوء للحي القيوم، الذي بيده مقاليد السماوات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله، وله الخلق والأمر، وإليه ترجع العباد يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله، وهو العادل المنعم المتفضل.

ومعنى قوله: (فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) كقوله ٥: (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) [المؤمنون: ٨٨]، وكقوله تعالى: (تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ) [المك: ١]، فالملك والملكوت واحد في المعنى، كرحمة ورحموت، ورهبة

وَرَهْبُوت، وَجَبْر وَجَبْرُوت. ومن الناس من زعم أن المُلْك هو عالم الأجساد والملكوت هو عالم الأرواح، والأول هو الصحيح، وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم.

وقال القرطبي \$:

ثم قال تعالى محتجاً: (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) أي أمثال المنكرين للبعث وقرأ سلام أبو المنذر ويعقوب الحضرمي: (يقدر على أن يخلق مثلهم) على أنه فعل (بلى) أي إن خلق السماوات والأرض أعظم من خلقهم فالذي خلق السماوات والأرض يقدر على أن يبعثهم (وهو الخالق العليم) وقرأ الحسن باختلاف عنه (الخالق). **قوله تعالى:** (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾) قرأ الكسائي (فيكون) بالنصب عطفاً على (يَقُولُ) أي إذا أراد خلق شيء لا يحتاج إلى تعب ومعالجة.

(فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) نزه نفسه تعالى عن العجز والشرك وملكوت وملكوتي في كلام العرب بمعنى ملك والعرب تقول: جبروتي خير من رحموتي وقال سعيد عن قتادة: (مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) مفاتيح كل شيء وقرأ طلحة ابن مصرف وإبراهيم التيمي والأعمش (ملكة) وهو بمعنى ملكوت إلا أنه خلاف المصحف (وَالْيَوْمَ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾) أي تردون وتصيرون بعد مماتكم وقراءة العامة بالتاء على الخطاب وقرأ السلمي وزر بن حبيش وأصحاب عبد الله (يرجعون) بالياء على الخبر.



تفسير سورة الصافات

قال الله تعالى:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيْنًا أَلَمَّا الدُّنْيَا بَرِينَةَ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۝٧ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠) [الصافات: ١-١٠]

س: وضع معنى ما يلي:

(وَالصَّفَّاتِ - فَالزَّجَرَتِ - فَالتَّلَيَّتِ ذِكْرًا - مَارِدٍ - الْمَلَا الْأَعْلَى - وَيَقْدِفُونَ - دُحُورًا - وَاصِبٌ -
خَطِيفَ الْخُطْفَةِ - شِهَابٌ ثَاقِبٌ).

ج:

الكلمة	معناها
(وَالصَّفَّاتِ)	هم الملائكة يصفون عند ربهم صفوفًا وكذا يصفون أجنحتهم
(فَالزَّجَرَتِ)	قيل: الملائكة تزجر السحاب وقيل: آيات القرآن التي فيها زجر
(فَالتَّلَيَّتِ ذِكْرًا)	قيل: هم الملائكة تتلو القرآن المنزل وقيل: هي آيات الله فيها إخبار للناس وتزكية لهم ويتلو بعضها بعضًا
(مَارِدٍ)	عاتٍ متمرِدٍ - عاصٍ شديد العصيان والنفور عن الطاعة خبيث مكر
(الْمَلَا الْأَعْلَى)	الملائكة في السماء
(وَيَقْدِفُونَ)	يُرمون
(دُحُورًا)	مطرودين - مدحورين - مُبعدين
(وَاصِبٌ)	دائم
(خَطِيفَ الْخُطْفَةِ)	استرق كلمة من الملائكة وخبرًا مما تحدث به الملائكة
(شِهَابٌ ثَاقِبٌ)	شهاب مضيءٌ محرقٌ من نار

معنى الصافات

س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَالصَّفَاتِ صَفًا ١) فَأَلْزَجَتْ زَجْرًا

٢) فَأَلْزَجَتْ زَكْرًا ٣).

ج: هذا قسم أقسم الله ٥ به، فأقسم ربنا بالصفات وهي الملائكة تصف عند ربها ٥ كما قال تعالى: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ٤٢) [الفجر: ٢٢]، وكما قالت الملائكة: (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ١٦٥) [الصفات: ١٦٥].

وكما قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ.....» الحديث ^(١).

وكما قال ﷺ: «أَلَا تَصْفُونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْمُتَقَدِّمَةَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ» ^(٢).

أما قوله تعالى: (فَأَلْزَجَتْ زَجْرًا ٢) فأيضًا هو قسم أقسم الله به، والمراد بالزاجرات الملائكة التي تزجر السحاب، وقيل: آيات القرآن التي فيها زجر للعباد، وكذا قوله تعالى: (فَأَلْزَجَتْ زَكْرًا ٣) هي الملائكة تتلو الكتاب المنزل من عند الله كما قال تعالى: (فَأَلْمَلَيْتَ زَكْرًا ٥) عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ٦) فهذه تفسر قوله تعالى: (فَأَلْزَجَتْ زَجْرًا ٢) فَأَلْزَجَتْ زَكْرًا ٣) وبنحو الذي ذكرت قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

أقسم الله تعالى ذكره بالصفات، والزاجرات، والتاليات ذكرًا؛ فأما الصفات: فإنها الملائكة الصفات لربها في السماء وهي جمع صافة،

(١) مسلم (٥٢٢).

(٢) مسلم (٤٣٠).

فالصافات: جمع جمع.

وأورد الطبري \$ عددًا من الآثار بذلك، وقال: واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (فَالزَّجَرَتِ زَجْرًا ٢) فقال بعضهم: هي الملائكة تزجر السحاب تسوقه.

وقال آخرون: بل ذلك أي القرآن التي زجر الله بها عما زجر بها عنه في القرآن.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة، قوله: (فَالزَّجَرَتِ زَجْرًا ٢) قال: ما زجر الله عنه في القرآن.

والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قال مجاهد، ومن قال هم الملائكة، لأن الله تعالى ذكره، ابتداء القسم بنوع من الملائكة، وهم الصافون بإجماع من أهل التأويل، فلأن يكون الذي بعده قسما بسائر أصنافهم أشبه.

وقوله: (فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا ٣) يقول: فالقارئ كتابًا.

واختلف أهل التأويل في المعنى بذلك، فقال بعضهم: هم الملائكة.

وقال آخرون: هو ما يتلى في القرآن من أخبار الأمم قبلنا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا ٣) قال: ما يتلى عليكم في القرآن من أخبار الناس والأمم قبلكم.

وقال القرطبي \$:

(فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا ٣) الملائكة تقرأ كتاب الله تعالى قاله ابن مسعود و ابن عباس و الحسن و مجاهد و ابن جبير و السدي وقيل: المراد جبريل وحده فذكر بلفظ الجمع لأنه كبير الملائكة فلا يخلو من جنود وأتباع وقال قتادة:

المراد كل من تلا ذكر الله تعالى وكتبه وقيل: هي آيات القرآن وصفها بالتلاوة كما قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَمُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ) [النمل: ٧٦]، ويجوز أن يقال لآيات القرآن تاليات لأن بعض الحروف يتبع بعضها ذكره القشيري وذكر الماوردي: أن المراد بالتاليات الأنبياء يتلون الذكر على أممهم.



س: هل ورد أن رسول الله ﷺ صلى بأصحابه بالصافات؟

ج: نعم قد ورد ذلك فيما أخرجه النسائي من طريق ابن أبي ذئب قال: أخبرني الحارث بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف، ويؤمنا بالصافات. تفرد به النسائي ^(١).



س: على أي شيء أقسم الله ﷻ (بالصافات...).

ج: أقسم الله ﷻ على أنه إله واحد، أي أنه أقسم على وحدانيته ﷻ. وكذا أقسم على أنه رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق.



س: وضع المراد بقوله تعالى: (إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ (٥).

(١) النسائي (٩٥/٢)، وأحمد (٢٦/٢ و ١٥٧)، وغيرهما، وفي سننه الحارث بن عبد الرحمن قال: ابن أبي ذئب، وحديثه قابل للتحسين عند فريق من العلماء.

ج: إيضاحه - والله أعلم - أن معبودكم الذي يجب أن تعبدوه إلهٌ واحد هو خالق السماوات والأرض ومدير أمرهما، وكذا فهو رب المشارق - مشارق الشمس - ومغاربها، تلك التي تشرق فيها الشمس صيفاً وشتاءً وتغرب، ويحتمل أن يراد مشارق الشمس والقمر والنجوم، ومغارب ذلك.

قال الطبري \$:

يعني تعالى ذكره بقوله: (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾) والصافات صفاً إن معبودكم الذي يستوجب عليكم أيها الناس العبادة، وإخلاص الطاعة منكم له لواحد لا ثاني له ولا شريك. يقول: فأخلصوا العبادة وإياه فأفردوا بالطاعة، ولا تجعلوا له في عبادتكم إياه شريكاً.

وقوله: (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) يقول: هو واحد خالق السماوات السبع وما بينهما من الخلق، ومالك ذلك كله، والقيم على جميع ذلك، يقول: فالعبادة لا تصلح إلا لمن هذه صفته، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا معه في عبادتكم إياه من لا يضر ولا ينفع، ولا يخلق شيئاً ولا يفيئه.

وقوله: (وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾) يقول: ومدير مشارق الشمس في الشتاء والصيف ومغاربها، والقيم على ذلك ومصلحه، وترك ذكر المغارب لدلالة الكلام عليه، واستغنى بذكر المشارق من ذكرها، إذ كان معلوماً أن معها المغارب.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾) وقع القسم على هذا إن إلهكم لواحد (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾) قال: مشارق الشمس في الشتاء والصيف.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: (إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ④) هذا هو المقسم عليه، أنه تعالى لا إله إلا هو (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي: من المخلوقات، (وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ⑤) أي: هو المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من كواكب ثوابت، وسيارات تبدو من المشرق، وتغرب من المغرب. واكتفى بذكر المشارق عن المغرب لدالاتها عليهما. وقد صرح بذلك في قوله: (فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَائِدُونَ ⑥) [المعارج: ٤٠]. وقال في الآية الأخرى: (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ⑦) [الرحمن: ١٧] يعني في الشتاء والصيف، للشمس والقمر.



المستفاد من النجوم

س: وضع معنى قوله تعالى: (إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ①) وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ② لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ③ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ④ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ⑤).

ج: يخبر الله سبحانه وتعالى أنه زين السماء الدنيا، وهي القريبة من الأرض بالكواكب وجعل هذه الكواكب فضلاً عن تزيين السماء الدنيا بها، جعلها تحفظ السماء الدنيا من تصنت الشياطين المتمردة العاتية التي كانت تتصنت على الملائكة وهم يتحدثون. كما قال تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ) [الملك: ٥]، وكما قالت الجن: (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ⑥) [الجن: ٩]، فالحاصل أن السماء الدنيا زينت بالكواكب، وجعلت هذه الكواكب بما يخرج منها من الشهب حفظاً للسماء الدنيا من تصنت الشياطين المردة جعلت حفظاً حتى لا تتسمع المردة من الشياطين أخبار الملائكة وهم يتحدثون، ومن سؤلت له

نفسه أن يتصنت فهالك يُقذف بالشهب من كل ناحية فيرجع مُبعدًا مطرودًا، وله عذاب دائم متواصل، وكذا فإن من خطف خطفة من الأخبار التي تتحدث بها الملائكة في السماء ثم ذهب يلقيها على فم الكاهن أو الساحر، فإن شهاب يتبعه يحرقه؛ كما في الآية الكريمة: (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠)، وكما قالت الجن: (فَمَنْ يَسْمِعُ الْآنَ) يعنون بعد مبعث النبي ﷺ: (يَحْدِثُهُ شِهَابًا رَصَدًا ۝١١) [الجن: ٩]، وقد قدمت مزيدًا من الحديث على هذا في سورة الجن (التسهيل، جزء تبارك).

هذا، وقد قال الطبري \$:

وقوله: (إِنَّا زَيْنًا أَسْمَاءَ الدُّنْيَا زَيْنَةً الْكَوَاكِبِ ۝٦) اختلفت القراء في قراءة قوله: (زَيْنَةً الْكَوَاكِبِ ۝٦) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة بزينة الكواكب بإضافة الزينة إلى الكواكب، وخفض الكواكب بـ (إِنَّا زَيْنًا أَسْمَاءَ الدُّنْيَا) التي تليكم أيها الناس وهي الدنيا إليكم بتزيينها الكواكب: أي بأن زينتها الكواكب. وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة (زَيْنَةً الْكَوَاكِبِ ۝٦) بتثوين زينة، وخفض الكواكب ردًا لها على الزينة، بمعنى: إنا زينا السماء الدنيا بزينة هي الكواكب، كأنه قال: زيناها بالكواكب. وروي عن بعض قراء الكوفة أنه كان ينون الزينة وينصب الكواكب، بمعنى: إنا زينا السماء الدنيا بتزييننا الكواكب. ولو كانت القراءة في الكواكب جاءت رفعًا إذا نونت الزينة، لم يكن لحنًا، وكان صوابًا في العربية، وكان معناه: إنا زينا السماء الدنيا بتزيينها الكواكب: أي بأن زينتها الكواكب وذلك أن الزينة مصدر، فجائز توجيهها إلى أي هذه الوجوه التي وصفت في العربية. وأما القراءة فأعجبها إلي بإضافة الزينة إلى الكواكب وخفض

الكواكب لصحة معنى ذلك في التأويل والعربية، وأنها قراءة أكثر قراء الأمصار وإن كان التنوين في الزينة وخفض الكواكب عندي صحيحا أيضا. فأما النصب في الكواكب والرفع، فلا أستجيز القراءة بهما، لإجماع الحجة من القراء على خلافهما، وإن كان لهما في الإعراب والمعنى وجه صحيح.

وقوله: (وَحَفَظًا) يقول تعالى ذكره: (وَحَفَظًا) للسماء الدنيا زيناها بزينة الكواكب.

وحفظاً لها من كل شيطان عات خبيث زيناها.
وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: (وَحَفَظًا) يقول: جعلتها حفظاً من كل شيطان مارد.

وقوله: (لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ إِلَّا أَعْلَى) اختلفت القراء في قراءة قوله: (لَا يَسْمَعُونَ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة، وبعض الكوفيين: (لا يسمعون) بتخفيف السين من يسمعون، بمعنى أنهم يتسمعون ولا يسمعون. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بعد لا يسمعون بمعنى: لا يتسمعون، ثم أذغموا التاء في السين فشددوها.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالتخفيف؛ لأن الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه، أن الشياطين قد تتسمع الوحي، ولكنها ترمى بالشهب لئلا تسمع.

وأورد الطبري من طرق عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كانت للشياطين مقاعد في السماء، قال: فكانوا يسمعون الوحي، قال: وكانت النجوم لا تجري، وكانت الشياطين لا

ترمى، قال: فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض، فزادوا في الكلمة تسعاً؛ قال: فلما بعث رسول الله ﷺ جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاء شهاب، فلم يخطه حتى يحرقه، قال: فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هو إلا لأمر حدث؛ قال: فبعث جنوده، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي بين جبلي نخلة؛ قال أبو كريب: قال وكيع: يعني بطن نخلة، قال: فرجعوا إلى إبليس فأخبروه، قال: فقال هذا الذي حدث.

قلت (مصطفى): وكما أسلفت فقد قدمت كمًّا كبيراً من هذا في سورة الجن من (التسهيل)، فارجع إليها إن شئت.

ثم قال الطبري \$:

إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب. وحفظا من كل شيطان مارد أن لا يسمع إلى الملائكة الأعلیٰ، فحذفت «إن» اكتفاء بدلالة الكلام عليها، كما قيل: (كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ) [الشعراء: ٢٠٠-٢٠١] بمعنى: أن لا يؤمنوا به؛ ولو كان مكان «لا» أن، لكان فصيحاً، كما قيل: (بَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنَّ تَضَلُّوا) [النساء: ١٧٦] بمعنى: أن لا تضلوا، وكما قال: (وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) [النحل: ١٥] بمعنى: أن لا تميد بكم. والعرب قد تجزم مع «لا» في مثل هذا الموضع من الكلام، فتقول: ربطت الفرس لا ينفلت، كما قال بعض بني عقيل:

وحتى رأينا أحسن الود بيننا مساكنة لا يقرف الشر قارف

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: (لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَا الْأَعْلَىٰ) قال: منعوها. ويعني بقوله: (إِلَى الْمَلَا): إلى جماعة الملائكة التي هم أعلى ممن هم دونهم.

قال: وقوله: (وَيُفَذِّقُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا) ويرمون من كل جانب من جوانب السماء دحورًا.

والدحور: مصدر من قولك: دحرته أدحره دحراً ودحوراً، والدحر: الدفع والإبعاد، يقال منه: ادحر عنك الشيطان: أي ادفعه عنك وأبعده.

قال الطبري \$:

وقوله: (وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾) يقول تعالى ذكره: ولهذه الشياطين المستترقة السمع عذاب من الله واصل.

وأورد وجهين للعلماء في تفسير الواصب:

أحدهما: الدائم.

والآخر: الموجه.

واختار أنه الدائم، فقال:

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال: معناه: دائم خالص، وذلك أن الله قال: (وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا) [النحل: ٥٢] فمعلوم أنه لم يصفه بالإيلام والإيجاع، وإنما وصفه بالثبات والخلوص.

وقوله: (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) يقول: إلا من استرق السمع منهم (فَأَنْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾) يعني: مضيء متوقد.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (فَأَنْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾) من نار وثقوبه: ضوءه.

وبإسناد حسن عن السدي قوله: (شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾) قال: شهاب مضيء يحرقه حين يرمى به.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض (زينة الكواكب) (٦)، قرئ بالإضافة وبالبديل، وكلاهما بمعنى واحد، فالكواكب السيارة والثوابت يثقب ضوءها جرم السماء الشفاف، فتضيء لأهل الأرض، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) (٥) [الملك: ٥]، وقال: (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ) (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنْ أَصْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ (١٨).

[الحجر: ١٦-١٨]

وقوله ها هنا: (وَحَفِظًا) تقديره: وحفظناها حفظًا، (مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ) (٧) يعني: المتمرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع، أتاه شهاب ثاقب فأحرقه، ولهذا قال: (لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ إِلَّا أَعْلَى) أي: لنلا يصلوا إلى الملاء الأعلى، وهي السماوات ومن فيها من الملائكة، إذا تكلموا بما يوحيه الله مما يقوله من شرعه وقدره، كما تقدم بيان ذلك في الأحاديث التي أوردناها عند قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (٢٣) [سبا: ٢٣] ولهذا قال: (وَيُقَذَّفُونَ) أي: يرمون (مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) (٨) أي: من كل جهة يقصدون السماء منها، (دُحُورًا) أي: رجما يدحرون به ويرجمون، ويمنعون من الوصول إلى ذلك، (وَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ) (٩) أي: في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجه مستمر، كما قال: (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) (٥) [الملك: ٥].

وقوله: (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) أي: إلا من اختطف من الشياطين الخطفة، وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقبها إلى الذي تحته، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته، وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها بقدر الله قبل

أن يأتيه الشهاب فيحرقه، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن، كما تقدم في الحديث، ولهذا قال: (إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۖ) أي: مستنير.



قال الله تعالى:

(فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾
بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نَكُنْ نَرَاكَ وَكَانَ نُرَابًا عَظِيمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ
﴿١٦﴾ أَوَّابًا أَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ
فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ
بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾) [الصافات: ١١-٢١]

س: وضح معنى ما يلي:

(فَاسْتَفْنِهِمْ - طِينٍ لَّازِبٍ - عَجِبْتَ - يَسْتَخِرُونَ - دَخِرُونَ - زَجَرَةٌ - يَوْمَ الدِّينِ - يَوْمُ الْفَصْلِ).

ج:

الكلمة	معناها
(فَاسْتَفْنِهِمْ)	سلهم
(طِينٍ لَّازِبٍ)	طين لاصق (يلصق بعضه ببعض ويلصق بيد من يحمله) وقيل: الجيد، وقيل: إن الطين الجيد يكون لزجاً
(عَجِبْتَ)	تعجبت
(يَسْتَخِرُونَ)	يسخرون ويستهنئون
(دَخِرُونَ)	أذلاء - صاغرون
(زَجَرَةٌ)	نفخة واحدة - صيحة واحدة (النفخ في الصور) - وقيل: دعوة واحدة
(يَوْمَ الدِّينِ)	يوم القيامة الذي يُدان فيه الناس بأعمالهم
(يَوْمُ الْفَصْلِ)	يوم القيامة الذي يفصل فيه بين العباد ويُقضى فيه بينهم



س: وضح معنى قوله تعالى: (فَاسْتَفْنِهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ

طِينٍ لَّازِبٍ (١١)).

ج: المعنى - والله أعلم - سل يا رسول الله هؤلاء المشركين الجاحدين المنكرين للبعث أهم أشد خلقنا أم الأشياء الأخر التي خلقناها كالسماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والشياطين وغير ذلك، فإن خلق

السموات والأرض أكبر وأعظم من خلقهم كما قال تعالى: (لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾) **[غافر: ٥٧]**، فإذا كان كذلك فإن بعثهم أحياء يوم القيامة أمرٌ يسيرٌ علينا، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: فاستفت يا محمد هؤلاء المشركين الذي ينكرون البعث بعد الممات والنشور بعد البلاء: يقول: فسألهم: أهم أشد خلقاً؟ يقول: أخلقهم أشد أم خلق من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسموات والأرض؟ وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله بن مسعود: (أهم أشد خلقاً أم من عددنا)؟

وقوله: (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾) يقول: إنا خلقناهم من طين لاصق. وإنما وصفه جل ثناؤه باللزوب، لأنه تراب مخلوط بماء، وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء؛ والتراب إذا خلط بماء صار طيناً لازباً. **وأورد بإسناد صحيح عن ابن عباس قال:** اللازب: الجيد. **وفي رواية عن ابن عباس:** هو الطين الحر الجيد اللزج. **وفي رواية عنه يشهد لها ما تقدم:** (مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾) يقول: ملتصق. **وبإسناد حسن عن قتادة:** واللازب الذي يلزق باليد. **وقال ابن كثير \$:**

يقول تعالى: فسأل هؤلاء المنكرين للبعث: أيما أشد خلقاً هم أم السموات والأرض، وما بينهما من الملائكة والشياطين والمخلوقات

العظيمة؟ -وقراً ابن مسعود: (أم من عددنا) -فإنهم يُقرّون أن هذه المخلوقات أشد خلقاً منهم، وإذا كان الأمر كذلك فلم ينكرون البعث؟ وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا. كما قال تعالى: (لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾) [غافر: ٥٧] ثم بين أنهم خلّقوا من شيء ضعيف، فقال: (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾).

قال مجاهد، وسعيد بن جبير، والضحاك: هو الجيّد الذي يلتزق بعضه ببعض. وقال ابن عباس، وعكرمة: هو اللزج. وقال قتادة: هو الذي يلزق باليد.



س: في قوله تعالى: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾) قراءتان. وضحهما مع بيان معنيهما.

ج: نعم في قوله تعالى: (عَجِبْتَ) قراءتان.

إحداهما: (عَجِبْتَ) بفتح التاء.

الثانية: (عجبتُ) بضم التاء.

ومعنى (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾): أي بل عجبت أنت يا رسول الله من الفضل العظيم الذي أنزلته عليك وإبلاغك إياهم وتكذيبهم لك وسخريتهم بك. فأنت تقدم لهم كل خير، وتخبرهم بما فيه كل نفع وتتلو عليهم خير كتاب وهم يسخرون منك ويكذبونك ويعاندونك، فأنت متعجبٌ من صنيعهم وهم يسخرون منك.

والوجه الثاني: (بل عجبْتُ): معناه - والله أعلم -: أن الله ٥ يخبرنا بأنه تَعَجَّب من صنيع هؤلاء المكذبين، فالقرآن يتلى عليهم، وهم فيه يسخرون

وأنت تدعوهم إلى التوحيد وهم يسخرون منك.
وأيضًا قد عجب ربنا من اتخاذهم شريكًا له مع هذه الآيات التي تُساق إليهم.

قوله: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة: (بل عجبْتُ ويسخرون) بضم التاء من عجبت، بمعنى: بل ^(١) عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكًا، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة: (بَلْ عَجِبْتَ) بفتح التاء بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن.

هذا، وقد أورد الطبري عن قتادة بسندٍ حسن أنه قال: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾) قال: عجب محمد عليه الصلاة والسلام من هذا القرآن حين أعطيه، وسخر منه أهل الضلالة.

وقال الطبري \$:

وقوله: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾) أي: بل عجبت -يا محمد- من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث، وأنت موقن مصدق بما أخبر الله به من الأمر العجيب، وهو إعادة الأجسام بعد فنائها. وهم بخلاف أمرك، من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك.

وهذه فائدة أوردتها الطبري رحمه الله تعالى في سؤال طرحه وأجاب عليه، بعد أن صوّب القراءتين بقوله الصواب من القول في ذلك أن يقال:

(١) وليس معنى هذا أن الطبري ينفي صفة العجب لله ولا أن صفة العجب منتفية عن الله. فسيورد الطبري القول الذي فيه... قد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله.

إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

فإن قال قائل: وكيف يكون مصيباً القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟
 قيل: إنهما وإن اختلف معنيهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه.

فإن قال: أكان التنزيل بإحدهما أو بكليتهما؟ قيل: التنزيل بكليتهما.
 فإن قال: وكيف يكون تنزيل حرف مرتين؟ قيل: إنه لم ينزل مرتين، إنما أنزل مرة، ولكنه أمر □ أن يقرأ بالقراءتين كليتهما، ولهذا موضع سنستقصي إن شاء الله فيه البيان عنه بما فيه الكفاية.



إثبات صفة التعجب لله

س: هل ربنا سبحانه وتعالى يعجب؟

ج: نعم ربنا سبحانه وتعالى يعجب، على الوجه الذي يليق به سبحانه، والشأن في ذلك شأن سائر الصفات.

قال رسول الله □: «عجب الله من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل»^(١).



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ

(١) البخاري حديث (٣٠١٠).

(١٤)

ج: المعنى - والله أعلم - أن هؤلاء المشركين إذا ذكروا ووعظوا بالقرآن وما فيه من الآيات لا ينتفعون بالذكرى وإذا حذروا لا ينتفعون بالتحذير.

(وَإِذَا رَأَوْا آيَةً دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى قُدْرَتِنَا وَوَحْدَانِيَّتِنَا يَسْخَرُونَ مِنْهَا وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهَا، فَهَذَا شَأْنُهُمْ إِعْرَاضٌ وَسُخْرِيَةٌ وَعَدَمُ انْتِفَاعٍ.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وإذا ذكر هؤلاء المشركون حجج الله عليهم ليعتبروا ويتفكروا، فينبئوا إلى طاعة الله (لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾): يقول: لا ينتفعون بالتذكير فيتذكروا.

وقوله: (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾) يقول: وإذا رأوا حجة من حجج الله عليهم، ودلالة على نبوة نبيه محمد □ يستسخرون: يقول: يسخرون ويستهزئون.



استنكار المشركين للبعث

س: وضع معنى قوله تعالى: (وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾) إِذَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَابًا وَعِظْلَمًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَّابًا وَأَنَا الْآوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾).

ج: هذا - والله تعالى أعلم - إخبارٌ عن أهل الكفر وقولهم في القرآن الكريم، واستنكارهم للبعث، فقالوا عن القرآن: ما هذا إلا سحرٌ مظهرٌ لمن تأمله أنه سحرٌ، ثم قالوا عن البعث مستنكرين: أنذا متنا وتفرقت أجسادنا

وتقطعت أوصالنا وكنا ترابًا وعظامًا بالية نخرَةً أننا لمبعوثون أحياء بعد الممات؟! وكذلك سيبعث أبؤنا الذين قد ماتوا وذهبوا؟ فأين هم الآن؟! قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين الذين وصفوا القرآن بأنه سحر، نعم ستبعثون وأنتم أذلاء صاغرون، وما هي إلا نفخة واحدة - صيحة واحدة - ينفخها إسرافيل في الصور فإذا أنتم من القبور قيام تنظرون، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون - من قریش - بالله لمحمد □: ما هذا الذي جنننا به إلا سحر مبين.

يقول: يبين لمن تأمله وراه أنه سحر (أَءَدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾) يقولون، منكرين بعث الله إياهم بعد بلائهم: أننا لمبعوثون أحياء من قبورنا بعد مماتنا، ومصيرنا ترابًا وعظامًا، قد ذهب عنها اللحم. (أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾) الذين مضوا من قبلنا، فبادوا وهلكوا.

يقول الله لنبيه محمد □: قل لهؤلاء: نعم أنتم مبعوثون بعد مصيركم ترابًا وعظامًا أحياء كما كنتم قبل مماتكم، وأنتم داخرون.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: (أَءَدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ

﴿١٦﴾ أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾) تكذيبًا بالبعث (قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ ﴿١٨﴾).

وقوله: (وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ ﴿١٨﴾) يقول تعالى ذكره: وأنتم صاغرون أشد الصغر؛ من قولهم: صاغر داخر.

وقوله: (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾) يقول تعالى ذكره: فإنما هي صيحة واحدة، وذلك هو النفخ في الصور (فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾) يقول: فإذا هم

شاخصة أبصارهم ينظرون إلى ما كانوا يوعدونه من قيام الساعة ويعاينونه.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

(وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾) أي: إن هذا الذي جئت به إلا سحر مبين، (أَيُّ ذَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَآكَ وَعَظَمَاءَنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَّابًا وَأَنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾) يستبعدون ذلك ويكذبون به، (قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾) أي: قل لهم يا محمد: نعم تبعثون يوم القيامة بعد ما تصيرون ترابًا وعظامًا، (وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾) أي: حقرون تحت القدرة العظيمة، كما قال تعالى: (وَكُلُّ أُنُوفٍ دَاخِرٍ ﴿٨٧﴾) [النمل: ٨٧]، وقال: (إِنَّ الْأَزْيَكَ يَسْتَكَرِبُونَ عَنْ عِبَادَتِي سِيدًّا خُلُونُ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾) [غافر: ٦٠].

وقوله: (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾) أي: إنما هو أمر واحد من الله ٥، يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض، فإذا هم بين يديه، ينظرون إلى أهوال يوم القيامة.

وقال القرطبي \$:

أي إذا عجزوا عن مقابلة المعجزات بشيء قالوا هذا سحر وتخييل وخداع (أَيُّ ذَا مِنَّا) أي: أنبعث إذا متنا؟ فهو استفهام إنكار منهم وسخرية (أَوَّابًا وَأَنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾) أي: أو تبعث آبؤنا دخلت ألف الاستفهام على حرف العطف وقرأ نافع: (أو آبؤنا) بسكون الواو وقد مضى هذا في سورة (الأعراف) في قوله تعالى: (أَوَّامِنَ أَهْلُ الْقُرَى) [الأعراف: ٩٨].

قوله تعالى: (قُلْ نَعَمْ) أي: نعم تبعثون (وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾) أي: صاغرون أذلاء لأنهم إذا رأوا وقوع ما أنكروه فلا محالة يذلون، وقيل: أي: ستقوم القيامة وإن كرهتم فهذا أمر واقع على رغمتكم وإن أنكرتموه اليوم

بزعمكم (فَاتَّمَاهِ زَجْرَةٌ وَحِدَةٌ) أي: صيحة واحدة قاله الحسن: وهي النفخة الثانية وسميت الصيحة زجرة لأن مقصودها الزجر، أي: يزجر بها كزجر الإبل والخيول عند السوق (فَإِذَا هُمْ) قيام (يَنْظُرُونَ) (١٩) أي: ينظر بعضهم إلى بعض، وقيل: المعنى ينتظرون ما يفعل بهم، وقيل: هي مثل قوله: (فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا) [الأنبياء: ٩٧] وقيل: أي: ينظرون إلى البعث الذي أنكروه.

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ (٢٠) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي

كُتِبَ بِهِ تَكْذِبُوكَ (٢١)).

ج: هذا - والله أعلم - دعاء منهم على أنفسهم فدعوا على أنفسهم بالويل، وأيضاً كأنهم فزعوا لما سيحل بهم، وكأنهم أيضاً قالوا: يا للويل الذي سيحل بنا يا لعظيم هذه المصيبة ولشدة هذا العذاب.

فهذا يوم القيامة الذي كنا نستبعده قد جاء، وقد حلّ، هذا هو اليوم الذي يُفصل فيه بين العباد فيدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون المكدبون إذا زجرت زجرة واحدة، ونفخ في الصور نفخة واحدة: (يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ (٢٠) يقولون: هذا يوم الجزاء والمحاسبة.

وقوله: (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِبُوكَ (٢١)) يقول تعالى ذكره: هذا يوم فصل الله بين خلقه بالعدل من قضائه الذي كنتم به تكذبون في الدنيا فتنكرونه.

وقال ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن قِيلِ الكفار يوم القيامة أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا، فإذا عاينوا أهوال القيامة ندّموا كلّ الندم حيث لا ينفعهم الندم، (وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ (٢٠)). فتقول لهم الملائكة والمؤمنون: (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِبُوكَ (٢١)). وهذا يقال لهم على وجه التقرّيع والتوبيخ.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ (٢٠)) نادوا على أنفسهم بالويل لأنهم يومئذ يعلمون ما حل بهم وهو منصوب على أنه مصدر عند البصريين، وزعم الفراء أن تقديره: ياوي لنا ووي بمعنى: حزن. النحاس: ولو كان كما قال لكان منفصلاً وهو في المصحف متصل ولا نعلم أحداً يكتبه إلا متصلاً و(يَوْمُ الَّذِينَ (٢٠)) يوم الحساب، وقيل: يوم الجزاء (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِيبُكَ (٢١)) قيل: هو من قول بعضهم لبعض أي هذا اليوم الذي كذبنا به وقيل: هو من قول الله تعالى لهم وقيل: من قول الملائكة، أي: هذا يوم الحكم بين الناس فيبين المحق من المبطل فـ (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧)) [الشورى: ٧].



قال الله تعالى:

(﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ ٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ أَلْيَمِينَ ﴿٢٦﴾ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٩﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰئِقُونَ ﴿٣٢﴾ فَأَعْوَيْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٣﴾ فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّا كَذَلِكْ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٧﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٨﴾ إِنَّكُمْ لَذَٰئِقُونَ الْعَذَابِ الْآلِيمِ ﴿٣٩﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْمْ تَعْمَلُونَ ﴾)

[الصافات: ٢٢-٣٩]

س: اذكر معنى ما يلي:

(أَحْشَرُوا) - الَّذِينَ ظَلَمُوا - وَأَزْوَجَهُمْ - فَاهْدُوهُمْ - صِرَاطِ الْجَحِيمِ - وَقِفُوهُمْ^١ - لَا تَنَاصَرُونَ - مُسْتَسْلِمُونَ - يَسْأَلُونَ - نَأْتُونَا عَنِ الْيَمِينِ - سُلْطَنٌ - طَغَيْنَ - فَحَقَّ عَلَيْنَا - فَاغْوَيْتَكُم - وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ).

ج:

الكلمة	معناها
(أَحْشَرُوا)	اجمعوا
(الَّذِينَ ظَلَمُوا)	الذين كفروا - الذين أشركوا
(وَأَزْوَجَهُمْ)	أشباههم - نُظَرَاءُهم - ضُرَبَاءُهم ^(١) - أَتْبَاعُهم - أمثالهم - أَشْيَاعُهم
(فَاهْدُوهُمْ)	أرشدوهم - سوقوهم
(صِرَاطِ الْجَحِيمِ)	طريق النار
(وَقِفُوهُمْ ^١)	احبسوهم - أوقفوهم (في مكانهم لا يتحركون حتى تُسألوا)
(لَا تَنَاصَرُونَ)	لا ينصر بعضهم بعضاً
(مُسْتَسْلِمُونَ)	خاضعون - ذليلون - لا يستطيعون فعل شيء يريدونه، بل يفعل بهم ما يريد
(يَسْأَلُونَ)	يتخاصمون - يتلومون - يوبِّخ بعضهم بعضاً
	تدخلون علينا من قبل الدين فتصرفوننا عن الحق إلى

(١) أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن عمر ؓ أنه قال: ضرباءهم.

(تَأْتُونَنَا عَلَى الْيَمِينِ)	الباطل، وتزينون لنا الدنيا وتزهدوننا في الآخرة. تجبروننا على الكفر بالقوة والقهر. تأتوننا من حيث نأمنكم
(سُلْطٰنٍ)	قوة - قهر - حجة
(طٰغِيْنَ)	متجاوزين للحد في الكفر والظلم والمعاصي والكبائر
(فَحَقَّ عَلَيْنَا)	فوجب علينا ما كتبه الله علينا فحلّ بنا
(فَأَغْوَيْتَكُمْ)	فصرفناكم عن الحق - أضللناكم - زينا لكم
(وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ)	وافق المرسلين فيما قالوه أخبر بصدقهم وأنهم ما كذبوا آمن بالمرسلين قبله



بعض مشاهد القيامة

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٣)

مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْحَنِيمِ ﴿٢٣﴾ وَفَقُوهَرَّ إِلَهُهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ
أَلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أنه يُقال للملائكة اجمعوا أهل الكفر والشرك بالله ٥ مع آلهتهم التي عبدوها من دون الله، من أصنام ونحو ذلك، اجمعوهم مع نظرائهم وأمثالهم وأشياعهم وأتباعهم.

أما قوله: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فله وجهان: أحدهما: مع الله، أي: وما كانوا يعبدونه مع الله، الثاني: يعبدونها بدلاً من عبادتهم لله، أي: يتركون عبادة الله بالكلية.

أما قوله: (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾) فمعناه: فأرشدوهم إلى طريق النار.
أما قوله تعالى: (وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾) فمعناه: أوقفوهم للسؤال؛ أما متى هذا الوقوف ومتى هذا الإيقاف، فالله أعلم به، ثم من العلماء من قال: يوقفون وهم في طريقهم إلى النار لتأنيبهم وتبكيتهم وتوبيخهم وبيان ضعفهم ومهانتهم، فيقال لهم: (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾) لا ينصر بعضكم بعضًا، فلا جواب إلا الاستسلام والخضوع والذل والمهانة، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

وفي هذا الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر عما ترك، وهو: فيقال: احشروا الذين ظلموا، ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفروا بالله في الدنيا وعصوه وأزواجهم وأشياهم على ما كانوا عليه من الكفر بالله وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: (﴿احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾) قال: أزواجهم في الأعمال، وقرأ (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾) **[الواقعة: ٧-١٠]** فالسابقون زوج، وأصحاب الميمنة زوج، وأصحاب الشمال زوج، قال: كل من كان من هذا حشره الله معه. وقرأ: (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾) **[التكوير: ٧]** قال: زوجت على الأعمال، لكل واحد من هؤلاء زوج، زوج الله بعض هؤلاء بعضًا، زوج أصحاب اليمين أصحاب اليمين، وأصحاب المشأمة أصحاب المشأمة، والسابقين السابقين، قال: فهذا قوله: (﴿احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾) قال: أزواج الأعمال التي زوجهن الله.

وقوله: (وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾) يقول تعالى ذكره: احشروا هؤلاء المشركين وألهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، فوجهوهم إلى طريق الجحيم.

وقال في تأويل قوله تعالى: (وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ أَیَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾).

يقول تعالى ذكره: (وَقِفُّهُمْ): احبسوهم: أي احبسوا أيها الملائكة هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم، وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة (إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾) فاختلف أهل التأويل في المعنى الذي يأمر الله تعالى ذكره بوقفهم لمسألتهم عنه، فقال بعضهم: يسألهم هل يعجبهم ورود النار.

وقال آخرون: بل ذلك للسؤال عن أعمالهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقفوا هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم إنهم مسئولون عما كانوا يعبدون من دون الله.

وقوله: (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾) يقول: ما لكم أيها المشركون بالله لا ينصر بعضكم بعضاً (بَلْ هُمْ أَیَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾) يقول: بل هم اليوم مستسلمون لأمر الله فيهم وقضائه، موقنون بعذابه. وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾) لا والله لا يتناصرون، ولا يدفع بعضهم عن بعض (بَلْ هُمْ أَیَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾) في عذاب الله.

وقوله: (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾) قيل: معنى ذلك: وأقبل الإنس على الجن يتساءلون.

ذكر من قال ذلك:

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾) الإنس على الجن.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

الملائكة أن تُميزَ الكفار من المؤمنين في الموقف في محشرهم ومنشرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾.

(وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي: من الأصنام والأنداد، تحشر معهم في أماكنهم. وقوله: (فَأَمْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾) أي: أرشدوهم إلى طريق جهنم، وهذا كقوله تعالى: (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكَآ وَصُمَّا مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴿١٧﴾) [الإسراء: ٩٧].

وقوله: (وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مُسْئِلُونَ ﴿٢٤﴾) أي: قفوهم حتى يُسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا.

وقال \$:

ثم يقال لهم على سبيل التفریع والتوبيخ: (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾) أي: كما زعمتم أنكم جميع منتصر، (بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُتَسَلِّمُونَ ﴿٢٦﴾) أي: منقادون لأمر الله، لا يخالفونه ولا يحدون عنه.

أما القرطبي \$، فأورد أقوالاً نحو التي تقدمت ومما أورده في قوله تعالى: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ أن الكافر يحشر مع الكافر، والزاني مع الزاني، وشارب الخمر مع شارب الخمر.

وكان مما أورده: نساؤهم اللواتي هن لهم موافقات على الكفر.

ويشهد للمعنى ما ورد في حديث^(١) رسول الله ﷺ ففيه: «..... يجمع

الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعة، فيتبع من كان يعبد

(١) البخاري (٧٤٣٧) وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت».

*** وفي رواية^(١):** «... فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم».



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ نَاتُونَ آدَمَ ٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰبِقُونَ ٣١) فَأَعْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غٰوِينَ ٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ٣٣) إِنَّا كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ٣٤).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل النار يقبل بعضهم على بعض يتخاصمون ويتلاومون.

وللعلماء هنا قولان في تفسير قوله تعالى: (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ): أحدهما: أن الإنسي أقبل على الجنّي الذي أضلّه وأغواه. الثاني: أن التابع من بني آدم (وهم الضعفاء) أقبل على المتبوع (وهم المستكبرون).

وكلا القولين صحيح، فهذا كله كائن يوم القيامة. وإن كان الأشهر في هذا المقام أن الإنسي أقبل على الجنّي (وهو الشيطان والقرين الذي أغواه).

الحاصل أن التابع قاله للمتبوع.

(١) البخاري (٧٤٣٩) من حديث أبي سعيد مرفوعاً.

فالكفار من بني آدم أقبلوا على الشياطين التي أضلتهم فقالوا لهم: (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا مِنْ نَاحِيَةِ الدِّينِ فَتَزِينُونَ لَنَا الْبَاطِلَ، وَتَزْهَدُونَا فِي الْخَيْرِ وَالْحَقِّ بِشِبْهِكُمْ الَّتِي تَقْذِفُونَهَا إِلَيْنَا).

وكذلك أيضاً يقول الأتباع من البشر لسادتهم وكبرائهم: إنكم كنتم تقهروننا على عبادة هذه الآلهة الباطلة وترغبوننا في عبادتها، فيجيب أهل الكفر من شياطين وعتاة بني آدم: (بَلْ لَمْ تَكُونُوا) أيها الأتباع من أهل الكفر (مُؤْمِنِينَ) على إيمان، وما كانت لدينا قوة نقهركم بها على الكفر ولكنكم اخترتم هذا الطريق، وكنتم من أهل الطغيان وتجاوز الحدود، فوجب علينا ما كتب علينا كما قال تعالى: (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسِ أَجْمَعِينَ).

[هود: ١١٩]

فها نحن ندوق العذاب، لقد اخترنا طريقاً وهو طريق الضلال فسلكناه فسلكتموه معنا، فقد كنا غاوين فأغويناكم معنا.

قال تعالى: (فَإِنَّهُمْ) الأتباع والمتبوعون، كفار الإنس والشياطين كلهم مشتركون في العذاب، وهكذا نفعل بكل مجرم ومن اتبعه على إجرامه. وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$ بعد أن أورد بسند حسن عن قتادة قوله: (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) الإنس على الجن.

قال الطبري:

في تأويل قوله تعالى: (قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَغَيْنَ).

يقول تعالى ذكره: قالت الإنس للجن: إنكم أيها الجن كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق فتخدعوننا بأقوى الوجوه، واليمين: القوة والقدرة في كلام العرب، ومنه قول الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاهما عرابة باليمين
يعني: بالقوة والقدرة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۖ) قال: قالت الإنس للجن: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، قال: من قبل الخير، فتنهوننا عنه، وتبطلوننا عنه.

وبإسناد حسن عن السدي في قوله: (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۖ) قال: تأتوننا من قبل الحق تزينون لنا الباطل، وتصدوننا عن الحق.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۖ) قال: قال بنو آدم للشياطين الذين كفروا: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، قال: تحولون بيننا وبين الخير، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان، والعمل بالخير الذي أمر الله به.

وقوله: (قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۚ) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ يقول تعالى ذكره: قالت الجن للإنس مجيبة لهم: بل لم تكونوا بتوحيد الله مقرين، وكنتم للأصنام عابدين.

(وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) يقول: قالوا: وما كان لنا عليكم من حجة، فنصدكم بها عن الإيمان، ونحول بينكم من أجلها وبين اتباع الحق (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ۖ) يقول: قالوا لهم: بل كنتم أيها المشركون قوماً طاغين على الله، متعدين إلى ما ليس لكم التعدي إليه من معصية الله وخلاف أمره.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قال: قالت لهم الجن: (بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) حتى بلغ (قَوْمًا طَغَيْنَ (٣٠)).

وبإسناد حسن عن السدي في قوله: (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) قال: الحجة وفي قوله: (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَغَيْنَ (٣٠) قال: كفار ضلال.

وقال في تأويل قوله تعالى: (فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَعْوَبْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤)).

يقول تعالى ذكره: فحق علينا قول ربنا، فوجب علينا عذاب ربنا، إنا لذائقون العذاب نحن وأنتم بما قدمنا من ذنوبنا ومعصيتنا في الدنيا؛ فهذا خبر من الله عن قيل الجن والإنس.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا) قال: هذا قول الجن. **وقوله:** (فَأَعْوَبْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ (٣٢) يقول: فأضللناكم عن سبيل الله والإيمان به إنا كنا ضالين؛ وهذا أيضاً خبر من الله عن قيل الجن والإنس، قال الله (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) يقول: فإن الإنس الذين كفروا بالله وأزواجهم، وما كانوا يعبدون من دون الله، والذين أغوا الإنس من الجن يوم القيامة في العذاب مشتركون جميعاً في النار، كما اشتهر في الدنيا في معصية الله.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) قال: هم والشياطين. (إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) يقول تعالى ذكره: إنا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصي الله في الدنيا على طاعته، والكفر به على الإيمان، فنذيقهم العذاب الأليم، ونجمع بينهم وبين قرنائهم في النار.

وقال ابن كثير \$:

يذكر تعالى أن الكفار يتلاومون في عرصات القيامة، كما يتخاصمون في دركات النار، (فَيَقُولُ أَضْعَفَتْوُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُعْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾) [غافر: ٤٧، ٤٨]. وقال: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا أَفَنُحْ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْدَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾) [سبا: ٣١-٣٣]. قالوا لهم ها هنا: (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾).

وقوله: (قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾) تقول القادة من الجن، والإنس للاتباع: ما الأمر كما تزعمون؟ بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان، قابلة للكفر والعصيان، (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) أي: من حجة على صحة ما دعوناكم إليه، (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾) أي: بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق، فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذي جاءكم به الأنبياء، وأقاموا لكم الحجج على صحة ما جاءوكم به، فخالفتموهم.

(فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰلِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَوِينَ ﴿٣٢﴾)، يقول الكبراء للمستضعفين: حقت علينا كلمة الله: إنا من الأشقياء الذائقين العذاب يوم القيامة، (فَأَعْوَيْنَكُمْ) أي: دعوناكم إلى الضلالة، (إِنَّا كُنَّا غَوِينَ ﴿٣٢﴾) أي: دعوناكم إلى ما نحن فيه، فاستجبتم لنا، قال الله تعالى: (فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾) أي: الجميع في النار، كل بحسبه، (إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ

وقال القرطبي \$:

و(يَسَاءَ لَوْ (٢٧) ها هنا إنما هو أن يسأل بعضهم بعضًا ويوبخه في أنه أضله أو فتح له بابًا من المعصية يبين ذلك أن بعده (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قال مجاهد: هو قول الكفار للشياطين، وفتادة: هو قول الإنس للجن وقيل: هو من قول الأتباع للمتبوعين دليله قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ) [سبا: ٣١] الآية قال سعيد عن فتادة: أي تأتوننا عن طريق الخير وتصدوننا عنها وعن ابن عباس نحو منه وقيل: تأتوننا عن اليمين التي نحبها ونتفاعل بها لتغرونا بذلك من جهة النصح والعرب تتفاعل بما جاء عن اليمين وتسمية السانح وقيل: (تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) تأتوننا مجيء من إذا حلف لنا صدقناه، وقيل: تأتوننا من قبل الدين فتهنون علينا أمر الشريعة وتنفروننا عنها.

قلت: وهذا القول حسن جدًا؛ لأن من جهة الدين يكون الخير والشر واليمين بمعنى الدين أي: كنتم تزينون لنا الضلالة، وقيل: اليمين بمعنى القوة أي: تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر قال الله تعالى: (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (١٣) [الصفات: ٩٣] أي: بالقوة وقوة الرجل في يمينه وقال الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

أي: بالقوة والقدرة وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد: (تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) أي: من قبل الحق أنه معكم وكله متقارب المعنى (قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) قال فتادة: هذا قول الشياطين لهم، وقيل: من قول الرؤساء أي: لم تكونوا مؤمنين قط حتى ننقلكم منه إلى الكفر بل كنتم على الكفر

فأقمتم عليه للإلف والعادة (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ) أي: من حجة في ترك الحق (بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾) أي: ضالين متجاوزين الحد (فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا) هو أيضاً من قول المتبوعين، أي: وجب علينا وعليكم قول ربنا فكلنا ذائقو العذاب كما كتب الله وأخبر على ألسنة الرسل (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٣١﴾) [السجدة: ١٣] وهذا موافق للحديث: «إِنَّ اللَّهَ جَل وَعَزْ كَتَبَ لِلنَّارِ أَهْلًا وَلِلْجَنَّةِ أَهْلًا لَا يَزَادُ فِيهِمْ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُمْ» (فَأَعْوَيْنَاكُمْ) أي: زينا لكم ما كنتم عليه من الكفر (إِنَّا كُنَّا غَوِينَ ﴿٣٢﴾) بالوسوسة والاستدعاء ثم قال خبراً عنهم: (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾) الضال والمضل (إِنَّا كَذَلِكِ) أي مثل هذا الفعل (نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾) أي: المشركين.



س: وضع معنى هذه الآيات: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا تَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾).

ج: معناها - والله أعلم - أن أهل الشرك كانوا إذا طُلب منهم أن يقولوا: لا إله إلا الله، فقبل لهم: قولوا: لا إله إلا الله، استكبروا وامتنعوا عن ذلك ويتمادى بهم الضلال والغى إلى أن يصفوا رسول الله ﷺ بأنه شاعر مجنون، فيقولون: أنت ترك عبادة آلهتنا من أجل أن شاعراً مجنوناً قال لنا اتركوا عبادتها؟!!!

فيدافع الله ﷻ عن نبيه ﷺ وعن الوحي الذي أوحاه إليه، فيقول تعالى: (بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ) وهو القرآن والتوحيد والإيمان، (وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾) ووافق الرسل الذين قد تقدموه ولم يخالفهم، وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وإن هؤلاء المشركين بالله الذين وصف صفتهم في هذه الآيات كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: قولوا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾) يقول: يتعظمون عن قيل ذلك ويتكبرون؛ وترك من الكلام قولوا، اكتفاءً بدلالة الكلام عليه من ذكره.

وقوله: (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِتَارِكُوا إِلَهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾) يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون من قريش: أنت ترك عبادة آلهتنا لشاعر مجنون؟! يقول: لاتباع شاعر مجنون يعنون بذلك نبي الله ﷺ ونقول: لا إله إلا الله.

وقوله: (بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ) وهذا خبر من الله مكذباً للمشركين الذين قالوا للنبي ﷺ: شاعر مجنون – كذبوا – ما محمد كما وصفوه به من أنه شاعر مجنون، بل هو الله نبي جاء بالحق من عنده، وهو القرآن الذي أنزله عليه، وصدق المرسلين الذين كانوا من قبله.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ) بالقرآن (وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾): أي: صدق من كان قبله من المرسلين.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

(إِنَّهُمْ كَانُوا) أي: في الدار الدنيا (إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾) أي: يستكبرون أن يقولوها، كما يقولها المؤمنون.

وقال أيضاً: (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِتَارِكُوا إِلَهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾) أي: نحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول الشاعر المجنون، يعنون رسول الله ﷺ؟! قال الله تعالى تكذيباً لهم، ورداً عليهم: (بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ) يعني: رسول الله ﷺ جاء بالحق في جميع شرعة الله له من الإخبار والطلب، (وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾) أي:

صَدَّقْهُمْ فِيمَا أَخْبَرُوا عَنْهُ مِنَ الصَّافَاتِ الْحَمِيدَةِ، وَالْمَنَاهِجِ السَّيِّدَةِ، وَأَخْبَرِ
عَنِ اللَّهِ فِي شَرِّهِ وَأَمْرِهِ كَمَا أَخْبَرُوا، (مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ...)
الآية.

[فصلت: ٤٣]

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَرٰكَوْا إِلَهَةً نَالِشَاعِرِ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾) أي: لقول شاعر
مجنون فرد الله جلَّ وعزَّ عليهم فقال: (بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ) يعني: القرآن والتوحيد
(وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾) فيما جاؤوا به من التوحيد.



س: وضع معنى قوله تعالى: (إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾).

ج: هذا - والله تعالى أعلم - قول الله ٥ ووعيده للمشركين الذين كذبوا
رسول الله ﷻ وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ووصفوا رسول الله ﷻ
بأنه شاعر مجنون، قال الله لهم: إنكم لذائقوا يوم القيامة العذاب المؤلم
الموجع جزاء لكم بما عملتموه في الدنيا.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من أهل مكة، القائلين لمحمد:
شاعر مجنون (إِنَّكُمْ) أيها المشركون (لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾) الموجع في
الآخرة (وَمَا تُجْزَوْنَ) يقول: وما تتأبون في الآخرة إذا ذقتم العذاب الأليم فيها
(إِلَّا) ثواب (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾) في الدنيا - معاصي الله.

وقال القرطبي \$:

(إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾) الأصل لذائقون فحذفت النون استخفافا وخفضت للإضافة ويجوز النصب كما أنشد سيبويه:

فألفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله إلا قليلا

وأجاز سيبويه (وَالْمُقِيمِ الصَّلَاةِ) على هذا (وَمَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾) أي: إلا بما عملتم من الشرك.



قال الله تعالى:

(إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَهَهُمْ مِّكْرُمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَهِيَ نَكَ لِيَنَّ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٢﴾ أَهَذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَهِيَ نَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُّطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطْلَعُوا فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلفَوَاءُ أَبَاءَهُمْ ضَالِينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ عَآثِرِهِمْ مُّهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾) [الصافات: ٤٠-٧٤]

س : اذكر معنى ما يلي:

(الْمُخْلِصِينَ - رِزْقٌ مَعْلُومٌ - مُكْرَمُونَ - كَأْسٍ - مَعِينٍ - لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ - غَوْلٌ - يُزْفُونَ -
قَصَرَتْهُ الظَّرْفُ - عَيْنٌ - بَيْضٌ مَكْنُونٌ - يَتَسَاءَلُونَ - قَرِينٌ - لَمَدِيُونٌ - مُطَّلِعُونَ - فَاطَلَعَ - سَوَاءُ
الْجَحِيمِ - لَتَزْدِينَ - الْمُحْضَرِينَ شُرْلاً - فِتْنَةً - أَصْلَ الْجَحِيمِ - طَلَعَهَا - شَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ - أَلْفَوْا
- عَلَى آثَرِهِمْ يَرْعَوْنَ - الْمُنْذِرِينَ - الْمُخْلِصِينَ) .

ج:

معناها	الكلمة
الذين أخلصهم الله واصطفاهم لعبادته	(الْمُخْلِصِينَ)
رزق أعلمهم الله به إجمالاً وهو الجنة	(رِزْقٌ مَعْلُومٌ)
يكرمهم الله ٥	(مُكْرَمُونَ)
إناء (كوب) فيه خمر	(كَأْسٍ)
جار - ظاهر - قريب تراه العين	(مَعِينٍ)
يتلذذ بها شاربوها	(لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ)
لا تغتال عقولهم - اغتيال للعقول وذهاب بها	(غَوْلٌ)
يصابون بالصداع - تستنزف عقولهم	(يُزْفُونَ)
قاصرات النظر إلا على الأزواج لا ينظرن إلا إلى أزواجهن	(قَصَرَتْهُ الظَّرْفُ)
عيناء - حسنة العين	(عَيْنٌ)
بيض محفوظ مصون، وقد قيل: إنه البيض الذي تحت القشر	(بَيْضٌ مَكْنُونٌ)

يسأل بعضهم بعضًا (على سبيل التذكير بما كان من أمر الدنيا وهم فيها)	(يَسْأَلُونَ)
صديق مقارن ملازم	(قَرِينٌ)
لمحاسبون - لمجزئون	(لَمَدِيُونٌ)
ناظرون - مشاهدون	(مُطَّلِعُونَ)
فنظر	(فَاطَّلَعَ)
وسط النار	(سَوَاءِ الْجَحِيمِ)
لتهلكني - لتدخلني النار	(لَتُرْدِيَنِ)
الذين أحضروا في النار ودخلوها	(الْمُحْضَرِينَ)
ضيافةً وعطاءً وفضلاً	(نُزُلًا)
اختبارًا وابتلاءً	(فِتْنَةً)
قرار النار - قاع النار جذعها ومنبتها في قاع النار وفروعها تنتشر في النار، ومن قاع النار غذاؤها - منها غُذيت، ومنا سُقيت	(أَصْلِ الْجَحِيمِ)
ثمرها	(طَلَعَهَا)
لخليطاً ولمزيجاً من الماء الساخن الذي يغلي (قيل: خَلَطَ الماء بالصديد، صديد أهل النار)	(لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ)
وجدوا	(الْفَوْأ)
على طريقهم يسرون مُسرعين فَرعين مرعوبين	(عَلَىٰ أَثَرِهِمْ يهْرَعُونَ)

القوم الذين أنذرناهم وخوفناهم (الكفار المكذبون للرسل)	(الْمُنْذِرِينَ)
الذين أخلصهم الله لعبادته الذين استخلصهم الله من الكفر	(الْمُخْلِصِينَ)



ذكر بعض نعيم أهل الجنة

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) ٤٠ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ٤١ فَوَاكِهِ وَهُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٤٢ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ٤٤ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ٤٥ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ٤٧ وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ اطَّرَفَ عَيْنٌ ٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ٤٩).

ج: المعنى - والله أعلم - لكن عباد الله المخلصين لا يعذبون بل ويكرمون غاية الإكرام، فهؤلاء الذين أخلصهم الله لعبادته واصطفاهم لها وسلمهم من الشرك، هؤلاء لهم رزق معلوم في الجنة، فالرزق المعلوم هو الجنة التي أعدت لهم وأعلمهم الله بها، ثم ببعض التفصيل لهذه الجنة وما فيها، قال تعالى: فواكه يتنعمون فيها كيف شاؤوا، وكيف اشتهوا فكلما اشتهوا منها شيئاً وجدوه، ولهم فوق ذلك إكرام من الله ٥، ومن الإكرام رفعة درجاتهم وتكليم الله لهم وسماعه لهم، وهم في بساتين وحدائق يتنعمون فيها، قد جلسوا واتكؤوا على سرر يقابل بعضهم بعضاً وينظر بعضهم إلى بعض، لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، يطوف عليهم الولدان المخلدون بأنية فيها خمر، خمر جاري ظاهر، تلك الخمر بيضاء كما قال

بعض أهل العلم: أشد بياضًا من اللبن، وقال بعض العلماء: إن البياض هي الكأس، ولا مانع من أن تكون الكأس بياض والخمر بياض لذیذة الطعام والمذاق يتلذذ بها الشاربون لا تغتال عقولهم ولا تذهب بها ولا يسكرون ولا تسبب لهم صداغًا.

وعندهم أيضًا مما يتلذذ به ويشتهي ويستمتع بالحسنات من النساء حور العين، هؤلاء اللواتي قصرن أبصارهن وأعينهن عن الناس فلا ينظرن إلا إلى أزواجهن، قد قنعهن الله ٥، فليست لهم حاجة في النظر إلى غير الأزواج.

ثم إنهم حسناوات العيون عظيمات الحسن، كأن هؤلاء النسوة الحسنات في حسنهن وجمالهن كالبيض المحفوظ.

وقد قال بعض العلماء في ذلك: إنه كالبياض الذي تحت القشر (تحت قشر البيض) قبل أن تمسه الأيدي، والمكنون المصون الذي لم تمسه الأيدي والذي لم يُصبه شيء بغيره عن حالته.
وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

وقوله: (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ٤٠) يقول: إلا عباد الله الذين أخلصهم يوم خلقهم لرحمته، وكتب لهم السعادة في أم الكتاب، فإنهم لا يزوقون العذاب، لأنهم أهل طاعة الله، وأهل الإيمان به.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ٤٠) قال:

وقوله: (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ٤١) يقول: هؤلاء هم عباد الله المخلصون لهم رزق معلوم؛ وذلك الرزق المعلوم: هو الفواكه التي خلقها الله لهم في الجنة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾) في الجنة.
*** وبإسناد حسن عن السدي في قوله:** (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾) قال: في الجنة.

وقال \$:

قوله: (فَوَكَّرَ) رَدًّا على الرزق المعلوم تفسيرًا له، ولذلك رُفِعَتْ،
 وقوله: (وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾) يقول: وهم مع الذي لهم من الرزق المعلوم في
 الجنة، مكرمون بكرامة الله التي أكرمهم الله بها
 (فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾) يعني: في بساتين النعيم

(عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾) يعني: أن بعضهم يقابل بعضًا، ولا ينظر بعضهم في
 قفا بعض. وقوله: (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾) يقول تعالى ذكره: يطوف
 الخدم عليهم بكأس من خمر جارية ظاهرة لأعينهم غير غائرة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾) قال: كأس
 من خمر جارية، والمعين: هي الجارية.

وبإسناد حسن عن السدي، في قوله: (بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾) قال: الخمر.
 والكأس عند العرب: كل إناء فيه شراب، فإن لم يكن فيه شراب لم يكن
 كأسًا، ولكنه يكون إناء.

وقوله: (بِضَاءٍ لَّذِي لِّلشَّرِبِينَ ﴿٤٦﴾) يعني بالبيضاء: الكأس، ولتأنيث الكأس
 أنثت البيضاء، ولم يقل أبيض، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (صفراء).

وقال \$:

وقوله: (لَّذِي لِّلشَّرِبِينَ ﴿٤٦﴾) يقول: هذه الخمر لذة يلتذها شاربوها.
وقوله: (لَا فِيهَا غَوْلٌ) يقول: لا في هذه الخمر غول، وهو أن تغتال

عقولهم: يقول: لا تذهب هذه الخمر بعقول شاربيها كما تذهب بها خمور أهل الدنيا إذا شربوها فأكثرُوا منها، كما قال الشاعر:

وما زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأول الأول

والعرب تقول: ليس فيها غيلة وغانلة وغول بمعنى واحد؛ ورفع غول ولم ينصب بلا لدخول حرف الصفة بينها وبين الغول، وكذلك تفعل العرب في التبرئة إذا حالت بين لا والاسم بحرف من حروف الصفات رفعوا الاسم ولم ينصبوه، وقد يحتمل قوله: (لَا فِيهَا غَوْلٌ) أن يكون معنيًا به: ليس فيها ما يؤذيهم من مكروه، وذلك أن العرب تقول للرجل يصاب بأمر مكروه، أو ينال بداهية عظيمة: غال فلانًا غول.

وأورد أقوالاً في ذلك.

منها: ليس فيها صداع.

ومنها: ليس فيها أذى فتشكي منه بطونهم.

ومنها: أنها لا تغول عقولهم.

ومنها: ليس فيها أذى ولا مكروه.

ومنها: ليس فيها إثم.

قال:

ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها وجه، وذلك أن الغول في كلام العرب: هو ما غال الإنسان فذهب به، فكل من ناله أمر يكرهه ضربوا له بذلك المثل، فقالوا: غالت فلانًا غول، فالذاهب العقل من شرب الشراب، والمشتكي البطن منه، والمصدع الرأس من ذلك، والذي ناله منه مكروه كلهم قد غالته غول.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره قد نفى عن شراب الجنة أن يكون فيه غول، فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه كما قال جل ثناؤه: (لَا فِيهَا عُوقُولٌ) فيعم بنفي كل معاني الغول عنه، وأعم ذلك أن يقال: لا أذى فيها ولا مكروه على شاربها في جسم ولا عقل، ولا غير ذلك.

قال:

واختلفت القراءة في قراءة قوله: (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) (٤٧) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (ينزفون) بفتح الزاي، بمعنى: ولا هم عن شربها تنزف عقولهم. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: (ولا هم عنها ينزفون) بكسر الزاي، بمعنى: ولا هم عن شربها ينفد شرابهم. والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى غير مختلفتيه، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن أهل الجنة لا ينفد شرابهم، ولا يسكرهم شربهم إياه، فيذهب عقولهم. **وأورد أقوالاً في ذلك حاصلها:** لا تُذهب عقولهم، ولا تغلبهم على عقولهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: (وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مِّنَ الظَّرْفِ عِوًى) (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) (٥٠).

يقول تعالى ذكره: وعند هؤلاء المخلصين من عباد الله في الجنة قاصرات الطرف، وهن النساء اللواتي قصرن أطرافهن على بعولتهن، ولا يردن غيرهم، ولا يمددن أبصارهن إلى غيرهم. **وأورد بإسناد حسن عن مجاهد والسدي قال:** قصرن أبصارهن وقلوبهن على أزواجهن فلا يُردن غيرهم.

ونحوه عن قتادة بإسنادٍ حسن.

وبإسنادٍ صحيح إلى ابن زيد، في قول الله (قَصَرْتُ الْأَظْرَفَ) قال: لا ينظرن إلا إلى أزواجهن، قد قصرن أطرافهن على أزواجهن، ليس كما يكون نساء أهل الدنيا.

وقوله: (عَيْنٌ ٤٨) يعني بالعين: النجل العيون عظامها، وهي جمع عيناء، والعيناء: المرأة الواسعة العين عظيمنتها، وهي أحسن ما تكون من العيون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: (عَيْنٌ ٤٨) قال: عظام الأعين.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: العيناء عظيمة العين.

قال الطبري:

وقوله: (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ٤٩) اختلف أهل التأويل في الذي به شبهن من البيض بهذا القول، فقال بعضهم: شبهن ببطن البيض في البياض، وهو الذي داخل القشر، وذلك أن ذلك لم يمسه شيء.

وأورد عن سعيد بن جبير قوله: كأنهن بطن البيض.

وعن السدي بإسنادٍ صحيح: البيض حتى يُقشر قبل أن تمسه الأيدي.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة: لم تمر به الأيدي ولم تمسه يشبهن بياضه.

قال الطبري \$:

وقال آخرون: بل شبهن بالبيض الذي يحضنه الطائر، فهو إلى الصفرة، فشبهه بياضهن في الصفرة بذلك.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ٤٩) قال:

البيض الذي يكنه الريش، مثل بيض النعام الذي قد أكنه الريش من الريح، فهو أبيض إلى الصفرة فكأنه يبرق، فذلك المكنون.

وقال آخرون: بل عنى بالبيض في هذا الموضع: اللؤلؤ، وبه شبهن في بياضه وصفائه.

قال الطبري \$:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: شبهن في بياضهن، وأنهن لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان ببياض البيض الذي هو داخل القشر، وذلك هو الجلدة الملبسة المح قبل أن تمسه يد أو شيء غيرها، وذلك لا شك هو المكنون؛ فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسها، والأيدي تباشرها، والعش يلقاها. والعرب تقول لكل مصون مكنون ما كان ذلك الشيء لؤلؤا كان أو بيضا أو متاعا، كما قال أبو دهب:

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا ص ميزت من جوهر مكنون

وتقول لكل شيء أضمرته الصدور: أكنته، فهو مكنٌ.

قال السعدي \$:

ومن كرامتهم عند ربهم، وإكرام بعضهم بعضا، أنهم على (سُررٍ) وهي المجالس المرتفعة، المزينة بأنواع الأكسية الفاخرة، المزخرفة المجملية، فهم متكئون عليها، على وجه الراحة والطمأنينة، والفرح.

(مُنْقَلِبِينَ ٤٤) فيما بينهم قد صفت قلوبهم، ومحبتهم فيما بينهم، ونعموا باجتماع بعضهم مع بعض، فإن مقابلة وجوههم، تدل على تقابل قلوبهم، وتأدب بعضهم مع بعض فلم يستدبره، أو يجعله إلى جانبه، بل من كمال السرور والأدب، ما دل عليه ذلك التقابل.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى مخاطباً للناس: (إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾)، ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين، كما قال تعالى (وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (العصر: ١-٣).

وقال: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (التين: ٤-٦)، وقال: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ ءَاتَقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾) (مريم: ٧١، ٧٢)، وقال: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾) (المدثر: ٣٨، ٣٩) ولهذا قال هاهنا: (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾) أي: ليسوا يذوقون العذاب الأليم، ولا يناقشون في الحساب، بل يتجاوز عن سيئاتهم، إن كان لهم سيئات، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف.

وقوله: (أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾) قال قتادة، والسدي: يعني الجنة. ثم فسره بقوله تعالى: (فَوَكَّهُ) أي: متنوعة (وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾) أي: يُخْدَمُونَ ويرفَهُون وينعمون، (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾) قال مجاهد: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.

وقوله: (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزَفُّونَ ﴿٤٧﴾)، كما قال في الآية الأخرى: (يُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدْنٌ مُّخْلَدُونَ ﴿٧١﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصَدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزَفُّونَ ﴿١٩﴾) (الواقعة: ١٧-١٩) فنزه الله خمر الآخرة عن الآفات التي في خمر الدنيا، من صداع الرأس ووجع البطن - وهو الغول - وذهابها بالعقل جملة، فقال تعالى هاهنا: (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ

(٤٥) أي: بخر من أنهار جارية، لا يخافون انقطاعها ولا فراغها. قال مالك، عن زيد بن أسلم: خمر جارية بيضاء، أي: لونها مشرق حسن بهى لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء، من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة، إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم.

وقوله ٥: (لَذَوِّ الشَّرْبَيْنِ) (٤٦) أي: طعمها طيب كلونها، وطيب الطعم دليل على طيب الريح، بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك.

وقوله: (لَا فِيهَا عَوْلٌ) يعني: لا تؤثر فيهم غولا -وهو وجع البطن- قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد- كما تفعله خمر الدنيا من القَوْلْنَج ونحوه، لكثرة مائيتها.

وقيل: المراد بالغول هاهنا: صداع الرأس.

وقال:

وقوله: (وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ أَطْرَفٍ) أي: عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

وقوله: (عَيْنٌ) (٤٨) أي: حسان الأعين. وقيل: ضخام الأعين. هو يرجع إلى الأول، وهي النجلاء العيناء، فوصف عيونهن بالحسن والعفة.

وقوله: (كَأَنَّهُنَّ بَيَّضٌ مَّكْنُونٌ) (٤٩) وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان.

وقال الحسن: (كَأَنَّهُنَّ بَيَّضٌ مَّكْنُونٌ) (٤٩) يعني: محصون لم تمسه الأيدي.

وقال السدي: البيض في عشه مكنون.

وقال سعيد بن جبير: (بَيَّضٌ مَّكْنُونٌ) (٤٩)، يعني: بطن البيض.

وقال عطاء الخراساني: هو السحاء الذي يكون بين قشرته العليا

ولباب البيضة.

وقال السدي: (كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾) يقول: بياض البيض حين ينزع قشره. واختاره ابن جرير لقوله: (مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾)، قال: والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش، وتناولها الأيدي بخلاف داخلها، والله أعلم.

قال الشنقيطي §:

قوله تعالى: (وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ أَلْفُ عَيْنٍ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾).

ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة ثلاث صفات من صفات نساء أهل الجنة:

الأولى: أَنَّهُنَّ (قَصْرٌ أَلْفُ عَيْنٍ)، وهو العين، أي: عيونهن قاصرات على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم لشدة اقتناعهن واكتفائهن بهم.

الثانية: أَنَّهُنَّ (عَيْنٌ ﴿٤٨﴾)، والعَيْن: جمع عينا، وهي واسعة دار العين، وهي النجلاء.

الثالثة: أن ألوانهن بيض بياضاً مشرباً بصفرة؛ لأن ذلك هو لون بيض النعام الذي شبّهن به، ومنه قول امرئ القيس في نحو ذلك:

كبكر المقانات البياض بصفرة غذاها غير الماء نمير المحلل

لأن معنى قوله: كبكر المقانات البياض بصفرة: أن لون المرأة المذكورة كلون البيضة البكر المخالط بياضها بصفرة، وهذه الصفات الثلاث المذكورة هنا، جاءت موضحة في غير هذا الموضع مع غيرها من صفاتهن الجميلة، فبيّن كونهن قاصرات الطرف على أزواجهن، بقوله تعالى في (ص): ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ أَلْفُ عَيْنٍ ﴿٥٢﴾﴾ (ص: ٥٢)، وكون المرأة قاصرة الطرف من صفاتها الجميلة، وذلك معروف في كلام العرب، ومنه قول امرئ القيس:

من القاصرات الطرف لودب من الذرّ فوق الأتب منها لأثرا

وذكر كونهن عينا في قوله تعالى فيهن: (وَحُورٌ عِينٌ ۖ) [الواقعة: ٢٢]،
وذكر صفا ألوانهنّ وبياضها في قوله تعالى: (كَأَمْثَلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) [الواقعة: ٢٣]،
وقوله تعالى: (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) [الواقعة: ٢٣]،
وصافتهن كثيرة معروفة في الآيات القرآنية.

واعلم أن الله أثنى عليهن بنوعين من أنواع القصر:

أحدهما: أنهن (قَصِرَتْ الطَّرْفُ)، والطرف العين، وهو لا يجمع ولا يثنى لأن أصله مصدر، ولم يأت في القرآن إلا مفردًا؛ كقوله تعالى: (لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ۖ) [إبراهيم: ٤٣]، وقوله تعالى: (نُظِرْتُ مِنْ طَرْفِ حَفِيٍّ)، ومعنى كونهن (قَصِرَتْ الطَّرْفُ) هو ما قدّمنا من أنهن لا ينظرن إلى غير أزواجهن بخلاف نساء الدنيا.

والثاني من نوعي القصر: كونهن مقصورات في خيامهن، لا يخرجن منها؛ كما قال تعالى لأزواج نبيّه □: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)، وذلك في قوله تعالى: (حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) [الرحمن: ٧٢]، وكون المرأة مقصورة في بيتها لا تخرج منه من صفاتها الجميلة، وذلك معروف في كلام العرب؛ ومنه قوله:

من كان حربًا للنساء ع فإنني سلم لهنه

فإذا عثرن دعونني وإذا عثرت دعوتهنه

وإذا برزن لمحفل فقصارهن ملاحهنه

فقوله: قصارهن، يعني: المقصورات منهن في بيوتهن اللاتي لا يخرجن إلا نادرًا.

قال السعدي \$:

ذكر أزواجهم فقال: (وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ اطَّرَفٌ عَيْنٌ ﴿٤٨﴾) أي: وعند أهل دار النعيم، في محلاتهم القريبة، حور حسان، كاملات الأوصاف، قاصرات الطرف، إما أنها قصرت طرفها على زوجها، لعفتها وعدم مجاوزته لغيره، ولجمال زوجها وكماله، بحيث لا تطلب في الجنة سواه، ولا ترغب إلا به، وإما لأنها قصرت طرف زوجها عليها، وذلك يدل على كمالها وجمالها الفائق، الذي أوجب لزوجها، أن يقصر طرفه عليها، وقصر الطرف أيضاً، يدل على قصر النفس والمحبة عليها، وكلا المعنيين محتمل، وكلاهما صحيح، وهذا يدل على جمال الرجال والنساء في الجنة، ومحبة بعضهم بعضاً، محبة لا يطمح معها أحد إلى غيره، ويدل على شدة عفتهم كلهم، وأنه لا حسد فيها ولا تباغض، ولا تشاحن، وذلك لانتفاء أسبابه.

(عَيْنٌ ﴿٤٨﴾) أي: حسان الأعين جميلاتها، ملاح الحديق.
(كَأَنَّهُنَّ) أي: الحور (يَبْسُ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾) أي: مستور، وذلك من حسنهن وصفائهن وكون ألوانهن أحسن الألوان وأبهاها، ليس فيه كدر ولا شين.



أهل الجنة يرون أهل النار أحياناً

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَمْ دَا مَنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْلًا أَمْ نَالَمْدِيُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأُطْلِعَ قَرَأَهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُمْ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن أهل الجنة بعد أن منَّ الله عليهم بدخولها وأخذوا منازلهم منها واستقروا فيها أقبل بعضهم على بعضٍ يذكرون ما كان من شأنهم في الحياة الدنيا، ويذكرون مجالسهم التي كانوا يجلسونها في الدنيا، فكان مما تذكروه أن واحداً منهم قال لهم: إني كان لي صديق مقارن ملازم لي، وقيل: إن هذا القرين شيطان، وقيل: إنه إنسان غويّ، وكان هذا القرين الملازم لي يشككني في البعث والجزاء والثواب والعقاب، فكان يقول لي: أتصدق أننا بعد موتنا وتحولنا إلى ترابٍ وعظامٍ سنبعث أحياء مرة أخرى ونجازى على ما عملناه ونحاسب عليه؟! أننا لمحاسبون؟!!

فهكذا كان قرينه يشككه في البعث فبينما هم كذلك إذ قال هذا القائل هل أنتم ناظرون في النار للاطلاع عليها لرؤية هذا القرين فيها؟؟ فنظر في النار واطلع عليها فرأى قرينه في وسطها، فقال له: والله لقد كدت أن تهلكني وتوردني هذا المورد الذي دخلته، ولولا فضل الله عليّ وتثبيتته لي على الإسلام والاستقامة لكنت معك الآن في النار. وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

وقوله: (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾) يقول تعالى ذكره: فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون، يقول: يسأل بعضهم بعضاً. (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَتَيْتُكَ لِيَنِ الْمَصْدِقَيْنِ ﴿٥٢﴾ أَدَا مِنْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ﴿٥٣﴾ أَيْنَا الْمَدِينُونَ ﴿٥٤﴾).

يقول تعالى ذكره: قال قائل من أهل الجنة إذ أقبل بعضهم على بعض

يَتَسَاءَلُونَ: (إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾) فاختلف أهل التأويل في القرين الذي ذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: كان ذلك القرين شيطاناً، وهو الذي كان يقول له: (أَأَنْتَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٢﴾) بالبعث بعد الممات.

وقال آخرون: ذلك القرين شريك كان له من بني آدم أو صاحب.

وقال وقوله: (أَأَلَمْ يَدِينُنَا ﴿٥٣﴾) يقول أننا لمحاسبون ومجزيون بعد مصيرنا عظاماً ولحومنا تراباً.

قوله تعالى: (قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُّطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَأَلَّهْ إِن كِدْتَ لِتَزِدَّيْنِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾).

يقول تعالى ذكره: قال هذا المؤمن الذي أدخل الجنة لأصحابه: (هَلْ أَنتُمْ مُّطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾) في النار، لعلي أرى قريني الذي كان يقول لي: إنك لمن المصدقين بأننا مبعوثون بعد الممات.

وقوله: (فَأَطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾) يقول: فاطلع في النار فرآه في وسط الجحيم. وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره، وهو فقالوا: نعم.

وقوله: (تَأَلَّهْ إِن كِدْتَ لِتَزِدَّيْنِ ﴿٥٦﴾) يقول: فلما رأى قرينه في النار قال: تالله إن كدت في الدنيا لتهلكني بصدق إياي عن الإيمان بالبعث والثواب والعقاب.

وقوله: (وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾) يقول: ولولا أن الله أنعم عليّ بهدايته، والتوفيق للإيمان بالبعث بعد الموت، لكنت من المحضرين معك في عذاب الله.

قال الحافظ ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، أي: عن أحوالهم، وكيف كانوا في الدنيا، وماذا كانوا يعانون فيها؟ وذلك من حديثهم على شرايبهم، واجتماعهم في تناديمهم وعشرتهم في مجالسهم، وهم جلوس على السرر، والخدم بين أيديهم، يسعون ويجيئون بكل خير عظيم، من مأكّل ومشارب وملابس، وغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. (قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾) قال مجاهد: يعني شيطاناً.

وأورد بسند^(١) فيه ضعف عن ابن عباس قال: هو الرجل المشرك، يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا.

ولا تنافي بين كلام مجاهد، وابن عباس؛ فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس، ويكون من الإنس فيقول كلاماً تسمعه الأذنان، وكلاهما متعاديان، قال الله تعالى: (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) [الأنعام: ١١٢] وكل منهما يوسوس، كما قال تعالى: (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ

﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾) [الناس: ٤-٦]. ولهذا (قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَهْ نَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾) أي: أنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء! يعني: يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد، والكفر والعناد. (أَهْ دَا مِنْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَهْ نَالَمُ يَوْمَئِذٍ ﴿٥٣﴾) قال مجاهد، والسدي: لمحاسبون؟ وقال ابن عباس، ومحمد بن كعب القرظي: لمجزيون بأعمالنا؟ وكلاهما صحيح.

قال: (قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾) أي: مشرفون. يقول المؤمن لأصحابه

(١) وكذا السند عن مجاهد فيه كلام.

وجلسائه من أهل الجنة. (فَاطْلَعَ قَرَاءُهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾) قال ابن عباس، وسعيد ابن جببر، وخليد العصري وقتادة، والسدي، وعطاء الخراساني يعني: في وسط الجحيم.

(قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتُزِينَ ﴿٥٦﴾) يقول المؤمن مخاطبًا للكافر: والله إن كدت لتهلكني لو أطعتك. (وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ ﴿٥٧﴾) أي: ولولا فضل الله عليّ لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت، محضر معك في العذاب، ولكنه تفضل عليّ ورحمني فهداني للإيمان، وأرشدني إلى توحيده (وَمَا كَأَنَّ لِنَهْدَى لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ ﴿٥٨﴾) [الأعراف: ٤٣].

قال السعدي §:

لما ذكر تعالى نعيمهم، وتمام سرورهم، بالماكل والمشارب، والأزواج الحسان، والمجالس الحسنة، وصف تذاكرهم فيما بينهم، ومطارحتهم للأحاديث، عن الأمور الماضية، وأنهم ما زالوا في المحادثة والتساؤل، حتى أفضى ذلك بهم، إلى أن قال قائل منهم: (إِنِّي كَانُ لِي قَرِينٌ ﴿٥٩﴾) في الدنيا، ينكر البعث، ويلومني على تصديقي به. (يَقُولُ) لي (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصْذِقِينَ ﴿٥٩﴾) لَءَا مِئْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَّعِظْمًا ؕ أَلَمْ يَدِينُنَا ﴿٥٩﴾) أي: مجازون بأعمالنا؟

أي: كيف تصدق بهذا الأمر البعيد، الذي في غاية الاستغراب، وهو أننا إذا تمزقنا، فصرنا ترابًا وعظامًا، أننا نبعث ونعاد، ثم نحاسب ونجازى بأعمالنا؟.

أي: يقول صاحب الجنة لإخوانه: هذه قصتي، وهذا خبري، أنا وقريني، ما زلت أنا مؤمنًا مصدقًا، وهو ما زال مكذبًا منكراً للبعث، حتى متنا، ثم بعثنا، فوصلت أنا إلى ما ترون، من النعيم، الذي أخبرتنا به

الرسول، وهو لا شك، أنه قد وصل إلى العذاب.



س: وضع معنى قوله تعالى: (أَمَّا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوُ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾).

ج: هذا - والله تعالى أعلم -: قول أهل الجنة لما دخلوها واستقروا فيها، فقالوا على سبيل الشكر لنعمة الله العظيمة التي أنعم الله بها عليهم من دخولهم الجنة وخلودهم فيها: (أَمَّا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾) يتعجبون من واسع فضل الله عليهم ومن عظيم نعمته ورحمته بهم فيقولون متعجبين: أننا لن نموت، إلا الموتة الأولى التي مُتتأها في الدنيا؟! ولن نعذب؟! فحقاً إن هذا لهو الفوز العظيم، وقوله تعالى: (لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾).

قال بعض أهل العلم: إنه قول الله ٥، وقال آخرون: إنه قول أهل الجنة، وحاصل معناه، لمثل هذا النعيم فليجتهد المجتهدون في طاعة الله ٥.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذا المؤمن الذي أعطاه الله ما أعطاه من كرامته في جنته سروراً منه بما أعطاه فيها (أَمَّا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى) يقول: أمّا نحن بميتين غير موتتنا الأولى في الدنيا، (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾) يقول: وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة (إِنَّ هَذَا لَهَوُ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ ﴿٦٠﴾) يقول: إن هذا الذي أعطانا الله من الكرامة في الجنة، أنا لا نعذب ولا نموت لهو النجاء العظيم مما كنا في الدنيا نحذر من عقاب الله، وإدراك ما كنا فيها، نؤمل بإيماننا، وطاعتنا ربنا.

وقوله: (لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾) يقول تعالى ذكره: لمثل هذا الذي

أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة في الآخرة، فليعمل في الدنيا لأنفسهم العاملين، ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: (أَمَّا نَحْنُ بِمَبِيتٍ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩) هذا من كلام المؤمن مغبطاً نفسه بما أعطاه الله من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة، لا موت فيها ولا عذاب؛ ولهذا قال: (إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٦٠).

وقوله: (لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۝٦١) قال قتادة: هذا من كلام أهل الجنة.

وقال القرطبي \$:

(لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۝٦١) يحتمل أن يكون من كلام المؤمن لما رأى ما أعد الله له في الجنة وما أعطاه قال: (لِمِثْلِ هَذَا) العطاء والفضل (فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۝٦١) نظير ما قال له الكافر: (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝٣٤) [الكهف: ٣٤] ويحتمل أن يكون من قول الملائكة وقيل: هو من قول الله عز و جل لأهل الدنيا أي: قد سمعتم ما في الجنة من الخيرات والجزاء (لِمِثْلِ هَذَا) الجزاء (فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۝٦١). النحاس: وتقدير الكلام - والله أعلم - فليعمل العاملين لمثل هذا.

ذكر شجرة الزقوم

س: وضع معنى قوله تعالى: (أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۝٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمْ لَآكُلُونَ مِنْهَا فَمَالٌ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حِمِيمٍ ۝٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ۝٦٨ إِنَّهُمْ أَلَفُوا أَبَاءَهُمْ هُمُ زَالِينَ ۝٦٩ فَهُمْ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ يَرْعُونَ ۝٧٠).

ج: المعنى - والله أعلم -: أهذا الذي ذكرناه من النعيم الذي أعد لأهل

الجنة، ومن الإكرام المعد لهم فيها خير ضيافة، وأحسن عطاء وأوسع رزقاً وأهنأ وأسلم أم من كان طعامه من شجرة الزقوم، تلك التي ذكر شأنها في آيات أخر إذ الله قال: (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾) [الدخان: ٤٣-٤٦]، إنا جعلنا هذه الشجرة في الدنيا سبباً لانصراف هؤلاء الكفار عن الحق وسبباً لإبعادهم عنه بسبب ابتعادهم الأول وانصرافهم عن مجيء الحق إليهم لأول مرة، فلانحرفهم أول مرة ولتكذيبهم رسولنا زدناهم انصرافاً بسبب ذكرنا شجرة الزقوم التي أعدناها لهم، وهكذا من يأتيه الحق وينصرف عنه، يصرفه الله كما قال تعالى: (وَنَقَلِبْ أَفْدَتَهُمْ وَأَبْصِرْهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَدَرْهُمْ فِي سَعِينِهِمْ يَعْهَدُونَ) [الأنعام: ١١٠].

وكما قال تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَيْلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَيْلَ الْغِي يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾) [الأعراف: ١٤٦]، وكقوله تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) [الصف: ٥]، وكقوله تعالى: (ثُمَّ أَنْصَرَفُوا سَرَفًا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) [التوبة: ١٢٧].

فالحاصل أن الله جعل هذه الشجرة سبباً لفتنتهم وانصرافهم عن الحق، فكانهم لما سمعوا عن كونها تخرج في أصل الجحيم أنكروا ذلك، وقالوا: كيف ذلك والنار تأكل الأشجار؟! فكفروا بذلك، وهذا وجه الافتتان بها.

أما عن هذه الشجرة، فكما قال تعالى: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾) في أصل النار، في قاعها، غُزِيَت بالنار وشربت من النار، ثمرها

في بشاعته ونكارتة - ذلكم الثمر المتفرع منها في النار - كرهوس الشياطين وإن كنا لم نر الشياطين لكن جُعلت مثلاً لكل مستبشع وقبيح، ثم أخبر تعالى أنهم سيأكلون منها فهي طعامهم، قال تعالى: (فَأَنَّهُمْ لَا كُؤُونَ مِنْهَا فَمَا لُؤُونَ مِنْهَا أَبُؤُونَ ﴿٦٦﴾) وبعد الأكل ثم شراب يشربونه، شراب أبشع الشراب إنه شراب مخلوط مشوب، ماء حارٌ حميم بلغ أعلى درجات حرارته وغلِيانه مخلوط بصديد أهل النار وبدمائهم، هذا هو شرابهم (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾) حاصل معناه ثم إن مردَّ هؤلاء الكفار بعد شربهم الحميم إلى الجحيم مرة ثانية للأكل منها فهم يدورون بين حميمٍ أن للشراب منه وطعام الزقوم في الجحيم، فيذهبون إلى مكان في النار يشربون منه الحميم ثم يرجعون إلى مكان الطعام يأكلون الزقوم كما قال تعالى: (هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾) [الرحمن: ٤٣-٤٤] قد بلغ أعلى درجات حرارته، أما قوله تعالى: (إِنَّهُمْ أَفْقَاءَ آبَاءِ هُمُضَالَيْنِ ﴿٦٦﴾) أي: أنهم قد وجدوا آباءهم على ضلالة فساروا مسرعين مهرولين إلى هذه الضلالة وساروا عليها، ولقد حاد عن الطريق قبلهم أكثر من تقدمهم، فالكثرة دوماً في ضلال مع أننا أرسلنا إليهم رسلاً يحذرونهم وينذرونهم ويخوفونهم، ولكن كذبوهم وجحدوهم، فانظر كيف كانت عاقبة هؤلاء المكذبين للرسل، لقد كانت عاقبتهم وخيمة، وإن شئت أن ترى بعضها رأيت (فَإِنَّكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا) [القصاص: ٥٨]، (فَإِنَّكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا) [النمل: ٥٢]، (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِأَيِّلٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾).

لكن أغرق الله بعضهم وأخذت آخرين الصيحة، وخسفت الأرض بفئام منهم، وأرسل الله حاصباً على أقوام إلى غير ذلك من صور العذاب التي

أحلّها الله بهم، ولكن الله سلّم عباده الذين اصطفاهم لعبادته ولطاعته، فهذا قوله: (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) (٧٥).

وهذه بعض أقوال أهل العلم في هذا الباب.

قال الطبري §:

يقول تعالى ذكره: أهذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين الذين وصفت صفتهم من كرامتي في الجنة، ورزقتهم فيها من النعيم خير، أو ما أعددت لأهل النار من الزقوم. وعني بالنزل: الفضل، وفيه لغتان: نُزِلَ ونُزِلَ؛ يقال للطعام الذي له ريع: هو طعام له نُزِلَ ونُزِلَ. وقوله: (أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ) (٦٢) ذكر أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية قال المشركون: كيف ينبت الشجر في النار، والنار تحرق الشجر؟ فقال الله: (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) (٦٣) يعني: لهؤلاء المشركين الذين قالوا في ذلك ما قالوا، ثم أخبرهم بصفة هذه الشجرة فقال: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) (٦٤).

وأورد بإسناد حسن (١) عن قتادة: (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ) (٦٢) حتى بلغ (فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) (٦٤) قال: لما ذكر شجرة الزقوم افتتن الظلمة، فقالوا: ينبئكم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فأنزل الله ما تسمعون: إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، غذيت بالنار ومنها خلقت.

وبإسناد حسن عن السدي (٢) قال: قال أبو جهل لما نزلت (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ) (٤٣) [الدخان: ٤٣] قال: تعرفونها في كلام العرب: أنا آتيكم بها، فدعا جارية فقال: انثيني بتمر وزبد، فقال: دونكم تزقموا، فهذا الزقوم

(١) وإسناده حسن عن قتادة، وأراه تفسيراً منه.

(٢) هذا وإن حُسِّنَ عن السدي لكنه مرسل، فالسدي لم يدرك أبا جهل، ولم يدرك رسول الله ﷺ.

الذي يخوفكم به محمد، فأنزل الله تفسيرها: (أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ) (١٦) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (١٦) قال: لأبي جهل وأصحابه.

وبإسنادٍ فيه مقال عن مجاهد^(١) قوله: (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) (١٦) قال:

قول أبي جهل: إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه.

وقوله: (طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) (١٥) يقول تعالى ذكره: كأن طلع هذه الشجرة، يعني: شجرة الزقوم في قبحه وسماجته رءوس الشياطين في قبحها.

وقوله: (فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا مَالُوتٌ مِنْهَا أَبْطُونٌ) (١٦) يقول تعالى ذكره: فإن هؤلاء المشركين الذين جعل الله هذه الشجرة لهم فتنة، لآكلون من هذه الشجرة التي هي شجرة الزقوم، فمالئون من زقومها بطونهم.

في تأويل قوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ) (١٧) ثُمَّ إِنَّ مَرَجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ (١٨) إِنَّهُمْ أَلَفُوا أَبَاءَهُمْ ضَالِينَ (١٩) فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ هَرَعُونَ (٢٠).

يقول تعالى ذكره: (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ) (١٧) ثم إن هؤلاء المشركين على ما يأكلون من هذه الشجرة شجرة الزقوم شوبًا، وهو الخلط من قول العرب: شاب فلان طعامه فهو يشوبه شوبًا وشيابًا (مِنْ حَمِيمٍ) (١٧) والحميم: الماء المحموم، وهو الذي أسخن فانتهى حره، وأصله مفعول صرف إلى فعل.

وأورد الطبري بأسانيد فيها مقال عن ابن عباس قال: (لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ

(١٧) يقول: لمزجًا، وفي رواية: يعني شرب الحميم على الزقوم.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة قال: مزاجًا من حميم.

(١) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، ثم إنه مرسل.

وبإسناد حسن عن السدي قال: الشوب: الخلط وهو المزج.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَّابًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾)

قال: حميم يشاب لهم بغساق مما تغسق أعينهم، وصديد من قيحهم ودمائهم مما يخرج من أجسادهم.

وقوله: (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾) يقول تعالى ذكره: ثم إن مآبهم ومصيرهم لإلى الجحيم.

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾) فهم في عناء وعذاب من نار جهنم، وتلا هذه الآية: (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ؎) [الرحمن: ٤٤].

قال الطبري:

وقوله: (إِنَّهُمْ أَقْوَاءُ آبَاءَهُمْ صَالِينَ ﴿٦٩﴾) يقول: إن هؤلاء المشركين الذين إذا قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله يستكبرون، وجدوا آباءهم ضالًّا عن قصد السبيل، غير سالكين محجة الحق.

(فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾) يقول: فهؤلاء يسرع بهم في طريقهم، ليقفوا آثارهم وسنتهم؛ يقال منه: أهرع فلان: إذا سار سيرًا حثيثًا فيه شبه بالردة.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يقول الله تعالى: أهذا الذي ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ -خير ضيافة وعطاء (أَمْ شَجَرَةٌ الزُّقُومِ ﴿٦٢﴾)؟ أي: التي في جهنم.

وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة، كما قال بعضهم

من أنها شجرة تمتد فروعها إلى جميع محال جهنم كما أن شجرة طوبى ما من دار في الجنة إلا وفيها منها غصن.

وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر، يقال له: الزقوم، كقوله تعالى: (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٌ لِّلْأَكْلَيْنِ ﴿١٠﴾) [المؤمنون: ٢٠]، يعني: الزيتون. ويؤيد ذلك قوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا تَكُونُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾) [الواقعة: ٥١، ٥٢].

وقوله: (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلْظَالِمِينَ ﴿٦٣﴾)، قال قتادة: ذكرت شجرة الزقوم، فافتتن بها أهل الضلالة، وقالوا: صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فأنزل الله ٥: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾) غدت من النار، ومنها خلقت.

وقال مجاهد: (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلْظَالِمِينَ ﴿٦٣﴾) قال أبو جهل -لعنه الله-: إنما الزقوم التمر والزبد أترقمه.

قلت: ومعنى الآية: إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختباراً نختبر به الناس، من يصدق منهم ممن يكذب، كقوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾) [الإسراء: ٦٠].

وقوله: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾) أي: أصل منبتها في قرار النار، (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾) تبشيع وتكريه لذكرها.

قال وهب بن منبه: شعور الشياطين قائمة إلى السماء.

وإنما شبهها برعوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين؛ لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر.

وقيل: المراد بذلك ضرب من الحيات، رءوسها بشعة المنظر.

وقيل: جنس من النبات، طلعه في غاية الفحاشة.

وفي هذين الاحتمالين نظر، وقد ذكرهما ابن جرير، والأول أقوى وأولى، والله أعلم.

وقوله: (فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا مَمَالُتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾)، ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أبشع منها، ولا أقبح من منظرها، مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع، فإنهم ليضطرون إلى الأكل منها، لأنهم لا يجدون إلا إياها، وما في معناها، كما قال: (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦٦﴾ لَا يُسْنِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٦٧﴾) [الغاشية: ٦، ٧].

وأورد ابن كثير ما أخرجه ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس ق: أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية، وقال: «اتقوا الله حق تقاته، فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا، لأفسدت على أهل الأرض معاشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟».

فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود، ويصهر ما في بطونهم، فيمشون تسيل أمعاؤهم وتتساقط جلودهم، ثم يضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حياله، يدعون بالثبور.

وقوله: (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾) أي: ثم إن مردهم بعد هذا الفصل إلى نار تتأجج، وجحيم تتوقد، وسعير تتوهج، فتارة في هذا وتارة في هذا، كما قال تعالى: (يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ إِنْ ﴿٤٤﴾) [الرحمن: ٤٤]. هكذا تلا قتادة هذه الآية عند هذه الآية، وهو تفسير حسن قوي.

وقوله: (إِنَّهُمْ أَفْوَءٌ أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾) أي: إنما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك، من غير دليل ولا برهان؛ ولهذا قال: (فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾) قال مجاهد: شبيهة بالهرولة. وقال سعيد بن جبير: يسفهمون.

وقال القرطبي §:

(ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهِ) أي: بعد الأكل من الشجرة (شَوَابًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾) الشوب: الخلط والشوب والشوب لغتان كالْفَقْر والفقر والفتح أشهر، قال الفراء: شاب طعامه وشرابه إذا خلطهما بشيء يشوبهما شوبًا وشيابة فأخبر أنه يشاب لهم والحميم: الماء الحار ليكون أشنع قال الله تعالى: (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾) [محمد: ١٥] السدي: يشاب لهم الحميم بغساق أعينهم وصديد من قيحهم ودمائهم، وقيل: يمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظًا لعذابهم وتجديدًا لبلائهم (ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾) قيل: إن هذا يدل على أنهم كانوا حين أكلوا الزقوم في عذاب غير النار ثم يردون إليها وقال مقاتل: الحميم خارج الجحيم فهم يوردون الحميم لشربه ثم يردون إلى الجحيم لقوله تعالى: (هَٰذَا جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٢﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا بَيْنَ ذَيْنِ حَمِيمٍ إِنَّ ﴿٤٤﴾) [الرحمن: ٤٣ - ٤٤]، وقرأ ابن مسعود: (ثم إن منقلبهم إلى الجحيم) وقال أبو عبيدة: يجوز أن تكون (ثم) بمعنى الواو. القشيري: ولعل الحميم في موضع من جهنم على طرف منها.



س: كيف جُعِلَت شجرة الزقوم فتنَةً للظالمين، أي ما وجه افتتان

الظالمين بها؟

ج: وجهه أنهم قالوا كيف تنبت الشجرة في وسط الجحيم والنار تأكل الأشجار؟

وخفي عليهم لجهلهم ولقلة إيمانهم أن الله ۞ على كل شيء قدير، فسخرُوا من رسول الله ﷺ لما ذكَّرهم بهذه الشجرة، ففتنُوا وانصرفوا عن الحق، وازدادوا وانصرافاً عنه كما قال تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) [الإسراء: ٦٠].

أي: جعلناها فتنَةً للناس، أي: اختباراً وابتلاءً فأهل الإيمان يعلمون أن الله على كل شيء قدير، وأنه ۞ خلق النار وخلق الأشجار، وأودع في النار ما أودع من تمكينها من الإحراق، وهو سبحانه قادر على سلب ذلك منها، وقادر على إنبات ما يشاء فيها، وقد قال ۞ للنار: (يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) [الأنبياء: ٦٩]، فكانت عليه بردًا وسلامًا.

أما أهل الكفر فيكذبون بذلك فيزدادون بعدًا عن الحق والهدى، والله أعلم.

قال القرطبي \$:

قوله تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) (٦٣) أي: المشركين وذلك أنهم قالوا: كيف تكون في النار شجرة وهي تحرق الشجر؟ وقد مضى هذا المعنى في (سبحان) واستخفافهم في هذا كقولهم في قوله تعالى: (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) (٣٠) [المدثر: ٣٠] ما الذي يخصص هذا العدد؟ حتى قال بعضهم: أنا أكفيكم منهم كذا فاكفوني الباقيين فقال الله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا)

[المدثر: ٣١] والفتنة: الاختبار، وكان هذا القول منهم جهلاً إذ لا يستحيل في العقل أن يخلق الله في النار شجرة من جنسها لا تأكله النار كما يخلق الله فيها الأغلال والقيود والحيات والعقارب وخزنة النار وقيل: هذا الاستبعاد الذي وقع للكفار هو الذي وقع الآن للملحدة حتى حملوا الجنة والنار على نعيم أو عقاب تتخلله الأرواح وحملوا وزن الأعمال والصراط واللوح والقلم على معاني زورواها في أنفسهم دون ما فهمه المسلمون من موارد الشرع، وإذا ورد خبر الصادق بشيء موهوم في العقل فالواجب تصديقه وإن جاز أن يكون له تأويل ثم التأويل في موضع إجماع المسلمين على أنه تأويل باطل لا يجوز، والمسلمون مجمعون على الأخذ بهذه الأشياء من غير مصير إلى علم الباطن وقيل: إنها فتنة أي: عقوبة للظالمين كما قال: (ذُوقُوا فَنَتَكُفُّ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ سَاعِجُونَ ﴿١٤﴾) **[الذاريات: ١٤]**.

قوله تعالى: (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾) أي: قعر النار ومنها منشؤها ثم هي متفرعة في جهنم (طَلْعُهَا) أي: ثمرها سمي طلْعًا لطلوعه.



س: كيف شبّهت شجرة الزقوم طلْعُها برءوس الشياطين ونحن لا

نعرف رءوس الشياطين؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن كل شيء مكروه شبّه برءوس الشياطين، وكل شخص شرير شبه بالشيطان لِمَا استقر في النفوس من أن الشيطان سبب لكل ضلال، ومحل لكل خُبث، ومثال لكل كرية.

كما أنه في المقابل كل طيب وجميل يوصف بأنه مَلَك مع كوننا لم نر

وهذه أقوال بعض العلماء في هذا الباب.

وقال القرطبي \$:

(كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾) قيل: يعني الشياطين بأعيانهم شبهها برءوسهم لقبهم، ورءوس الشياطين متصور في النفوس وإن كان غير مرئي، ومن ذلك قولهم لكل قبيح هو كصورة الشيطان ولكل صورة حسنة هي كصورة ملك ومنه قوله تعالى مخبراً عن صواحب يوسف: (مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾) [يوسف: ٣١]، وهذا تشبيه تخيلي روي معناه عن ابن عباس والقرظي ومنه قول امرئ القيس:

ومسنونة زرق كأياب أغوال

وإن كانت الغول لا تعرف ولكن لما تصور من قبحها في النفوس.

وقد طرح الطبري مثل هذا السؤال وأجاب عليه إذ قال:

فإن قال قائل: وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برءوس الشياطين في القبح، ولا علم عندنا بمبلغ قبح رءوس الشياطين، وإنما يمثل الشيء بالشيء تعريفاً من الممثل الممثل له قرب اشتباه الممثل أحدهما بصاحبه مع معرفة الممثل له الشئيين كليهما، أو أحدهما، ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين، لم يكونوا عارفين شجرة الزقوم، ولا برءوس الشياطين، ولا كانوا رأوها، ولا واحدا منهما؟

قيل له: أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالى ذكره لهم وبينها حتى

عرفوها ما هي وما صفتها، فقال لهم: (شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٥﴾) طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴿٦٥﴾ فلم يتركهم في عماء منها. وأما في تمثيله طلعها

برعوس الشياطين، فأقول لكل منها وجه مفهوم:

أحدها: أن يكون مثل ذلك برعوس الشياطين على نحو ما قد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء، قال: كأنه شيطان، فذلك أحد الأقوال.

والثاني: أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطاناً، وهي حية لها عرف فيما ذكر قبيح الوجه والمنظر، وإياه عنى الراجز بقوله:

عنجد تحلف حين أحلف كمثل شيطان الحمام أعراف

ويروى عجيز.

والثالث: أن يكون مثل نبت معروف برعوس الشياطين ذكر أنه قبيح الرأس.



س: هل شجرة الزقوم شجرة أم شجر؟

ج: بل هو شجر كما قال تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَتَيْتُمُ الصَّالِينَ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٥١﴾ لَا تَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَأَلْتُونَهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾) [الواقعة: ٥١-٥٣].



س: كيف الجمع بين قوله تعالى: (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾).

وقوله تعالى: (إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٥٢﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٥٤﴾) [الدخان: ٤٣-٤٤].

وقوله: (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلٍ ﴿٣٦﴾) [الحاقة: ٣٦].

ج: هذا - والله أعلم - يحمل على أحد أمرين:

أولهما: أن يُقال إن فئات من الكفار طعامهم دائماً وإن اقتصر على صنف من هذه الأصناف فلا يأكلون إلا الضريع مثلاً.

وفئات أخر طعامهم فقصر على الغسلين.

وفئات أخر طعامهم فقصر على الزقوم.

والثاني: أن يقال إنهم جميعاً يستمرون على طعام واحد زمناً طويلاً ثم بعده ينتقلون إلى طعام آخر لزم من طويل أيضاً فيكون ليس لهم في هذا الوقت إلا هذا الطعام، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - ولقد ضلَّ وانحرف وحاد عن الطريق المستقيم الموصل إلى جنة النعيم - وهو طريق الإسلام - انحرف عن قبل هؤلاء القرشيين أكثر من تقدموهم من الأمم، ولقد أرسلنا إليهم رسلاً تنذروهم كما أرسلنا إلى هؤلاء رسولاً ينذروهم، فكذبوا الرسل كما كذبك هؤلاء يا رسول الله، فانظر ماذا حل بمن كذبوا وعاندوا وكفروا لقد حلَّ بهم من البلاء ما حل لكن عباد الله الذي أخلصهم واصطفاهم قد سلمهم الله ونجاهم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ولقد ضلَّ يا محمد عن قصد السبيل ومحجة الحق قبل مشركي قومك من قريش أكثر الأمم الخالية من قبلهم: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ

مُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ يقول: ولقد أرسلنا في الأمم التي خلت من قبل أمتك، ومن قبل قومك المكذبيك منذرين تنذروهم بأسنا على كفرهم بنا، فكذبوهم ولم يقبلوا منهم نصائحهم، فأحللنا بهم بأسنا وعقوبتنا (فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٣﴾) يقول: فتأمل وتبين كيف كان غب أمر الذين أنذرتهم أنبيائنا، وإلام صار أمرهم، وما الذي أعقبهم كفرهم بالله، ألم نهلكهم فنصيرهم للعباد عبرة ولمن بعدهم عظة؟

وقوله: (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾) يقول تعالى: فانظر كيف كان عاقبة المنذرين، إلا عباد الله الذين أخلصناهم للإيمان بالله وبرسوله؛ واستثنى عباد الله من المنذرين، لأن معنى الكلام: فانظر كيف أهلكنا المنذرين إلا عباد الله المؤمنين، فلذلك حسن استثناءهم منهم.

وقال ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن الأمم الماضية أن أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى. وذكر تعالى أنه أرسل فيهم منذرين، ينذرون بأس الله، ويحذرونهم سطوته ونقمته، ممن كفر به وعبد غيره، وأنهم تمالأوا على مخالفة رسلهم وتكذيبهم. فأهلك المكذبين ودمرهم، ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم، ولهذا قال: (فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٣﴾) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾) أي: من الأمم الماضية (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾) أي: رسلاً أنذروهم العذاب فكفروا (فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٣﴾) أي: آخر أمرهم (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾)

أي: الذين استخلصهم الله من الكفر وقد تقدم ثم قيل: هو استثناء من
(المنذرين) وقيل هو من قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَلَّ بَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ ﴿٧١﴾).

[الصفات: ٧١]



قال الله تعالى:

(وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعِلْمِ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ [الصافات: ٧٥-٨٢]

س: اذكر معنى ما يلي:

(نَادَيْنَا - فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ - الْكَرْبِ الْعَظِيمِ - الْبَاقِينَ - فِي الْعَالَمِينَ).

ج:

معناها	الكلمة
دعانا	(نَادَيْنَا)
فلنعم المجيبون له - نعم من أجابه	(فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ)
الطوفان - وتكذيب قومه له	(الْكَرْبِ الْعَظِيمِ)
الباقيين على مر الدهور والعصور إنما هم من ذرية نوح غ	(الْبَاقِينَ)
في البشر، وقيل في الإنس والجن	(فِي الْعَالَمِينَ)



ذكر نبي الله نوح غ

س: ما هذا النداء الذي نادى به نوح غ ربّه ٥؟

ج: منه قوله: (إِنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿١٠﴾) [القمر: ١٠].

وقوله: (لَا تَنْدَرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾) [نوح: ٢٦].



س: ما صورة الإجابة التي أجاب الله ٥ بها نوحًا غ لما دعاه؟

ج: أجابه الله ٥ بأن سلّمه ونجاه من أهل الظلم ففتحت أبواب السماء بماءٍ منهمر وفجّرت الأرض عيونًا فالتقى الماء على أمرٍ قدّره الله ٥ وهو إهلاك الظلم وأهل العناد الذين عاندوه □.

قال تعالى: (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ ...)

الآيات.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: لقد نادانا نوح بمسألته إيانا هلاك قومه، فقال: (رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَذْهَبْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ ...) **[نوح: ٥-٦]** إلى قوله: (رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٦٦﴾) **[نوح: ٢٦]**، وقوله: (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾) يقول: فلنعم المجيبون كنا له إذ دعانا، فأجبنا له دعاءه، فأهلكنا قومه (وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ) يعني: أهل نوح الذين ركبوا معه السفينة. وقد ذكرناهم فيما مضى قبل، وبيننا اختلاف العلماء في عددهم.

وقال ابن كثير \$:

لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة، شرع يبين ذلك مفصلاً فذكر نوحاً غ، وما لقي من قومه من التكذيب، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة، لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم، وكلما دعاهم ازدادوا نفرة، (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿١٠﴾) **[القمر: ١٠]**، فغضب الله لغضبه عليهم؛ ولهذا قال: (وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾) أي: فلنعم المجيبون له (وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾)، وهو التكذيب والأذى.

**س: هل كل أهل نوح غ أنجاهم الله؟**

ج: على ما ذكر في كتاب الله ٥ فإن الله قال: (وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ) **[هود: ٤٠]**، وزوجته قد قال الله في شأنها: (صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا أُمَرَاتَ نُوْحٍ وَأُمَرَاتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا

عَنْهُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ [التحریم: ١٠]، وكذا ولده، فقد قال تعالى: (وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَنْتُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ...) [هود: ٤٥-٤٦].



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾).

ج: قال السعدي §: فاستجاب الله له، ومدح تعالى نفسه فقال: (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾) لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابقت ما سأل، فنجاه وأهله من الكرب العظيم، وأغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح غ، وجعل له ثناء حسنًا مستمرًا إلى وقت الآخرين، وذلك لأنه محسن في عبادة الخالق، محسن إلى الخلق، وهذه سنته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم.



س: ما المراد بالكرب العظيم؟

ج: هو ما لقيه من تكذيب قومه له وسخريتهم منه واستهزائهم به. ومن أيضًا الطوفان العظيم الذي حلَّ بالأرض في زمانه.



س: ما معنى قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾)؟

ج: المعنى - والله أعلم :- وجعلنا ذريته هم الباقين في الأرض بعد إهلاك سائر الناس وموتهم، فكان الذين تناسلوا هم ذرية نوح غ.

وقد ورد حديث في سنده ضعف من طريق الحسن عن سمرة أن النبي □ قال: «سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم»^(١).

وأكثر أهل العلم - ولم أقف على دليل ثابت بذلك - ذهبوا إلى أن أبناء نوح غ ثلاثة سام وحام ويافث.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: وقد روي عن عمران بن حصين^(٢)، عن النبي □ مثله.

والمراد بالروم هاهنا: هم الروم الأول، وهم اليونان المنتسبون إلى رومي ابن ليطي بن يونان بن يافث بن نوح غ.

ثم روى من حديث إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد ابن المسيب قال: ولد نوح غ ثلاثة: سام وحام ويافث، وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة، فولد سام العرب وفارس والروم، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، وولد حام القبط والسودان والبربر. وروي عن وهب بن منبه نحو هذا، والله أعلم.

قلت: ولا يثبت في ذلك شيء عن رسول الله □ فيما علمت.

هذا، وقد قال الطبري \$:

(١) أحمد (٩/٥)، والطبري (٢٩٤١٩)، والترمذي (٣٢٣١)، وغيرهم، وسنده ضعيف.

(٢) ولا يصح هذا، فهو نوع اختلاف على الحسن البصري، فمرة رواه عن سمرة، ومرة رواه عن عمران، وكل لا يصح، والله أعلم.

وقوله: (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا أَبَاقِينَ ﴿٧٧﴾) يقول: وجعلنا ذرية نوح هم الذين بقوا في الأرض بعد مهلك قومه، وذلك أن الناس كلهم من بعد مهلك نوح إلى اليوم إنما هم ذرية نوح، فالعجم والعرب أولاد سام بن نوح، والترك والصقالبة والخزر أولاد يافث بن نوح، والسودان أولاد حام بن نوح، وبذلك جاءت الآثار، وقالت العلماء.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة في قوله: (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا أَبَاقِينَ ﴿٧٧﴾) قال: فالناس كلهم من ذرية نوح.

ونحوه بإسناد ضعيف عن ابن عباس قال: لم يبق إلا ذرية نوح.



س: كيف الجمع بين هذه الآية الكريمة: (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا أَبَاقِينَ ﴿٧٧﴾) **وبين نداء الله ٥ في سورة الإسراء:** (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) [الإسراء: ٣]، **فالآية الأولى مفادها أنه لم يبق حيًّا بعد الطوفان إلا ذرية نوح، والثانية: أفادت أن الناس هم ذرية المحمولين مع نوح غ؟**

ج: قد يُقال - والعلم عند الله -: إنه كان محمولاً مع نوح في السفينة قوم من أهله وذريته وقوم من المؤمنين به من غير ذريته، فلم يُقدَّر الله ٥ أن يعيش ويحيا وتكون له ذرية إلا من كانوا من ذرية نوح غ.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: وجعلنا لنوح غ ذكراً حسناً في الناس الذين جاءوا من بعده، وثناءً حسناً منهم عليه.

وقد قيل: إن المراد بالآخرين هم أمة محمد □ كما قال تعالى: (﴿ شَرَعَ

لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) [الشورى: ١٣]، وكما قال تعالى: (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) [الإسراء: ٣]، ومن العلماء من قال: إنهم المؤمنون بعده عمومًا، ومنهم من قال: ثناء حسنًا على السنة الخلق، هذا وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الذي تركه الله عليه في الآخرين مفسرٌ بقوله تعالى: (سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾).

وهذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة:

قال الطبري §:

يعني تعالى ذكره بقوله: (وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾) وأبقينا عليه، يعني: على نوح ذكرًا جميلًا وثناءً حسنًا في الآخرين، يعني: فيمن تأخر بعده من الناس يذكرونه به.

وأورد عن ابن عباس ؓ بسندٍ فيه مقال: (وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾) يقول: يُذكر بخير.

ونحوه عن مجاهد يقول: جعلنا لسان صدق للأنبياء كلهم.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة قال: أبقي الله عليه الثناء الحسن في الآخرين.

وعن السدي قال: الثناء الحسن.

وقوله: (سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾) يقول: أمانة من الله لنوح في العالمين أن يذكره أحد بسوء؛ وسلام مرفوع بعلى. وقد كان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول: معناه: وتركنا عليه في الآخرين، (سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ) أي: تركنا عليه هذه الكلمة، كما تقول: قرأت من القرآن (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾) فتكون الجملة في معنى نصب، وترفعها باللام، كذلك سلام على نوح ترفعه بعلى، وهو في تأويل نصب، قال: ولو كان: تركنا عليه سلامًا، كان

صوابًا.

وقال ابن كثير \$:

وقوله تعالى: (سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾) مفسر لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (وَرَكَّعَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾) أي: تركنا عليه ثناءً حسنًا في كل أمة؛ فإنه محبوب إلى الجميع حتى إن في المجوس من يقول: إنه أفريدون روي معناه عن مجاهد وغيره وزعم الكسائي أن فيه تقديرين:

أحدهما: (وَرَكَّعَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾) يقال: (سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ) أي: تركنا عليه هذا الثناء الحسن، وهذا مذهب أبي العباس المبرد، أي: تركنا عليه هذه الكلمة باقية يعني يسلمون عليه تسليمًا ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقوله تعالى: (سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا) [النور: ١].

والقول الآخر: أن يكون المعنى وأبقينا عليه وتم الكلام ثم ابتدأ فقال: (سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ) أي: سلامة له من أن يذكر بسوء (فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾) قال الكسائي: وفي قراءة ابن مسعود (سلامًا) منصوب بـ (وَرَكَّعَا) أي: تركنا عليه ثناءً حسنًا سلامًا، وقيل: (فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾) أي: في أمة محمد ﷺ، وقيل: في الأنبياء إذ لم يبعث بعده نبي إلا أمر بالاعتداء به، قال الله تعالى: (﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾) [الشورى: ١٣].



س: وضع معنى قوله تعالى: (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ

﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾.

ج: المعنى -والله تعالى أعلم-: وكما أنجينا نوحًا غ، وسلمناه وأكرمناه

بأن جعلنا ذريته هم الباقين، وجعلنا له ثناءً حسناً في الناس بعد موته، فهكذا نجازي كل محسنٍ ولا يقف جزاؤنا الحسن على شخص بعينه بل كل من أحسن يجازى ويكرم.

ثم عودٌ بالثناء على نوحٍ غ بقوله تعالى: (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾) شهادة من الله له بذلك، ثم أغرقنا الآخرين، أي: بقية قومه (الذين لم يؤمنوا به).

وبنحو هذا جاءت أقوال العلماء.

قال الطبري \$:

وقوله: (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾) يقول تعالى ذكره: إنا كما فعلنا بنوح مجازاة له على طاعتنا وصبره على أذى قومه في رضانا ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين، وأبقينا عليه ثناء في الآخرين (كَذَلِكَ نَجْزِي) الذين يحسنون فيطيعوننا، وينتهون إلى أمرنا، ويصبرون على الأذى فينا. وقوله: (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾) يقول: إن نوحاً من عبادنا الذين آمنوا بنا، فوحدونا، وأخلصوا لنا العبادة، وأفردونا بالألوهة.

وقوله: (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾) يقول تعالى ذكره: ثم أغرقنا حين نجينا نوحاً وأهله من الكرب العظيم من بقي من قومه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾) قال: أنجاه الله ومن معه في السفينة وأغرق بقية قومه.

وقال ابن كثير \$:

(إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾) أي: هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله، نجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك.

ثم قال: (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾) أي: المصدقين الموحدين الموقنين، (ثُمَّ

أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ أي: أهلكناهم، فلم تَبْقَ منهم عين تطرف، ولا ذكر لهم ولا عين ولا أثر، ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾) أي: نبقي عليهم الثناء الحسن والكاف في موضع نصب أي: جزاء، كذلك (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾) هذا بيان إحسانه، قوله تعالى: (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾) أي: من كفر وجمعه آخر والأصل فيه أن يكون معه (مِنْ) إلا أنها حذفَتْ لأن المعنى معروف ولا يكون آخرًا إلا وقبله شيء من جنسه (ثُمَّ) ليس للتراخي ها هنا بل هو لتعديد النعم كقوله: (أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿٨٣﴾) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا [البلد: ١٦ - ١٧] أي ثم أخبركم أنني قد أغرقت الآخرين وهم الذين تأخروا عن الإيمان.



ذكر نبي الله إبراهيم غ

(وَإِذْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لَأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَكَاةَ إِلَهِةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ
بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَظَرَنْظَرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ
مُذْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾
فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أتعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾
فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾) [الصافات: ٨٣-٩٨]

س: **وضح معنى ما يلي:**

(مِنْ شِيعَتِهِ - أَبْفَكَ - دُونَ اللَّهِ - سَقِيمٌ - فَنَوَلَّوْا عَنْهُ - مُدْبِرِينَ - فَرَّاعٌ - بِالْيَمِينِ - يَرْفُونَ).

ج:

الكلمة	معناها
(مِنْ شِيعَتِهِ)	من أهل دينه وملته - من أتباعه وعلى منهاجه وطريقته وسنته - من أنصاره على ما هو عليه من الحق
(أَبْفَكَ)	أكذباً - والإفك أسوأ الكذب
(دُونَ اللَّهِ)	غير الله
(سَقِيمٌ)	مريض، (قيل بالطاعون)
(فَنَوَلَّوْا عَنْهُ)	فانصرفوا عنه
(مُدْبِرِينَ)	منطلقين - فارّين
(فَرَّاعٌ)	فمال - فذهب، وهناك وجه آخر فراغ عنهم (أي عن قومه) ثم ذهب إلى آلهتهم
(بِالْيَمِينِ)	باليد اليمنى لقوتها وشدتها
(يَرْفُونَ)	يجرون - يسرعون - يستعجلون



س: **قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ (٨٣) شيعته من؟ وما معنى**

الشيعه هنا؟

ج: **المراد:** شيعه نوح غ، فالمعنى: وإن إبراهيم غ لمن شيعته نوح غ،

أي: من أتباعه الذين هم على دينه وطريقته وسنته ومنهاجه.

هذا هو قول الجمهور من المفسرين.

قال الطبري \$: وإن من أشياع نوح على منهاجه وملته والله لإبراهيم خليل الرحمن.

وهناك قول آخر ذكره الطبري عن بعض أهل اللغة مُشيرًا إلى تضعيفه ألا وهو أن المراد بقوله: ومن شيعته، أي: ومن شيعة محمد رسول الله ﷺ لإبراهيم غ.

قال الطبري:

وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك: وإن من شيعة محمد لإبراهيم، وقال: ذلك مثل قوله: (وَأَيُّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) [يس: ٤١] بمعنى: أنا حملنا ذرية من هم منه، فجعلها ذرية لهم، وقد سبقتهم.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ) (٨٣) قال ابن عباس: أي من أهل دينه وقال مجاهد: أي على منهاجه وسننه قال الأصمعي: الشيعة الأعوان وهو مأخوذ من الشيعاع وهو الحطب الصغار الذي يوقد مع الكبار حتى يستوقد وقال الكلبي والفراء: المعنى وإن من شيعة محمد لإبراهيم فالهاء في (شِيعَتِهِ) على هذا لمحمد غ وعلى الأول لنوح وهو أظهر لأنه هو المذكور أولاً.



س: قوله تعالى: (إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (٨٤) متى هذا المجيء؟

ج: قال القرطبي \$:

يحتمل مجيئه إلى ربه من وجهين:

أحدهما: عند دعائه إلى توحيده وطاعته.

الثاني: عند إلقائه في النار.

قلت (مصطفى): وهناك وجهٌ ليس ببعيد، حاصله أن مجيئه إلى ربِّه ٥ المراد به يوم القيامة، أي: أنه عند مجيئه لربِّه ٥ يوم القيامة سيوافي ربِّه ٥ بقلب سليم، والله أعلم.



س: ما المراد بسلامة هذا القلب؟

ج: لأهل العلم أقوال، وكلها صحيحة.

أولها: سليمٌ من الشرك بالله، خالصٌ لله بالتوحيد، مخلصٌ.

وهذا قول أكثر العلماء.

ثانيها: سليمٌ من الشك.

ثالثها: سليمٌ من النفاق.

رابعها: ما ذكره الطبري بسندٍ صحيح عن عروة قال: يا بني لا تكونوا لعانين، ألم تروا إلى إبراهيم لم يلعن شيئاً قط فقال الله: (إِذْ جَاءَ رَبُّهُ، بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾).

خامسها: الذي يعلم أن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور.



س: قوله تعالى: (إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ مَنْ أَبُوهُ؟)

ج: أزر هو أبو إبراهيم غ.

قال تعالى: (﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَيِّهِ ءَازَرَ اتَّخَذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾) [الأنعام: ٧٤].

وفي الحديث - وقد تقدم في سورة الأنعام -: «يلقى إبراهيم أباه أزر

يوم القيامة وعلى وجه آزر قترّة...» (١) الحديث.
ولا التفات إلى قول آخر غير هذا، والله أعلم.



س: وضع معنى قوله تعالى: (إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيْفَكَاءَ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - واذكر يا رسول الله إبراهيم غ إذ لم تأخذه في الله لومةً لائم بل دعا إلى الله وبدأ بأول قريب له وهو أبوه ومعه قومه، فقال لهم: ما تعبدون.

وفي الآية الأخرى: (مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) [الأنبياء: ٥٢].
أتريدون أن تعبدوا آلهة باطلة غير الله، كذبًا منكم وافتراء على الله؟
أتفترون على الله الكذب بدعوتكم آلهة سواه، وتجعلونها شريكة لله وتريدون عبادتها لذلك؟!!

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال السعدي \$:

(أَيْفَكَاءَ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾) أي: أتعبدون من دون الله آلهة كذبًا، ليست بآلهة، ولا تصلح للعبادة، فما ظنكم برب العالمين، أن يفعل بكم وقد عبدتم معه غيره؟ وهذا ترهيب لهم بالجزاء بالعقاب على الإقامة على شركهم.
(فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾) أي: وما الذي ظننتم برب العالمين، من النقص حتى جعلتم له أندادًا وشركاءً.

قال الطبري \$:

وقوله: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾) يقول حين قال: يعني إبراهيم لأبيه وقومه: أي شيء تعبدون.

وقوله: (أَيُّكُمُ إِلَهٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾) يقول: أكذباً معبوداً غير الله تريدون.

وقال القرطبي \$:

(أَيُّكُمُ) نصب على المفعول به بمعنى أتريدون إفاً قال المبرد: والإفك أسوأ الكذب وهو الذي لا يثبت ويضطرب ومنه انتفكت بهم الأرض (إِلَهٌ) بدل من إفك (دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾) أي تعبدون ويجوز أن يكون حالاً بمعنى أتريدون آلهة من دون الله أفكين.



س: وضح معنى قوله: (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾).

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: فما الذي تظنون به ربكم أن يفعله بكم وقد عبدتم معه غيره؟
أو ما الذي تتوقعون أن يصنعه بكم ربكم من صور العذاب وقد عبدتم معه غيره؟

وهذا قول الطبري \$، ونقله عن قتادة بسند حسن.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل إبراهيم لأبيه وقومه: (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)؟ يقول: فأى شيء تظنون أيها القوم أنه يصنع بكم إن لقيتموه وقد عبدتم غيره.

وأورد بسند حسن عن قتادة: (فَمَا ظَنُّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾) يقول: إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره.

ثانيها: المراد ما هذا الظن السيئ الذي حملكم على أن عبدتم مع الله إلهاً آخر.

ثالثها: ماذا تظنون بالله ٥، أظنونه غير قادر؟ أظنونه غافلاً عنكم؟ أظنونه سيسوي بين الموحد والمشارك؟! أظنونه سيكرم من أشرك؟! والله أعلم.



س: لماذا نظر نظرة في النجوم، وما وجه تعلق ذلك بقوله: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٨﴾)، وما نوع المرض الذي ادعى أنه أصابه؟

ج: قال بعض أهل العلم: إن القوم كانوا أهل تنجيم وكانوا ينظرون إليها فيتيامنون أو يتشاءمون فجاءهم على طريقتهم لإبطال ما هم عليه.

أما وجه تعلقه بقوله: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٨﴾)، فحاصله أنه رأى نجماً طلع، وكان القوم يتوهمون أن بعض النجوم إذا طلعت صاحببتها بعض الأمراض، فلما قال لهم: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٨﴾) تركوه مصدقين له، وكان غ قد أراد أن يتركوه حتى لا يشارك في كفرهم وضلالهم وحتى يتجه إلى الأصنام يصنع بها الذي صنع.

أما المرض الذي ذكره؛ إذ قال: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٨﴾)، فقال أكثر المفسرين: إنه الطاعون، وهذا الذي حملهم على الفرار منه والهرب عنه خشية العدوى، وأما المذكور في كتاب الله ٥ فهو قوله: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٨﴾) ولم يذكر نوع المرض.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

وقوله: (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾) ذكر أن قومه كانوا أهل تنجيم، فرأى نجمًا قد طلع، فعصب رأسه وقال: إني مطعون، وكان قومه يهربون من الطاعون، فأراد أن يتركوه في بيت آلهتهم، ويخرجوا عنه، ليخالفهم إليها فيكسرها.

وأورد بإسنادٍ ضعيف إلى ابن عباس، قوله: (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾) قال: قالوا له وهو في بيت آلهتهم: اخرج، فقال: إني مَطْعُونٌ، فتركوه مخافة الطاعون.

وبإسنادٍ صحيح عن سعيد بن المسيب أنه قال: رأى نجمًا طلع.
وبإسنادٍ حسن عنه (عن ابن المسيب) أيضًا: أنه (أي الخليل غ) رأى نجمًا طلع، فقال: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾)، قال: كأيّد نبي الله عن دينه، فقال: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾).

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد^(١)، عن أبيه، في قول الله: (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾) قال: أرسل إليه ملكهم، فقال: إن غدا عيدنا، فاحضر معنا، قال: فنظر إلى نجم فقال: إن ذلك النجم لم يطلع قط إلا طلع بسقم لي، فقال: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾).

قال ابن كثير \$:

إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك، ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم، فإنه كان قد أّزف خروجهم إلى عيد لهم، فأحب أن

(١) وابن زيد نفسه ضعيف، وهو هنا من رجال الإسناد لكن قد تغفر له روايته عن أبيه.

يختلي بالهتهم ليكرها، فقال لهم كلامًا هو حق في نفس الأمر، فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه، (فَنُؤَلِّهُهُ مُمْرِينَ ﴿١٠﴾) قال قتادة: والعرب تقول لمن تفكر: نظر في النجوم: يعني قتادة: أنه نظر في السماء متفكرًا فيما يلهيهم به، فقال: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨﴾) أي: ضعيف.



س: كيف قال الخليل غ: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨﴾) مع كونه كان صحيحًا؟

ج: اعتبر ذلك إحدى الكذبات الثلاث التي صدرت من إبراهيم غ كما ورد بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ غ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ثَنَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ قَوْلُهُ: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨﴾). وَقَوْلُهُ: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) وَوَاحِدَةً فِي شَأْنِ سَارَةَ فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمَ أَنَّكَ أَمْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكَ فَإِنْ سَأَلَكَ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكَ أُخْتِي فَإِنَّكَ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرِكَ فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَأَاهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ أَمْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأَتَتْ بِهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ غ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقُبِضَتْ يَدُهُ قُبْضَةً شَدِيدَةً فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضْرُكَ. فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقُبْضَةِ الْأُولَى فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ فَفَعَلَتْ فَعَادَ فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقُبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَلَكَ اللَّهُ أَنْ لَا أَضْرُكَ. فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ فَأَخْرَجَهَا مِنْ أَرْضِي وَأَعْطَاهَا هَاجَرَ. قَالَ:

فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي فَلَمَّا رَأَاهَا إِبْرَاهِيمُ غُ انْصَرَفَ فَقَالَ لَهَا: مَهَيْمَ قَالَتْ: خَيْرًا كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ وَأَخَذَ خَادِمًا». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ ^(١).

وأورد الطبري رحمه الله تعالى وجهًا آخر، وردّه فجزاه الله خيرًا على ردّه إياه.

قال الطبري \$:

وقال آخرون: إن قوله: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾) كلمة فيها معراض، ومعناها أن كل من كان في عقبة الموت فهو سقيم، وإن لم يكن به حين قالها سقم ظاهر.

ورد الطبري هذا القول بقوله: والخبر عن رسول الله ﷺ بخلاف هذا القول، وقول رسول الله ﷺ هو الحق دون غيره. قوله: (فَقُولُوا عَنَّا مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾) يقول: فتولوا عن إبراهيم مدبرين عنه، خوفًا من أن يعديهم السقم الذي ذكر أنه به.

قلت: وقد أحسن الطبري \$ رحمة واسعة؛ إذ لم يُقدم قولاً على قول رسول الله ﷺ، وفي هذا دلالة عظيمة على إمامته وجلالته؛ إذ لم يقدم على قول رسول الله ﷺ قولاً.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

فأما الحديث الذي رواه ابن جرير هاهنا: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا أبو أسامة، حدثني هشام، عن محمد، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- غير ثلاث كذبات: ثنتين في ذات

(١) مسلم (٢٣٧١) مرفوعاً، والبخاري موقوفاً (٢٣٥٨)، ومرفوعاً مختصراً (٢٣٥٧).

الله، قوله: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٨﴾)، وقوله: (بَلْ فَعَلَهُ كَيْدُهُمْ هَذَا) [الأنبياء: ٦٣]، وقوله في سارة: هي أختي» فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق، ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله - حاشا وكلا- وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزاً، وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني، كما جاء في الحديث ^(١): «إن في المعاريض لمنوحة عن الكذب».



س: وضع معنى قوله تعالى: (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾) فَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِذْ هِيَ كَالْأَسْمَانِ كَتَمَتِ الْغَمَامَ كَلْبًا يَمْسِكُ ظُفْرَ فِجْجٍ فَنِجْصَاتٍ ﴿٩١﴾)

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : أن قوم إبراهيم غ لما سمعوا قوله: (إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٨﴾) نفروا عنه وانصرفوا منطلقين فلما كان ذلك مال إلى آلهتهم - قال البعض: وأتى بطعام فقدمه لها - فقال: ألا تأكلون من هذا؟ على سبيل الاستهزاء والسخرية، ثم قال: (مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾)، ما لكم لا تتكلمون ولا تجيبون.

وبنحوه قال أهل العلم.

قال الطبري \$ بعد أن أورد قول قتادة: (فَتَوَلَّوْا) فنكصوا عنه (مُدْبِرِينَ) منطلقين، **قال الطبري:**

وقوله: (فَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ) يقول تعالى ذكره: فمال إلى آلهتهم بعد ما خرجوا عنه وأدبروا؛ وأرى أن أصل ذلك من قولهم: راغ فلان عن فلان: إذا حاد عنه، فيكون معناه إذا كان كذلك: فراغ عن قومه والخروج معهم

(١) قلت: وهو ضعيف، رواه أبو يعلى في مسنده (١٠٤٠/٢) بسندٍ ضعيف.

إلى آلهتهم؛ كما قال عدي بن زيد:

حين لا ينفع الرواغ ولا ينفع إلا المصادق النحرير

يعني بقوله: «لا ينفع الرواغ»: الحياد. أما أهل التأويل فإنهم فسروه بمعنى فمال.

وأورد عن قتادة بإسناد حسن: (فَرَّغَ إِلَى إِلَهِهِمْ) فمال إلى آلهتهم، قال: ذهب. وبسند حسن إلى السدي قال: (فَرَّغَ إِلَى إِلَهِهِمْ) ذهب.

ثم قال الطبري \$:

وقوله: (فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿١٢﴾) هذا خبر من الله عن قيل إبراهيم للآلهة؛ وفي الكلام محذوف استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره، وهو: فقرب إليها الطعام فلم يرها تأكل، فقال لها: (أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾) فلما لم يرها تأكل قال لها: ما لكم لا تأكلون، فلم يرها تنطق، فقال لها: (مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿١٢﴾) مستهزئاً بها، وكذلك ذكر أنه فعل بها، وقد ذكرنا الخبر بذلك فيما مضى قبل.

وقال ابن كثير \$:

(فَنَوَلُوْا عَنْهُ مُدْرِيْنَ ﴿١٠﴾) أي: إلى عيدهم، (فَرَّغَ إِلَى إِلَهِهِمْ) أي: ذهب إليها بعد أن خرجوا في سرعة واختفاء، (فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١١﴾)، وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعاماً قرباناً لتبرك لهم فيه.



س: لماذا خُصَّت اليمين بالذكر؟ وما معنى الآية الكريمة: (فَرَّغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا

بِالْيَمِينِ ﴿١٣﴾)؟

ج: خست اليمين بذكر - وهي اليد اليمنى - للدلالة على قوة البطش وشدة التكسير والتحطيم.

قال ابن كثير \$:

وإنما ضربهم باليمين؛ لأنها أشد وأنكى؛ ولهذا تركهم جزاءً إلا كبيراً لهم لعلمهم إليه يرجعون، كما تقدم في سورة الأنبياء تفسير ذلك.

وذكر بعض أهل العلم وجهاً آخر حاصله:

أن قوله: (بِالْيَمِينِ ١٣) معناه: إمضاء لليمين التي أقسمها ووفاء بها، وهي قوله: (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ تُولُوْا مُدْبِرِينَ ٥٧) [الأنبياء: ٥٧].

قال الطبري \$:

يقول تعالى نكره: فمال على آلهة قومه ضرباً لها باليمين بفأس في يده يكسرها.

وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى: فراغ عليهم ضرباً بالقوة والقدرة، ويقول: اليمين في هذا الموضع: القوة. وبعضهم كان يتأول اليمين في هذا الموضع: الحلف، ويقول: جعل يضربهن باليمين التي حلف بها بقوله: (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ تُولُوْا مُدْبِرِينَ ٥٧) [الأنبياء: ٥٧].

وقال القرطبي \$:

(فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ١٣) خصَّ الضرب باليمين لأنها أقوى والضرب بها أشد - قاله الضحاك والربيع بن أنس - وقيل: المراد باليمين: اليمين التي حلفها حين قال: (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ) وقال الفراء وثعلب: ضرباً بالقوة واليمين القوة.

وأورد القرطبي وجوه آخر أراها ضعيفة، والله أعلم.

أما عن معنى الآية وحاصل القول فيها:

فلما تولى القوم عن إبراهيم غ وانصرفوا عنه مال على آلهتهم وذهب إليها يكسرها ويحطمها، قيل ذلك: كان بفأس، وقيل بغير ذلك. طفق الخليل يضربها ضرباً شديداً حتى حطّمها إلا كبيرهم فقد تركه لمزيد من السخرية من هذه الآلهة.

قال تعالى: (فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كِبْرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ) ﴿٥٨﴾ **[الأنبياء:** ٥٨، والله أعلم.



س: وضع معنى قوله تعالى: (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ٩٤) قَالَ اتَّعَبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ٩٥
وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٩٦ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ٩٨).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم :- أن قوم إبراهيم غ لما رجعوا فوجدوا الأصنام قد كُسرت وتحطمت وأصبحت جذاذًا إلا كبيرًا لهم تساءلوا فيما بينهم - كما في الآية الأخرى:- (مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ٩٨) [الأنبياء: ٥٩]، فأجيبوا بقول القائل: (سِعْنَا فَنَقَىٰ يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ٩٦) قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ٩٦) [إبراهيم: ٦٠، ٦١]...، فالحاصل أنهم ذهبوا إليه مسرعين للإتيان به، فهذا قوله: (يَزْفُونَ ٩٤) يسرعون، فقال لهم - بعد مناقشة بينه وبينهم تضمنت معالمها في سور آخر -: أتعبدون ما تنحتونه بأيديكم وتصنعونه بأيديكم، وتتركون عبادة الله أو تجعلونها شريكةً لله ؟!

وقوله: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٩٦) محتملٌ لمعنيين ذكرها العلماء:

أحدها: والله خلقكم وخلق أعمالكم.

الثاني: والله خلقكم وخلق الأشجار والأحجار التي تصنعونها الأصنام.

أي: كيف تعبدونها والله خالقكم وخالقها؟

فلما عجزوا عن مواصلة النقاش معه وانقطعت بهم الحجج، تشاوروا فيما بينهم كيف نصنع مع إبراهيم غ؟ فاتجهوا إلى ما يتجه إليه الجابرة والظلمة عموماً - ألا وهو البطش بعد انقطاع الحجة والعجز عن المناظرة - فقالوا: ابنوا له بنيانًا، قيل: تنورًا عظيمًا تُوقد فيه النار، وقيل: مبنى

عظيمًا _____ ه _____ ائلاً،
وقيل غير ذلك، فأضرموا فيه النار، وألقوا إبراهيم فيها، فأرادوا بإبراهيم
غُ شراً وقتلاً وإجراماً، فأبطل الله سعيهم، ودفع الله كيدهم، وسلّم خليله
إبراهيم غُ، وجعلوا هم الأسفلون، فحوججوا وغلبوا، وبنحو هذا قال أهل
العلم.

قال الطبري \$ بعد أن أورد معنى كلمة (زِفُون) ووجوه القراءات

فيها:

قال: وقد اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: معناه: فأقبل قوم
إبراهيم إلى إبراهيم يجرون.

وقال آخرون: أقبلوا إليه يمشون.

وقال آخرون: معناه: فأقبلوا يستعجلون.

قال الطبري:

وقوله: (قَالَ اتَّعِبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾) يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه:
أتعبدون أيها القوم ما تنحتون بأيديكم من الأصنام.

وقوله: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾) يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل
إبراهيم لقومه: والله خلقكم أيها القوم وما تعملون. وفي قوله: (وَمَا تَعْمَلُونَ
﴿٩٦﴾) وجهان: أحدهما: أن يكون قوله: (ما) بمعنى المصدر، فيكون معنى
الكلام حينئذٍ: والله خلقكم وعملكم.

والآخر أن يكون بمعنى (الذي)، فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله
خلقكم والذي تعملونه: أي: والذي تعملون منه الأصنام، وهو الخشب
والنحاس والأشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم.

وهذا المعنى الثاني قصد إن شاء الله قتادة بقوله الذي:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ): بأيديكم.

قلت (مصطفى): وسنده حسن.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: (قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۖ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ۖ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ۖ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۖ ﴿١٠٠﴾).

يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم لما قال لهم إبراهيم: (قَالَ اتَّعْبُدُوا مَا تَنَحَّوْنَ ۖ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۖ ﴿٩٦﴾) ابنوا لإبراهيم بنيانًا؛ ذكر أنهم بنوا له بنيانًا يشبه التنور، ثم نقلوا إليه الحطب، وأوقدوا عليه (فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۖ ﴿٩٧﴾) والجحيم عند العرب: جمر النار بعضه على بعض، والنار على النار.

وقوله: (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) يقول تعالى ذكره: فأراد قوم إبراهيم بإبراهيم كيدًا، وذلك ما كانوا أرادوا من إحراقه بالنار. يقول الله: (فَجَعَلْنَاهُمْ) أي فجعلنا قوم إبراهيم (الْأَسْفَلِينَ ۖ ﴿٩٨﴾) يعني: الأذلين حجة، وغلبنا إبراهيم عليهم بالحجة، وأنقذناه مما أرادوا به من الكيد.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ ۖ ﴿٩٨﴾) قال: فما ناظرهم بعد ذلك حتى أهلكهم.

وقال ابن كثير \$:

قوله هاهنا: (فَأَقْبِلُوا إِلَيْهِ يَرْفُؤَنَّ ۖ ﴿٩٤﴾): قال مجاهد وغير واحد: أي: يسرعون.

وهذه القصة هاهنا مختصرة، وفي سورة الأنبياء مبسطة، فإنهم لما

رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا، فعرفوا أن إبراهيم غ هو الذي فعل ذلك. فلما جاؤوا ليعاتبوه، أخذ في تأنيبهم وعيبتهم، فقال: (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾)؟! أي: أتعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحتونها وتجعلونها بأيديكم؟! (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾) يحتمل أن تكون (مَا) مصدرية، فيكون تقدير الكلام: والله خلقكم وعملكم. ويحتمل أن تكون بمعنى (الذي) تقديره: والله خلقكم والذي تعملونه. وكلا القولين متلازم، والأول أظهر؛ لما رواه البخاري في كتاب (أفعال العباد)، عن علي بن المديني، عن مروان بن معاوية، عن أبي مالك، عن ربيع بن حراش، عن حذيفة مرفوعاً قال: «إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصْنَعَتِهِ». وقرأ بعضهم: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾).

فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر، فقالوا: (إِنَّا لَهُ بٰئِنًا فَلَقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾) وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في سورة الأنبياء، ونجاه الله من النار وأظهره عليهم، وأعلى حجته ونصرها؛ ولهذا قال تعالى: (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾).

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾) فيه حذف أي قالوا من فعل هذا بالهتتا، فقال محتجاً: (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾) أي: أتعبدون أصناماً أنتم تنحتونها بأيديكم تنجرونها، والنحت: النجري والبري، نحته ينحته بالكسر نحتاً أي: براه والنحاتة البراية والمنحت ما ينحت به (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾) (مَا) في موضع نصب أي: وخلق ما تعملونه من الأصنام يعني الخشب والحجارة وغيرهما كقوله: (بَلْ رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ) |

الأنبياء: ٥٦ [وقيل: إن (ما) استفهام ومعناه التحقير لعملهم وقيل: هي نفي والمعنى وما تعملون ذلك لكن الله خالقه والأحسن أن تكون (ما) مع الفعل مصدرًا والتقدير: والله خلقكم وعملكم وهذا مذهب أهل السنة: أن الأفعال خلق لله عز و جل واكتساب للعباد وفي هذا إبطال مذاهب القدرية والجبرية وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله خالق كل صانع وصنعه» ذكره الثعلبي وخرجه البيهقي من حديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز و جل صنع كل صانع وصنعه»^(١) فهو الخالق وهو الصانع سبحانه.

وقال:

قوله تعالى: (قَالُوا أَبْنَاؤُهُ بُنَيْنَا) أي: تشاوروا في أمره لما غلبهم بالحجة حسب ما تقدم في (الأنبياء) بيانه فـ (قَالُوا أَبْنَاؤُهُ بُنَيْنَا) تملأونه حطبًا فتضرمونه، ثم ألقوه فيه وهو الجحيم.

وقال:

(فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) أي: بإبراهيم والكيد المكر، أي: احتالوا لإهلاكه (جَعَلْنَاهُمْ أَلسْفِلِينَ) (١٨) المقهورين المغلوبين؛ إذ نفذت حجته من حيث لم يمكنهم دفعها ولم ينفذ فيه مكرهم ولا كيدهم.



(١) صحيح: أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٥٧ و ٣٥٨)، والبخاري في خلق أفعال العباد (١١٧ و ١١٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٧: ٥٧) وغيرهم.

قال الله تعالى:

(وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَأَبَّتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدَيَّنَاهُ أَنَّ يَتَّيْرَهُمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾) [الصافات: ٩٩-١١٣]

س: وضع معنى هذه الكلمات:

(إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي - سَيِّدِينَ - هَبْ لِي - حَلِيمٍ - بَلِّغْ مَعَهُ السَّعَى - أَسْلَمًا - وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ -
أَبْلَتْوُا الْمِئِينَ - وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ - وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ).

ج:

معناها	الكلمة
مهاجر إلى أرضٍ أعبد فيها ربي هـ	(إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي)
سيوفقني ويسددني ويدلني على الطريق الأرشد والأمثل	(سَيِّدِينَ)
ارزقني - امنحني - تفضل عليّ	(هَبْ لِي)
يتجاوز عن الإساءات - صبور - لا يعاجل بالعقوبة	(حَلِيمٍ)
استطاع المشي والعمل وقدر عليهما بلغ حدًا يستطيع فيه أن يعمل مع أبيه ويساعده	(بَلِّغْ مَعَهُ السَّعَى)
استسلما لأمر الله - شهدا ألا إله إلا الله	(أَسْلَمًا)
طرحه على وجهه ليزبحه من قفاه والجبين ما على جنبتي الجبهة فللوجه جبينان، والجبهة بينهما	(وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ)
الاختبار العظيم - الامتحان الشديد	(أَبْلَتْوُا الْمِئِينَ)
تركنا عليه ثناءً حسنًا في الذين جاءوا من بعده	(وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ)
جعلنا الخير فيه ثابتًا ومتناميًا	(وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ)

س: وضع معنى قوله تعالى: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿١١﴾).

ج: هذا قول الخليل إبراهيم □ لما أنجاه الله ٥ من النار وسلمه منها، ومع ذلك لم يجد هذا في قومه ولم تؤثر فيهم نجاته من النار أمام أعينهم، فقرر ترك البلاد والهجرة منها، قيل: إلى الأرض المقدسة، وقيل: إلى حران، وقيل غير ذلك، وسيوفقني الله ٥ وسيسدني.

وقد ذهب بعض العلماء مذاهب أخر في تفسير قوله: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿١١﴾)، فقد ذهب قتادة \$ إلى أن المعنى ذاهب بعمله وقلبه ونيته. أخرج ذلك عنه الطبري بإسناد حسن.

قلت (مصطفى): وهذا غريب وبعيد عن المعنى والسياق، وكذا يرد ما ورد في سورة العنكبوت من قوله: (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي) [العنكبوت: ٢٦]. هذا، وقد أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى سليمان بن صرد، وهو من أصحاب النبي □ أنه قال: (أي: سليمان بن صرد) قال:

لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿١١﴾) فجمع الحطب، فجاءت عجوز على ظهرها حطب، فقيل لها: أين تريدين؟ قالت: أريد أن أذهب إلى هذا الرجل الذي يلقي في النار؛ فلما ألقى فيها، قال: حسبي الله عليه توكلت، أو قال: حسبي الله ونعم الوكيل، قال: فقال الله: (يَنَارُكُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾) [الأنبياء: ٦٩] قال: فقال ابن لوط، أو ابن أخي لوط: إن النار لم تحرقه من أجلي، وكان بينهما قرابة، فأرسل الله عليه عنقا من النار فأحرقته.

قلت (مصطفى): وهذا مصير منه إلى أنه قال: (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿١١﴾) لما أخذه لإلقائه في النار.

قال القرطبي \$:

وفي قوله: (سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾) على هذا القول تأويلان، أحدهما: سيهدين إلى الخلاص منها، والثاني: إلى الجنة.

وفي هذا القول، والذي قبله بعد، والصواب -والله أعلم- في قوله: (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي) أنه (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي) [العنكبوت: ٢٦]، أي: تارك البلاد بما فيها ومتجه إلى حيث أعبد ربي ٥.

وهذا رأي أكثر أهل العلم، واختيار الطبري \$.

إن قال:

وقوله: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾) يقول: وقال إبراهيم لما أفلجه الله على قومه ونجاه من كيدهم: (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي) يقول: إني مهاجر من بلدة قومي إلى الله: أي إلى الأرض المقدسة، ومفارقهم، فمعتزلهم لعبادة الله.

قال الطبري:

وإنما اخترت القول الذي قلت في ذلك؛ لأن الله -تبارك وتعالى- ذكر خبره وخبر قومه في موضع آخر، فأخبر أنه لما نجاه مما حاول قومه من إحراقه قال: (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي) [العنكبوت: ٢٦] ففسر أهل التأويل ذلك أن معناه: إني مهاجر إلى أرض الشام، فكذلك قوله: (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي) لأنه كقوله: (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي)، وقوله: (سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾) يقول: سيثبتني على الهدى الذي أبصرته، ويعينني عليه.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم: إنه بعد ما نصره الله على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة، هاجر من بين

أظهرهم.

وقال القرطبي \$:

هذه الآية أصل في الهجرة والعزلة وأول من فعل ذلك إبراهيم غ وذلك حين خلصه الله من النار (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي) أي: مهاجر من بلد قومي ومولدي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي فإنه (سَيَهْدِينِ) ﴿٩٩﴾ فيما نويت إلى الصواب.

**س: وضع معنى قوله: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) ﴿١٠٠﴾.**

ج: المعنى - والله أعلم - أن إبراهيم غ، وكان لا يولد له قبل ذلك، لما قرر الهجرة إلى ربه ٥ سأل ربه ولداً صالحاً يكون أنيساً، فقال: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) ﴿١٠٠﴾ أي: ولداً ويكون من أهل الصلاح والفضل.

قال الطبري \$:

وقوله: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) ﴿١٠٠﴾ وهذه مسألة إبراهيم ربه أن يرزقه ولداً صالحاً؛ يقول: قال: يا رب هب لي منك ولداً يكون من الصالحين الذين يطيعونك، ولا يعصونك، ويصلحون في الأرض، ولا يفسدون.

وقال: من الصالحين، ولم يقل: صالحاً من الصالحين، اجتزاء بمن ذكر المتروك، كما قال ٥: (وَكَاثُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) ﴿٢٠﴾ [يوسف: ٢٠] بمعنى زاهدين من الزاهدين.

وقال ابن كثير \$:

(إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ) ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ يعني: أولاداً مطيعين عوضاً من قومه وعشيرته الذين فارقهم.



س: كيف قيل في الغلام إنه: (حَلِيمٌ ١٠١) وفي الصغر لا يُعرف حِلْمٌ من عدمه؟

ج: قال القرطبي \$:

أي: أنه يكون حليماً في كبره فكأنه بُشِّرَ ببقاء ذلك الولد؛ لأن الصغير لا يوصف بذلك فكانت البشرية على السنة الملائكة.



س: هل بشر إبراهيم غ أكثر من مرة، وكل مرة ببشارة تختلف عن الأولى؟

ج: ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم، فقالوا:

البشارة الأولى: بشارة بإسماعيل □.

البشارة الثانية: بشارة بإسحاق □.

البشارة الثالثة: بشارة بأن إسحاق غ سيكون نبياً.

أما عن أدلة هذه الأقوال.

فأدلة البشارة الأولى: (بإسماعيل غ) - وهذا عند فريق من العلماء،

فهي قوله تعالى: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ١٠١).

والبشارة الثانية: (بإسحاق غ) دليلها: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ١٠١)، وقوله

تعالى: (وَأَمْرَأَتُهُ قَابِئَةُ فَضَحِكَةٍ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ٧١) [هود: ٧١].

والبشارة الثالثة: بأن إسحاق سيكون نبياً، دليلها: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ

الصَّالِحِينَ ١١٣).

مع أن بعض المذكور فيه بعض الخلاف، سيأتي بيانه إن شاء الله.



قصة الذبيح

س: وضح معنى قوله تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ).

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: فلما قوي إسماعيل غ واستطاع العمل مع والده إبراهيم غ وانتفع به أبوه.

فالسعي هنا سعي إبراهيم غ، أي: فلما استطاع إسماعيل غ أن يساعد أباه في عمله.

الثاني: أن السعي سعي إسماعيل غ، والمعنى فلما استطاع إسماعيل غ أن يسعى ويمشي وتقوى على ذلك، أي: فلما مشى مع إبراهيم غ.



س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي أخرجه ابن أبي حاتم وغيره من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رؤيا الأنبياء في المنام وحي»؟

ج: أما الحديث فضعيف الإسناد لا يثبت عن رسول الله ﷺ، فرواية سماك عن عكرمة ضعيفة مضطربة. وفي الحديث عللٌ آخر.

أما عن رؤيا الأنبياء، وهل هي وحي أم لا؟

فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن رؤيا الأنبياء وحي، وذلك لقول الخليل إبراهيم غ لولده: (يَبْنِيْ اِيَّيْ اَرَى فِي الْمَنَامِ اَنِّيْ اَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى).

وقول ولده له: (يَتَّابِتْ اَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ (١٢٠) ...).

ولقوله تعالى: (لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُوْلُهُ اَلرَّءْيَا بِالْحَقِّ لَنَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ اِنْ شَاءَ

اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ^١ [الفتح: ٢٧]. وعند البخاري في حديث صلح الحديبية الطويل أن عمر قال لرسول الله ﷺ: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتكم أنا نأتيه العام؟» قال: «لا». قال (أي رسول الله ﷺ): «فإنك آتيه ومطوف به»^(١).

وقد تحققت هذه الرؤيا بفضل الله.

هذا، وقد صح عن قتادة^(٢) عند الطبري أنه قال: رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا في المنام شيئاً فعلوه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣): ورؤيا الأنبياء وحيٌّ فإنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة^(٤) ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل ن بالرؤيا، وأما رؤية غيرهم فتعرض على الوحي فإن وافقته وإلا لم يعمل بها.

هذا، وقد ذهب بعض العلماء إلى أنه ليست كل رؤيا للأنبياء وحيٌّ مستدلين بحديث^(٥) عائشة ف قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «أريتكم في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حرير، فقال لي: هذه امرأتك فكشفت وجهك فإذا أنت هي، فقلت: إن يك من عند الله يمضه».



(١) البخاري (٢٧٣١).

(٢) الطبري (٧٨/٢٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٠/٤).

(٤) دعوى الاتفاق فيها نظر.

(٥) البخاري (٥١٢٥).

س: وضع معنى قول الخليل إبراهيم غ: (يُبَيِّنُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَى).

ج: هذا من إبراهيم غ يُعد توطئة لولده إسماعيل على قبول الأمر الذي هو من الله ٥، وأيضًا اختبارًا لصبر إسماعيل غ ولجلادته يقول له أبوه: يا بني إني رأيت رؤيا منامية أني أذبحك، فما رأيك في هذا؟

قال الطبري \$:

وقوله: (كَالْيُبَيِّنِ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ) يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم خليل الرحمن لابنه: (يُبَيِّنُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ) وكان فيما ذكر أن إبراهيم أنذر حين بشرته الملائكة بإسحاق ولدًا أن يجعله إذا ولدته سارة لله ذبيحًا؛ فلما بلغ إسحاق مع أبيه السعي أري إبراهيم في المنام، فقيل له: أوف لله بنذرك، ورؤيا الأنبياء يقين، فلذلك مضى لما رأى في المنام، وقال له ابنه إسحاق ما قال.



س: هل كان إبراهيم □ متوقفًا في ذبح ولده حتى يعطيه ولده القرار إذ قال: (يُبَيِّنُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ)؟

ج: الظاهر - والله أعلم - أنه لم يكن متوقفًا على رأي ولده وقراره، وإنما أراد أن يختبر صبر ولده، وكذا أراد لولده أن يثاب باستسلامه لأمر الله ٥، وذلك بدليل قوله تعالى: (وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَتَّبِعْهُ إِسْمَاعِيلُ ۖ فَدَصَّدَ الرُّءْيَا).

قال الطبري \$:

فإن قال قائل: أو كان إبراهيم يؤامر ابنه في المضي لأمر الله، والانتهاه إلى طاعته؟ قيل: لم يكن ذلك منه مشاورة لابنه في طاعة الله،

ولكنه كان منه ليعلم ما عند ابنه من العزم: هل هو من الصبر على أمر الله على مثل الذي هو عليه، فيسر بذلك أم لا وهو في الأحوال كلها ماض لأمر الله.

وقوله: (قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) يقول تعالى ذكره: قال إسحاق لأبيه: يا أبت أفعَل ما يأمرُك به ربك من ذبحي. (سَجِدْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾) يقول: ستجدني إن شاء الله صابرا من الصابرين لما يأمرنا به ربنا، وقال: (أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ)، ولم يقل: ما تؤمر به، لأن المعنى: أفعَل الأمر الذي تؤمره، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (إني أرى في المنام أفعَل ما أمرت به).

وقال ابن كثير \$:

وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله وطاعة أبيه.

(قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) أي: امض لما أمرك الله من ذبحي، (سَجِدْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾) أي: سأصبر وأحتسب ذلك عند الله ٥. وصدق، صلوات الله وسلامه عليه، فيما وعد؛ ولهذا قال الله تعالى: (وَأَذْكُرِي الْكِتَابَ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾)

[مريم: ٥٤-٥٥]



س: في قول إسماعيل غ لأبيه (يَتَابَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) تذكير بطاعة الله،

وضحه.

ج: إيضاحه أن إسماعيل غ حث أباه على امتثال أمر الله ٥، فقال له: يا أبت أفعَل ما يأمرُك الله به، فضلاً عن كونه استسلاماً لأمر الله ٥ فإنه

أيضاً حثُّ للأب على الصبر وتذكيرُ له بالامتنال لأمر الله.
فهي أسرة كريمة مكرمة، وهكذا إسماعيل غ، وتلك أمه هاجر التي
قالت لإبراهيم حين تركها وولدها إسماعيل عند البيت الحرام: «اللَّهُ أَمْرُكَ
بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا!!».



**س: اذكر ما يبين أن إسماعيل غ وفي بما قال: (سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّابِرِينَ ١٠٢).**

ج: الدليل على ذلك قوله تعالى: (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ١٠٣)...
*** وقوله تعالى: (وَلِإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ٨٥).**

[الأنبياء: ٨٥]

*** وقوله تعالى في شأن إسماعيل غ: (إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥٤)
وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ٥٥) [مریم: ٥٤ - ٥٥].**



**س: وضع معنى قوله تعالى: (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ١٠٣) وَتَدَبَّرْهُ أَنْ يَتَّيْرَهُمْ
١٠٤ قَدْ صَدَقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٠٥) إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلَتُوا الْمَيِّتُ ١٠٦).**

**ج: المعنى - والله تعالى أعلم - فلما استسلم إبراهيم غ واستسلم ولده
إسماعيل غ لأمر ربه ٥ ورضيا بما قضاه الله وقدره وأمر به وأضجع
إبراهيم غ ولده إسماعيل على الأرض ووجهه على الأرض حينئذ ناداه
ربه ٥ أن يا إبراهيم (قَدْ صَدَقْتَ الرُّيَا) قد امتثلت ما أمرت به في رؤياك.
(إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٠٥) أي: كذلك نوفق المطيعين لنا كما وفقناك**

لمزيدٍ من طاعتنا وامتنال أمرنا نوفق من أطاعنا وامتنل أمرنا ونجازيه.

وقال بعض أهل العلم: إن المعنى: (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾) حاصل معناه، وكما جازيناك بإكرامك بالذبح العظيم تفدياً لولدك وأنجيناك من هذه الشدة وذاك الكرب الذي كنت فيه، فإننا أيضاً نجازي أهل الإحسان على الدوام فنكافؤهم على ما أطاعونا.

إن هذا لهو البلاء المبين، قيل: الاختبار الشديد المظهر لحقائق ما عليه الأشخاص، وقيل: إن هذا هو النعيم، وإن هذه لهي النعمة العظيمة عليك، وقد تأتي كلمة البلاء على المعنيين؛ كما قال تعالى: (وَلِيُبَيِّنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلََاءٌ حَسَنًا) [الأنفال: ١٧].

وهذه بعض أقوال العلماء في المسألة.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: فلما أسلما أمرهما الله وفوضاه إليه واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: (فَلَمَّا أَسْلَمَا) قال: أسلم هذا نفسه لله، وأسلم هذا ابنه لله.

وقوله: (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾) يقول: وصرعه للجبين، والجبينان ما عن يمين الجبهة وعن شمالها، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾) أى وكبه لفيه وأخذ الشفرة (وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَتَابَرَهُمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّيَا) حتى بلغ (وَفَدَيْتُهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾).

وقوله: (وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَتَابَرَهُمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّيَا) وهذا جواب قوله: (فَلَمَّا

أَسْلَمًا) ومعنى الكلام: فلما أسلما وتله للجبين، وناديناها أن يا إبراهيم؛ وأدخلت الواو في ذلك كما أدخلت في قوله: (حَقَّ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوُهَا) [الزمر: ٧٣]، وقد تفعل العرب ذلك فتدخل الواو في جواب فلما، وحتى وإذا تلقياها.

ويعني بقوله: (قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا) التي أريناكها في منامك بأمرناك بذبح ابنك.

وقوله: (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يقول: إنا كما جزيناك بطاعتنا يا إبراهيم، كذلك نجزي الذين أحسنوا، وأطاعوا أمرنا، وعملوا في رضانا.

وقوله: (إِن هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) يقول تعالى ذكره: إن أمرنا إياك يا إبراهيم بذبح ابنك إسحاق، لهو البلاء، يقول: لهو الاختبار الذي يبين لمن فكر فيه أنه بلاء شديد ومحنة عظيمة. وكان ابن زيد يقول: البلاء في هذا الموضع الشر وليس باختبار.

وأورد الطبري بسند صحيح إلى ابن زيد، في قوله: (إِن هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) قال: هذا في البلاء الذي نزل به في أن يذبح ابنه. (صَدَقْتَ الرَّؤْيَا): ابتليت ببلاء عظيم أمرت أن تذبح ابنك، قال: وهذا من البلاء المكروه وهو الشر وليس من بلاء الاختبار.

وقال ابن كثير \$:

قال الله تعالى: (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) أي: فلما تشهدا وذكرنا الله تعالى إبراهيم على الذبح والولد على شهادة الموت. وقيل: (أَسْلَمَا)، استسلما وانقادا؛ إبراهيم امتثل أمر الله، وإسماعيل طاعة الله وأبيه. قاله مجاهد، وعكرمة والسدي، وقتادة، وابن إسحاق، وغيرهم.

ومعنى (وَلِلَّهِ لِلْجَبِينِ ١٣) أي: صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه، ولا يشاهد وجهه عند ذبحه، ليكون أهون عليه.

وقال:

وقوله تعالى: (وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَتَّبِعْنِي ١٤) فَصَدَقَتِ الرُّيَا (أي: قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح).

وقال:

وقوله: (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٥) أي: هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد، ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا، كقوله تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ٣ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ٤) [الطلاق: ٢-٣].

وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل، خلافاً لطائفة من المعتزلة، والدلالة من هذه ظاهرة، لأن الله تعالى شرع لإبراهيم ذبح ولده، ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء، وإنما كان المقصود من شرعه أولاً إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك؛ ولهذا قال تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَّ الْبَتِّ ١٦) أي: الاختبار الواضح الجلي؛ حيث أمر بذبح ولده، فسارع إلى ذلك مستسلماً لأمر الله، منقاداً لطاعته؛ ولهذا قال تعالى: (وَلِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ٣٧) [النجم: ٣٧].

وقال القرطبي \$:

السادسة: قوله تعالى: (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٥) أي نجزيهم بالخلاص من الشدائد في الدنيا والآخرة.

(إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَلْبَتَأُ الْمُنِئ) أي النعمة الظاهرة يقال: أبلاه الله إبلاء وبلاء إذا أنعم عليه وقد يقال بلاء قال زهير:

فأبلاهما خير البلاء الذي يبلى

فزعم قوم أنه جاء باللغتين.

وقال آخرون: بل الثاني من بلاء يبلىه إذا اختبره ولا يقال من الاختبار إلا بلاء يبلىه ولا يقال من الابتلاء يبلىه وأصل هذا كله من الاختبار أن يكون بالخير والشر قال الله ٥: (وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) [الأنبياء: ٣٥] وقال أبو زيد هذا من البلاء الذي نزل به في أن يذبح ابنه قال: وهذا من البلاء المكروه.



س: ما موضع الواو في قوله تعالى: (وَنَذَيْنَهُ)؟

ج: أجاب القرطبي على ذلك بقوله:

(وَنَذَيْنَهُ) والواو زائدة مقحمة كقوله: (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُمُتِ وَأَوْحَيْنَا) [يوسف: ١٥] أي أوحينا وقوله: (وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) [الأنبياء: ٩٦-٩٧] أي اقترب وقوله: (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ) [الزمر: ٧٣] أي قال لهم وقال امرؤ القيس:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحي



الذبيح من هو؟

س: الغلام الذي فُدي بذبح عظيم، هل هو إسماعيل غ؟ أم أنه إسحاق غ؟

ج: في هذه المسألة خلاف بين أهل العلم، ويبدو - والله أعلم - على ما تشهد له الأدلة أنه إسماعيل □.

أما بشيء من التفصيل، فأقول - وبالله التوفيق -:

ابتداءً: تنبيهات:

أولاً: لم يثبت في هذا الباب خبرٌ صحيح عن رسول الله □.

والحديث الذي هو «أنا ابن الذبيحين» متكلم فيه.

ثانياً: وأيضاً فالآيات لم يُنص فيها على تحديد اسم الذبيح، وإنما فهم من مضمونها ما فهم.

ثالثاً: لم يتفق الصحابة فيما بينهم على شيء، ثم إن كثيراً من الأسانيد إليهم فيها ضعف.

رابعاً: نحن كمسلمين والله الحمد نعتقد تمام الاعتقاد ونؤمن تمام اليقين أن كلاً من إسماعيل وإسحاق ن له فضل، فكلاهما نبي كريم.

ثم هذا شيء من التفصيل:

بعض أدلة القائلين بأن الذي فُدي بذبح عظيم هو إسماعيل غ:

أولاً: تقدم إسماعيل غ في الذكر الحكيم كتقدمه في ثناء إبراهيم غ على ربّه ٥ وحمده له بقوله: (اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) [إبراهيم: ٣٩].

*** وكذا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾**

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ (النساء: ١٦٣)، وفي قول يعقوب غ لبنيه: (مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا) [البقرة: ١٣٣].

ثانيًا: أن امرأة إبراهيم غ (وهي سارة ز) لما بُشِّرَتْ بإسحاق بشرت معه بـيعقوب ن، فلم تكن لتبشر بحفيد ثم يؤمر بذبح ولد الابن الذي منه الحفيد قبل أن يتزوج هذا الابن؟

فمن أين يتأتى الحفيد؟ وقد ذبح أبوه وهو غلام!!؟

أما كونها بشرت بهما معًا ففي قوله تعالى: (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾) [هود: ٧١].

فلا يتصور أن يبشر الشخص بولد وحفيد من هذا الولد ثم يؤمر بذبح الولد قبل أن يتزوج!!

ثالثًا: إن سياق الآيات التي معنا في هذه السورة المباركة سورة الصافات دعا إبراهيم غ (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾) فبشر كما قال تعالى: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) أي: مع هذا الغلام الحليم، (قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ...) ثم بعد ذلك قال تعالى: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾)، وهذا في السياق بعد ذكر الغلام الحليم وما كان من شأنه في القصة.

أما قول من قال: إنه نبئ بعد ذلك، أي: أن الذبيح عنده هو إسحاق ثم بشر إبراهيم بأن ولده إسحاق سيكون نبياً، فقول بعيد.

فقوله: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا)، المراد منه - والله أعلم -: أن ذلك في أصل البشرى بإسحاق وأنه سيولد.

رابعًا: أن الغلام الذي أمر إبراهيم غ بذبحه، قال لأبيه إبراهيم غ: (سَجِدْ لِي فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿١٠٢﴾)، وقد كان ذلك في شأن إسماعيل غ، ووصف إسماعيل غ بذلك، إذ الله قال: (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٨٥﴾) [الأنبياء: ٨٥].

بعض استدلالات القائلين بأن الذي فُدي بذبح عظيم هو إسحاق غ:

*** أقوى استدلال لهذا الفريق من العلماء هو:** أن إبراهيم غ لما قرر ترك بلاد الكفر: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾) بُشِّرَ بالغلام الحليم في قوله تعالى: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾)، فبالنظر إلى ذلك وإلى قوله تعالى في سورة مريم: (فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْزُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾) [مريم: ٤٩]، يتضح أن الذي بشر به بعد اعتزال قومه هو إسحاق ويعقوب، وكذا قوله تعالى في سورة العنكبوت: (فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦١﴾) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ) [العنكبوت: ٢٦-٢٧] قد يفهم منه أنه رزق بهما بعد هجرته.

هذا فيما أرى أقوى استدلال للقائلين بأن الذي فُدي بذبح عظيم هو إسحاق غ.

وأقول - وبالله التوفيق - إن هذا الاستدلال يمكن توجيهه بأن يقال: نعم إن إبراهيم بُشِّرَ بإسحاق ويعقوب ث بعد هجرته، ولا نختلف في ذلك، ولكن الأمر بعد الهجرة واسع.

فيمكن أن يقال: إن إبراهيم لما هاجر بشر بالغلام الحليم إسماعيل غ (من هاجر) وبُشِّرَ أيضًا بعدها بإسحاق (من سارة) والله أعلم.

هذا، وقد وردت بعض الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم في

هذا الصدد، أذكر منها أهم ما أورده الإمام الطبري رحمه الله تعالى معلقاً عليه بإذن الله.

قال الطبري \$:

وقوله: (وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾) يقول: وفدينا إسحاق بذبح عظيم، والفدية: الجزاء، يقول: جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم، وأنقذناه من الذبح.

واختلف أهل التأويل، في المفدي من الذبح من ابني إبراهيم، فقال بعضهم: هو إسحاق.

* وأورد الطبري بإسنادين فيهما ضعف^(١) **عن العباس بن عبد المطلب ؓ:** (وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾) قال: هو إسحاق.

* وأورد بسند صحيح عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: الذي أمر بذبحه إبراهيم هو إسحاق.

قلت: وهذا مخالف لما هو أثبت وأصح وأوثق عن ابن عباس من طرق متعددة من أن الذبيح هو إسماعيل غ.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن الأحوص، قال: افتخر رجل عند ابن مسعود، فقال: أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله^(٢): ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله. وأبو الأحوص هو عوف بن مالك، وهو ثقة.

(١) أما الإسناد الأول، ففيه يحيى بن يمان، وهو ضعيف، وكذا فيه مبارك بن فضالة، وفيه كلام، والحسن البصري مدلس، وقد عنعن.
والسند الثاني: فيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.
(٢) وعبد الله هو ابن مسعود.

* وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح أن كعباً^(١) قال لأبي هريرة: ألا

أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبي؟ قال أبو هريرة: بلى، قال كعب: لما رأى إبراهيم ذبح إسحاق، قال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن أحدا منهم أبداً، فتمثل الشيطان لهم رجلاً يعرفونه، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة امرأة إبراهيم، فقال لها: أين أصبح إبراهيم غاديا بإسحاق؟ قالت سارة: غدا لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله ما لذلك غدا به، قالت سارة: فلم غدا به؟ قال: غدا به ليذبحه! قالت سارة: ليس من ذلك شيء، لم يكن ليذبح ابنه! قال الشيطان: بلى والله! قالت سارة: فلم يذبحه؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك؛ قالت سارة: فهذا أحسن بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك. فخرج الشيطان من عند سارة حتى أدرك إسحاق وهو يمشي على إثر أبيه، فقال: أين أصبح أبوك غاديا بك؟ قال: غدا بي لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله ما غدا بك لبعض حاجته، ولكن غدا بك ليذبحك، قال إسحاق: ما كان أبي ليذبحني! قال: بلى؛ قال: لم؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك؛ قال إسحاق: فوالله لئن أمره بذلك ليطيعه، قال: فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم، فقال: أين أصبحت غادياً بابنك؟ قال: غدوت به لبعض حاجتي، قال: أما والله ما غدوت به إلا لتذبحه، قال: لم أذبحه؟ قال: زعمت أن ربك أمرك بذلك؛ قال: الله فوالله لئن كان أمرني بذلك ربي لأفعلن؛ قال: فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلم إسحاق، أعفاه الله وفداه بذبح عظيم، قال

(١) وكعب هو كعب الأخبار مكثر من رواية الإسراييليات، وفيما يبدو أن هذا منها، والسند إلى كعب صحيح، لكن ما قاله كعب غالب ظني أنه متلقى من الإسراييليات، والله أعلم.

إبراهيم لإسحاق: قم أي بني، فإن الله قد أعفاك؛ وأوحى الله إلى إسحاق: إني قد أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها؛ قال إسحاق: اللهم إني أدعوك أن تستجيب لي، أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً، فأدخله الجنة.

وأورد الطبري آثاراً أخر في هذا الصدد يبين أن الذبيح إسحاق، وفيها مقال. ثم قال:

وقال آخرون: الذي فدي بالذبح العظيم من بني إبراهيم إسماعيل.

* وأورد بإسناد ضعيف عن ابن عمر قال: الذبيح إسماعيل.

* وأورد بأسانيد قوية متعددة عن ابن عباس.

تصح^(١) بلا ريب عنه: (وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧)) قال إسماعيل: وفي بعض الروايات عن ابن عباس: المفدَى إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق، وكذبت اليهود.

* **وأورد بإسناد صحيح عن الشعبي أنه قال: (وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧))** قال: هو إسماعيل، قال: وكان قرنا الكبش منوطين بالكعبة.

وأورد بإسناد صحيح عن الحسن (وهو البصري) قال: هو إسماعيل.

وأورد جملة أسانيد أخر في هذا الصدد.

واختار الطبري \$ أن الذبيح هو إسحاق.

وإن كنت لا أوافقه على هذا الاختيار وقد خالفه كثيرون من أهل العلم، إلا أنني أورد قول الطبري وقول غيره من أهل العلم.

قال الطبري \$:

(١) ومنها الصحيح في غاية الصحة استقلالاً، ومنها ما في سنده مقال ويشهد له غيره.

وأولى القولين بالصواب في المفدي من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو إسحاق، لأن الله قال: (وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾) فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم حين سألته أن يهب له ولدا صالحا من الصالحين، فقال: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٨﴾) فإذا كان المفدي بالذبح من ابنه هو المبشر به، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بشر به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال جل ثناؤه: (فَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾) [هود: ٧١]، وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشير إياه بولد، فإنما هو معني به إسحاق، كان بينا أن تبشير إياه بقوله: (فَبَشِّرْنَاهُ بِعُلَمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠٩﴾) في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن.

وبعد: فإن الله أخبر جل ثناؤه في هذه الآية عن خليله أنه بشره بالغلام الحليم عن مسألته إياه أن يهب له من الصالحين، ومعلوم أنه لم يسأله ذلك إلا في حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين، لأنه لم يكن له من ابنه إلا إمام الصالحين، وغير موهوم منه أن يكون سأل ربه في هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له. فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذي ذكر تعالى ذكره في هذا الموضع هو الذي ذكر في سائر القرآن أنه بشره به وذلك لا شك أنه إسحاق، إذ كان المفدي هو المبشر به. وأما الذي اعتل به من اعتل في أنه إسماعيل، أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابن ابن، فلم يكن جائزا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي قد تقدم؛ فإن الله إنما أمره بذبحه بعد أن بلغ معه السعي، وتلك حال غير ممكن أن يكون قد ولد لإسحاق فيها أولاد، فكيف الواحد؟ وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع

قصة المفدي من ولد إبراهيم بقوله: (وَبَشَّرْتُهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا) ولو كان المفدي هو إسحاق لم يبشر به بعد، وقد ولد، وبلغ معه السعي، فإن البشارة بنبوة إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فدي تكربة من الله له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح، وقد تقدمت الرواية قبل عمن قال ذلك. وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقا في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حمل من الشام إلى مكة. وقد روي عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه إسحاق بالشام، وبها أراد ذبحه.

قلت: وهذه طائفة أخرى من أقوال العلماء.

قال الحافظ ابن كثير \$:

قال الله تعالى: (فَبَشَّرْتُهُ بِإِسْمَاعِيلَ حَلِيمٍ) وهذا الغلام هو إسماعيل غ، فإنه أول ولد بشر به إبراهيم، غ، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل في نص كتابهم أن إسماعيل وَلَدَ لإبراهيم، غ، ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعمر إبراهيم تسع وتسعون سنة. وعندهم أن الله تعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيد، وفي نسخة: بكره، فأقحموا هاهنا كذباً وبهتاناً «إسحاق»، ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم، وإنما أقحموا «إسحاق» لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، فزادوا ذلك وحرّفوا وحيدك، بمعنى الذي ليس عندك غيره، فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى جنب مكة وهذا تأويل وتحريف باطل، فإنه لا يقال: «وحيد» إلا لمن ليس له غيره، وأيضا فإن أول ولد له معزة ما ليس لمن بعده من الأولاد، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار.

وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضاً، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تُلقَى إلا عن أخبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة. وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) (١١٢). ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: (إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) [الحجر: ٥٣]. وقال تعالى: (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ) (٧١) [هود: ٧١]، أي: يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل. وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير؛ لأن الله قد وعدهما بأنه سيعقب، ويكون له نسل، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً، وإسماعيل وصف هاهنا بالحليم؛ لأنه مناسب لهذا المقام.

وقال الحافظ ابن كثير \$ أيضاً:

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل \$: سألت أبي عن الذبيح، من هو؟ إسماعيل أو إسحاق؟ فقال: إسماعيل. ذكره في كتاب الزهد.

وقال ابن أبي حاتم: وسمعت أبي يقول: الصحيح أن الذبيح إسماعيل، غ. قال: وروي عن علي، وابن عمر، وأبي هريرة، وأبي الطفيل، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، والشعبي، ومحمد بن كعب القرظي، وأبي جعفر محمد بن علي، وأبي صالح أنهم قالوا: الذبيح إسماعيل.

وقال البغوي في تفسيره: وإليه ذهب عبد الله بن عمر، وسعيد بن

المسيب، والسدي، والحسن البصري، ومجاهد، والربيع بن أنس، ومحمد بن كعب القرظي، والكلبي، وهو رواية عن ابن عباس، وحكاها أيضا عن أبي عمرو بن العلاء.

وجنح القرطبي إلى أن الذبيح إنما هو إسحاق غ، ونقل ذلك عن الأكثر، وقال: ... وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى، ... وقال: وهذا القول أقوى في النقل عن النبي □ وعن الصحابة والتابعين.

قلت (مصطفى): أما عن رسول الله □ فلم يصح عنه في الباب خبر، أما الآثار فقد تقدمت الإشارة إليها.

ثم قال القرطبي \$ مُدْعَمًا ما جنح إليه من أن الذبيح إسحاق، ومُفَنَّدًا الأقوال الأخر:

واحتجوا بأن الله ٥ قد أخبر عن إبراهيم حين فارق قومه فهاجر إلى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط فقال: (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّ سَيِّدِينَ) **[الصفافات: ٩٩]** أنه دعا فقال: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) فقال تعالى: (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) **[مريم: ٤٩]** ولأن الله قال: (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) فذكر أن الفداء في الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم وإنما بشر بإسحاق لأنه قال: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ) وقال هنا: (تُعَلِّمُ حَلِيمٍ) وذلك قبل أن يتزوج هاجر وقبل أن يولد له إسماعيل وليس في القرآن أنه بشر بولد إلا إسحاق احتج من قال إنه إسماعيل: بأن الله تعالى وصفه بالصبر دون إسحاق في قوله تعالى: (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ) **[الأنبياء: ٨٥]** وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله: (إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) **[مريم: ٥٤]** لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به

ولأن الله تعالى قال: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا) فكيف يأمره بذبحه وقد وعده أن يكون نبياً وأيضاً فإن الله تعالى قال: (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) (٧١) | **هود: ٧١** | فكيف يؤمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب وأيضاً ورد في الأخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة فدل على أن الذبيح إسماعيل ولو كان إسحاق لكان الذبح يقع ببית المقدس وهذا الاستدلال كله ليس بقاطع أما قولهم: كيف يأمره بذبحه وقد وعده بأن يكون نبياً فإنه يحتمل أن يكون المعنى: وبشرناه بنبوته بعد أن كان من أمره ما كان قاله ابن عباس وسيأتي ولعله أمر بذبح إسحاق بعد أن ولد لإسحاق يعقوب ويقال: لم يرد في القرآن أن يعقوب يولد من إسحاق وأما قولهم: ولو كان الذبيح إسحاق لكان الذبح يقع ببית المقدس فالجواب عنه ما قاله سعيد بن جبير على ما تقدم وقال الزجاج: الله أعلم أيهما الذبيح وهذا مذهب ثالث.

س: ما هذا الذبح العظيم الذي فُدي به هذا الغلام الحليم؟

ج: ذهب أكثر أهل العلم إلى أنه كبش.

وقد صحَّ ذلك عن ابن عباس ؓ من وجوه متعددة عنه أخرجها الطبري وغيره.

ومما أورده الطبري طريق ابن خثيم (وهو عبد الله بن عثمان بن خثيم) عن سعيد عن ابن عباس قال: الكبش الذي ذبحه إبراهيم ؑ هو الكبش الذي مرَّ به ابن آدم فَنُقِلَ منه.

ولا أرى عبد الله بن عثمان يتحمل مثل هذا المتن ولم يوافق عبد الله بن عثمان عليه.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَتَرْكَنَّا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) (١٠٨).

ج: المعنى - والله أعلم - وتركنا على إبراهيم غ ثناءً حسناً في الأمم التي جاءت من بعده.

قال الطبري \$: وأبقينا عليه فيمن بعده إلى يوم القيامة ثناءً حسناً.

وفي رواية: أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَتَرْكَنَّا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) قال: سأل إبراهيم، فقال: (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) (٨٤) **[الشعراء: ٨٤]** قال: فترك الله عليه الثناء الحسن في الآخرين، كما ترك اللسان السوء على فرعون وأشباهه كذلك ترك اللسان الصدق والثناء الصالح على هؤلاء.



س: وضع معنى قوله تعالى: (سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) (١٠٩).

ج: هذا - والله أعلم - معناه - سلامٌ من الله هـ على إبراهيم الخليل غ، فالناس وإن أثنوا عليه فثناء الله عليه أجمل وأحسن، أمانٌ من الله هـ على إبراهيم غ.

قال الطبري \$:

وقوله: (سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) (١٠٩) يقول تعالى ذكره: أمنة من الله في الأرض لإبراهيم أن لا يذكر من بعده إلا بالجميل من الذكر.

ومن العلماء من ذكر وجهاً آخر حاصله: (وَتَرْكَنَّا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) (١٠٨) أنه يُقال: سلام على إبراهيم.

أي: أن الآخرين (الأمم التي تأتي من بعده تقول: سلام على إبراهيم)،
والأول أولى، والله أعلم.



س: وضع معنى قوله تعالى: (كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾)

ج: المعنى - والله أعلم - وكما جزينا إبراهيم غ بالثناء الحسن بعد موته، وكما أكرمناه بالذي أكرمناه به، فإننا نكرم كل محسن.
أما قوله: (إِنَّهُ) أي: إبراهيم غ (مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾) المصدقين بوجدانيتنا المقرين بها الموقنين بها.

قال الطبري \$:

وقوله: (كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾) يقول: كما جزينا إبراهيم على طاعته إيانا وإحسانه في الانتهاء إلى أمرنا، كذلك نجزي المحسنين (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾) يقول: إن إبراهيم من عبادنا المخلصين لنا الإيمان.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾)

ج: المعنى - والله أعلم - وبشرنا إبراهيم غ لإيمانه وصدقه وصبره وثباته بأن جعلنا ولده إسحاق غ نبياً صالحاً كما قال تعالى في شأن موسى غ، (وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٢﴾) [مريم: ٥٣].

وكذا فإننا قد باركنا على إبراهيم وعلى إسحاق بأن جعل الخير فيهما والنبوة في ذريتهما، فالأنبياء من بعد إبراهيم غ من ذريته، وكل من بعد

إسحاق من الأنبياء إنما هو من ذرية إسحاق إلا رسول الله محمد ﷺ فإنه من ذرية إسماعيل غ، أما سائر ذرية إسحاق فمنها المحسن ومنها الظالم لنفسه.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وبشرنا إبراهيم بإسحاق نبياً شكراً له على إحسانه وطاعته.

وقوله: (وَبَشَرْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ) يقول تعالى ذكره: وباركنا على إبراهيم وعلى إسحاق (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ) يعني بالمحسن: المؤمن المطيع لله، المحسن في طاعته إياه (وَزَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مٌبِيتٌ ١١٣) ويعني بالظالم لنفسه: الكافر بالله، الجالب على نفسه بكفره عذاب الله وأليم عقابه (مُبِيتٌ ١١٣): يعني الذي قد أبان ظلمه نفسه بكفره بالله.

هذا، وقد أورد الطبري توجيهات وأقوال العلماء الذين يرون أن الذبيح إسحاق حاصلها أنه - أي إبراهيم غ - أكرم، وأكرم ولده إسحاق غ بعد أن استسلما لأمر الله ٥، أكرم إسحاق بأن جعله الله نبياً، وأكرم إبراهيم بأن جعل الله ولده نبياً.

وقد قدمت من الذبيح بما فيه كفاية، والله أعلم.
والظاهر لي - والله أعلم - أن هذا مزيد إكرام لإبراهيم غ، بعد أن استسلم هو وإسماعيل ن لأمر الله ولقضائه، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وقوله: (وَبَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ١١٣)، لما تقدمت البشارة بالذبيح - وهو إسماعيل - عطف بذكر البشارة بأخيه إسحاق، وقد ذكرت في سورتي

(هود) و(الحجر).

وقوله: (يَبَيِّنَا) حال مقدرة، أي: سيصير منه نبي من الصالحين.

وقوله: (وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾) كقوله تعالى: (قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾) [هود: ٤٨].

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ) لما ذكر البركة في الذرية والكثرة قال: منهم محسن ومنهم مسيء وأن المسيء لا تنفعه بنوة النبوة فالیهود والنصارى وإن كانوا من ولد إسحاق والعرب وإن كانوا من ولد إسماعيل فلا بُدَّ من الفرق بين المحسن والمسيء والمؤمن والكافر وفي التنزيل (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوْهُ) [المائدة: ١٨] الآية أي أبناء رسل الله فرأوا لأنفسهم فضلاً وقد تقدم.

س: هل يلزم من كون الرجل صالحاً أن يكون ولده صالحاً أيضاً؟

ج: ليس هذا بلازم، فالله ٥ يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، وقد قيل في تفسيرها: يخرج المؤمن من صلب الكافر، والكافر من صلب المؤمن، فإبراهيم غ مؤمن، وأبوه كافر ونوح غ نبي من أولي العزم من الرسل، وابنه كافر.

ولقد قال تعالى في شأن ذرية نوح وإبراهيم ث، (فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٣٦﴾) [الحديد: ٢٦].

وقال في شأن ذرية إبراهيم وإسحاق ث: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ

مُبِينٌ ﴿١١٣﴾).

وقال تعالى: (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ) **[الكهف: ٨٠].**

وقال تعالى: (وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيهِ أَفِ لَكُمْ أَنِّي أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي

وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) **[الأحقاف: ١٧]**

[١٧]، إلى غير ذلك من الأدلة.



ذكر موسى وهارون ث

قال الله تعالى:

(وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَخَيَّرْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ
الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَيِّنَ
﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ ﴿١١٩﴾
سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾) [الصافات: ١١٤-١٢٢]

س: اذكر معنى ما يلي:

(مَنْتًا - الْكَرْبِ الْعَظِيمِ - الْمُسْتَيِّنَ - وَهَدَيْتُهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ).

ج:

معناها	الكلمة
تفضلنا	(مَنْتًا)
العذاب الذي كانوا يلاقونه من فرعون وجنوده - وقيل: الغرق - وقيل: ملاحقة فرعون لهما	(الْكَرْبِ الْعَظِيمِ)
المتبين الواضح - المبين للأحكام والشرائع والأخبار	(الْمُسْتَيِّنَ)
أرشدناهما إلى طريق الحق والصواب ووفقناهما لسلوكه	(وَهَدَيْتُهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)



س: بماذا منَّ الله على موسى وهارون ن؟

ج: منَّ عليهما بأن جعلهما نبيين كريمين وَجِيهَيْن، وجعلهما سبباً لنجاة قومهما من الكرب العظيم، ومنَّ عليهما بنصرهما على عدوهما، وبالكتاب الذي أنزل على موسى غ وبالهداية والتوفيق للإيمان والسداد.



س: ما هذا الكرب العظيم الذي أنجى الله منه موسى وهارون ن

وقومهما؟

هذا الكرب العظيم هو ما كان يلقاه الإسرائيليون من عذاب من قبل آل فرعون، إذ كانوا يقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم.
وقيل: الكرب العظيم: مطاردة فرعون وقومه لهما.

وقيل: الكرب العظيم: الغرق.



س: ما صورة هذا النصر الذي نصر الله ه فيه موسى وهارون ن؟

ج: صورته أن الله ه أغرق بمنه وكرمه وفضله آل فرعون، وأورث القوم الذين كانوا يستضعفون (وهم بنو إسرائيل، ومنهم موسى وهارون ن) مشارق الأرض ومغاربها التي بارك الله فيها.



س: ما وجه الجمع في قوله: (وَنَصَرْنَهُمْ فَكَانُواهُمْ أَغْلِيلِينَ ١١٦)؟

ج: وجهه أنه ه نصرهما وقومهما، فالجمع لموسى وهارون وقومهما، والله أعلم.



س: ما المراد بالكتاب المستبين؟ وما معنى المستبين؟

ج: أما الكتاب المستبين فهو التوراة، أما معنى المستبين: فهو الواضح المبين الظاهر.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ

وَبَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ١١٥) وَنَصَرْنَهُمْ فَكَانُواهُمْ أَغْلِيلِينَ ١١٦) وَأَنبَأْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ ١١٩) سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ١٢٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ١٢٢) .

ج: المعنى إجمالاً، ولقد تفضلنا على موسى وهارون وأكرمناهما

بجعلهما نبيين كريمين، وسلمناهما وقومهما (الذين هم بنو إسرائيل) من الكرب العظيم الذي كانوا يعيشونه من الامتهان والإذلال وقتل الرجال وذبح الأطفال واستحياء النساء، وأتمنا عليهم الفضل بأن أغرقنا فرعون وآله، ونصرنا بني إسرائيل وتفضلنا عليهما (أي على موسى وهارون) بالتوراة التي فيها هدى ونور، يُستضاء بها ويستترشد، ووفقناهما لسلوك الطريق المستقيم المؤدي إلى مرضاة الله ٥ ورضوانه، وتركنا عليهما بعد موتهما ثناءً حسناً في الناس، فأهل الإيمان يثنون عليهما، ومع ذلك فتحية من الله ٥ لهما في الدنيا والآخرة، ووعد بالأمن لهما في الدنيا والآخرة، وهكذا نجازي كل محسن بإكرامه، ثم ختام بشهادة حسنة لموسى وهارون، شهادة من الله لهما بالإيمان والصدق فيه (إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾) فهنيئاً لهما بسلام الله عليهما، وبوصفه الكريم لهما بالإيمان والإحسان. وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري §:

يقول تعالى ذكره: ولقد تفضلنا على موسى وهارون ابني عمران، فجعلناهما نبيين، ونجيناهما وقومهما من الغم والمكروه العظيم الذي كانوا فيه من عبودة آل فرعون، ومما أهلكنا به فرعون وقومه من الغرق.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن السدي أنه قال: (وَجَعَلْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنْ

الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾) من الغرق، **وإسناد حسن عن قتادة:** من آل فرعون.

وقوله: (وَنَصَرْنَاهُمْ) يقول: ونصرنا موسى وهارون وقومهما على

فرعون وآله بتغريقناهم، (فَكَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾) لهم.

وقال في قوله تعالى: (وَأَيِّنَّاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَيْنِ ﴿١١٧﴾):

وأتينا موسى وهارون الكتاب، يعني: التوراة، قال: ويعني بالمستبين: المتبين هدى ما فيه وتفصيله وأحكامه.

وقوله: (وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾) يقول تعالى ذكره: وهدينا موسى وهارون الطريق المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه وهو الإسلام دين الله، الذي ابتعث به أنبياءه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾) الإسلام. **وقوله:** (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْيَرِ ﴿١١٩﴾) يقول: وتركنا عليهما في الآخرين بعدهم الثناء الحسن عليهما.

وقوله: (سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾) يقول: وذلك أن يقال: سلام على موسى وهارون.

وقوله: (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾) يقول: هكذا نجزي أهل طاعتنا، والعاملين بما يرضينا عنهم (إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾) يقول: إن موسى وهارون من عبادنا المخلصين لنا الإيمان.

وقال ابن كثير \$:

يذكر تعالى ما أنعم به على موسى وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه، وما كان يعتمد في حقهم من الإساءة العظيمة، من قتل الأبناء واستحياء النساء، واستعمالهم في أخس الأشياء. ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم، وأقر أعينهم منهم، فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم. ثم أنزل الله على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين، وهو التوراة، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً) [الأنبياء: ٤٨].

وقال هاهنا: (وَأَيَّنَهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَيِّنَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْتُهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾)

أي: في الأقوال والأفعال.

(وَتَرَكْنَاهُمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾) أي: أبقينا لهما من بعدهما ذكراً جميلاً
وثناء حسناً، ثم فسر به بقوله: (سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾).

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٤﴾) لما ذكر إنجاء إسحاق من
الذبح وما من به عليه بعد النبوة ذكر ما من به أيضاً على موسى وهارون
من ذلك وقوله: (مَنْ أَلْكَرِبِ الْعُظِيمِ ﴿١٢٥﴾) قيل: من الرق الذي لحق بني
إسرائيل وقيل: من الغرق الذي لحق فرعون: (وَصَرَّيْنَاهُمْ) قال الفراء:
الضمير لموسى وهارون وحدهما؛ وهذا على أن الاثنين جمع؛ دليله قوله:
(وَأَيَّنَهُمَا) (وَهَدَيْتُهُمَا) وقيل: الضمير لموسى وهارون وقومهما وهذا هو
الصواب لأن قبله (وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا) و(الْكِتَابَ الْمُسْتَيِّنَ ﴿١١٧﴾) التوراة يقال:
استبان كذا أي سار بينا واستباناه فلان مثل تبين الشيء بنفسه وتبينه فلان
(الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾) الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الإسلام
(وَتَرَكْنَاهُمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾) يريد الثناء الجميل (سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾)
إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾) تقدم.



(وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا
وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي
الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾) [الصفات: ١٢٣-١٣٢]

س: **وضح معنى ما يلي:**

(بَعْلًا - اَنْدَعُونَ بَعْلًا - وَتَذَرُونَ - لِمُحْضِرُونَ).

ج:

معناها	الكلمة
صنمًا - إلهًا - ربًّا	(بَعْلًا)
أعبدون صنمًا - أعبدون إلهًا غير الله، وربًّا غير الله	(اَنْدَعُونَ بَعْلًا)
تتركون	(وَتَذَرُونَ)
لمحضرون للعذاب يوم القيامة	(لِمُحْضِرُونَ)



س: **من إلياس غ؟**

ج: **إلياس غ** نبي كريم مرسل أرسله الله ٥ إلى قومه.

وقد قيل: إنه إدريس.

وقيل: إنه إلياس بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، كذا قال الطبري \$، ولا أعلم مستند ذلك.

ونقل الطبري بسند حسن عن قتادة قال: كان يُقال إلياس هو إدريس.

قلت: وكل هذا مما لا دليل عليه، والله أعلم.



س: **من هو إلياسين؟**

ج: **هو إلياس غ.**



س: لماذا زيدت النون في قوله (إِلَٰهَ يَاسِينَ)؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنها لغة قوم من العرب.

الثاني: أنها زيدت لدخول قومه معه، أي: سلام على إلياس وآل إلياس.

الثالث: أنها زيدت لتساوي الآيات.

الرابع: وهو قول ضعيف أن إلياسين هم آل محمد □.

*** وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.**

قال الطبري \$:

واختلفت القراء في قراءة قوله: (سَلَّمَ عَلَىٰ إِيَّاسِينَ) (١٣٠) فقرأته عامة قراء مكة والبصرة والكوفة: (سَلَّمَ عَلَىٰ إِيَّاسِينَ) بكسر الألف من إلياسين، فكان بعضهم يقول: هو اسم إلياس، ويقول: إنه كان يسمى باسمين: إلياس، وإلياسين مثل إبراهيم، وإبراهيم؛ يستشهد على ذلك أن ذلك كذلك بأن جميع ما في السورة من قوله: (سَلَّمَ) فإنه سلام على النبي الذي ذكر دون آله، فذلك إلياسين، إنما هو سلام على إلياس دون آله. وكان بعض أهل العربية يقول: إلياس: اسم من أسماء العبرانية، كقولهم: إسماعيل وإسحاق، والألف واللام منه، ويقول: لو جعلته عربيا من الإلس، فتجعله إفعالا مثل الإخراج، والإدخال أجري؛ ويقول: قال: سلام على إلياسين، فتجعله بالنون، والعجمي من الأسماء قد تفعل به هذا العرب، تقول: ميكال وميكائيل وميكائين، وهي في بني أسد تقول: هذا إسماعين قد جاء، وسائر العرب باللام؛ قال: وأنشدني بعض بني نمير لضب صاده:

يقول رب السوق لما جينا هذا ورب البيت إسرانينا

قال: فهذا كقوله إلياسين؛ قال: وإن شئت ذهبت إلياسين إلى أن تجعله جمعا، فتجعل أصحابه داخلين في اسمه، كما تقول لقوم رئيسهم المهلب: قد جاءكم المهالبة والمهلبون، فيكون بمنزلة قولهم الأشعرين بالتخفيف، والسعدين بالتخفيف وشبهه، قال الشاعر:

أنا ابن سعد سيد السعدينا

قال: وهو في الاثنين أن يضم أحدهما إلى صاحبه إذا كان أشهر منه اسما كقول الشاعر:

جزائي الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجزى بالكرامة

واسم أحدهما: زهدم؛ وقال الآخر:

جزى الله فيها الأعورين ذمامة وفروة ثفر الثورة المتضاجم

واسم أحدهما أعور.

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة: (سَلَّمَ عَلَيَّ إِلَ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾) بقطع آل من ياسين، فكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى: سلام على آل محمد. وذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ قوله: (وإن إلياس) بترك الهمز في إلياس ويجعل الألف واللام داخلتين على (ياس) للتعريف، ويقول: إنما كان اسمه (ياس) أدخلت عليه ألف ولام ثم يقرأ على ذلك: (سَلَّمَ عَلَيَّ إِلَ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾).

والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه: (سَلَّمَ عَلَيَّ إِلَ يَاسِينَ

﴿١٣٠﴾) بكسر ألفها على مثال إدراسين، لأن الله تعالى ذكره إنما أخبر عن كل موضع ذكر فيه نبيا من أنبيائه صلوات الله عليهم في هذه السورة بأن عليه سلاما لا على آله، فكذاك السلام في هذا الموضع ينبغي أن يكون

على إلياس كسلامه على غيره من أنبيائه، لا على آله، على نحو ما بينا من معنى ذلك.

فإن ظن ظان أن إلياسين غير إلياس، فإن فيما حكينا من احتجاج من احتج بأن إلياسين هو إلياس غني عن الزيادة فيه.
مع أن فيما حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي (سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾) قال: إلياس.

قال الطبري أيضاً:

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: (سلام على إدراسين) دلالة واضحة على خطأ قول من قال: عنى بذلك سلام على آل محمد، وفساد قراءة من قرأ: (وإن إلياس) بوصل النون من (إن) بإلياس، وتوجيه الألف واللام فيه إلى أنهما أدخلتا تعريفا للاسم الذي هو ياس، وذلك أن عبد الله كان يقول: إلياس هو إدريس، ويقرأ: (وإن إدريس لمن المرسلين)، ثم يقرأ على ذلك: (سلام على إدراسين)، كما قرأ الآخرون: (سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾) فلا وجه على ما ذكرنا من قراءة عبد الله لقراءة من قرأ ذلك: (سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾) بقطع الال من ياسين. ونظير تسمية إلياس بإل ياسين: (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ﴿٢٠﴾) [المؤمنون: ٢٠] ثم قال في موضع آخر: (وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢١﴾) [التين: ٢] وهو موضع واحد سمي بذلك.

واستفاض القرطبي أيضاً في ذلك فقال:

(سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾) قراءة الأعرج وشيبة ونافع وقرأ عكرمة وأبو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي: (سلام على آل ياسين) وقرأ الحسن: (سلام على آل ياسين) بوصل الألف كأنها ياسين دخلت عليها الألف

واللام التي للتعريف والمراد إلياس غ و عليه وقع التسليم لكنه اسم عجمي والعرب تضطرب في هذه الأسماء الأعجمية ويكثر تغييرهم لها قال ابن جني: العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعبا فياسين وإلياس وإلياسين شيء واحد الزمخشري: وكان حمزة إذا وصل نصب وإذا وقف رفع وقرأ: (عَلَىٰ إِلَاسِيْنَ) و(إِدْرِيسِيْنَ) و(إِدْرِيسِيْنَ) و(إِدْرِاسِيْنَ) على أنها لغات في إلياس وإدريس ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى. النحاس: ومن قرأ (سلام على آل ياسين) فكأنه والله أعلم جعل اسمه إلياس وياسين ثم سلم على آله أي أهل دينه ومن كان على مذهبه وعلم أنه إذا سلم على آله من أجله فهو داخل في الإسلام كما قال النبي ﷺ: «اللهم صل على آل أبي أوفى» وقال الله تعالى: (أَدْخُلُوْهُمُ الْفِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾) [غافر: ٤٦] ومن قرأ (إِلَاسِيْنَ) فللعلماء فيه غير قول فروى هارون عن ابن أبي إسحاق قال: إلياسين مثل إبراهيم يذهب إلى أنه اسم له وأبو عبيدة يذهب إلى أنه جمع جمع التسليم على أنه وأهل بيته سلم عليهم وأنشد:

قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْخَبِيِّينَ قَدِي

يقال: قَدْنِي وقَدْنِي لغتان بمعنى حسب وإنما يريد أبا خبيب عبد الله بن الزبير فجمعه على أن من كان على مذهبه داخل معه وغير أبي عبيدة يرويه: الخبيبين على التنثية يريد عبد الله ومصعبا ورأيت علي بن سليمان يشرحه بأكثر من هذا قال: فإن العرب تسمي قوم الرجل باسم الرجل الجليل منهم فيقولون: المهالبة على أنهم سموا كل رجل منهم بالمهلب قال: فعلى هذا (سَلِّمْ عَلَىٰ إِلَاسِيْنَ ﴿١٣٠﴾) سمى كل رجل منهم بإلياس وقد ذكر سيبويه في كتابه شيئاً من هذا إلى أنه ذكر أن العرب تفعل هذا على جهة النسبة

فيقولون: الأشعرون يريدون به النسب المهدوي: ومن قرأ (إِلْيَاسَ ۝١٣٠) فهو جمع يدخل فيه إلياس فهو جمع إلياسي فحذفت ياء النسبة كما حذفت ياء النسبة في جمع المكسر في نحو المهالبة في جمع مهلبي كذلك حذفت في المسلم فقيل: المهلبون وقد حكى سيبويه الأشعرون والنميرون يريدون الأشعريين والنميريين السهيلي: وهذا لا يصح بل هي لغة في إلياس ولو أراد ما قالوه لأدخل الألف واللام كما تدخل في المهالبة والأشعريين فكان يقول: (سلام على الإلياسين) لأن العلم إذا جمع ينكر حتى يعرف بألف ولام ولا تقول: سلام على زيدين بل على الزيدتين بالألف واللام فإلياس غ فيه ثلاث لغات النحاس: واحتج أبو عبيد في قراءته (سَلَّمَ عَلَى إِلْيَاسَ ۝١٣٠) وأنه اسمه كما أن اسمه إلياس لأنه ليس في السورة سلام على (آل) لغيره من الأنبياء □ فكما سمي الأنبياء كذا سمي هو وهذا الاحتجاج أصله لأبي عمرو وهو غير لازم لأن بين قول أهل اللغة أنه إذا سلم على آله من أجله فهو سلام عليه والقول بأن اسمه (إلياسين) يحتاج إلى دليل ورواية فقد وقع في الأمر إشكال قال الماوردي: وقرأ الحسن (سلام على ياسين) بإسقاط الألف واللام وفيه وجهان: أحدهما: أنهم آل محمد □ قاله ابن عباس. والثاني: أنهم آل ياسين فعلى هذا في دخول الزيادة في ياسين وجهان: أحدهما أنها زيدت لتساوي الآي كما قال في موضع: (طُورِ سِينَاءَ) [المؤمنون: ٢٠]، وفي موضع آخر (وَطُورِ سِينِ ۝٢) [التين: ٢] فعلى هذا يكون السلام على أهله دونه وتكون الإضافة إليه تشريفاً له الثاني: أنها دخلت للجمع فيكون داخلا في جملتهم فيكون السلام عليه وعليهم قال السهيلي: قال بعض المتكلمين في معاني القرآن: آل ياسين آل محمد غ ونزع إلى قول من قال في تفسير (يَسَ) يا محمد وهذا القول يبطل من وجوه كثيرة:

أحدها أن سياقة الكلام في قصة إيلياسين يلزم أن تكون كما هي في قصة إبراهيم ونوح وموسى وهارون وأن التسليم راجع عليهم ولا معنى للخروج عن مقصود الكلام لقول قيل في تلك الآية الأخرى مع ضعف ذلك القول أيضا فإن (يَسْر) و(حَم) و(آت) ونحو ذلك القول فيها واحد إنما هي حروف مقطعة إما مأخوذة من أسماء الله تعالى كما قال ابن عباس وإما من صفات القرآن وإما كما قال الشعبي: لله في كل كتاب سر وسره في القرآن فواتح القرآن وأيضا فإن رسول الله ﷺ قال: «لي خمسة أسماء» ولم يذكر فيها «يَسْر» وأيضا فإن (يَسْر) جاءت التلاوة فيها بالسكون والوقف ولو كان اسما للنبي ﷺ لقال: (يَسْر) بالضم كما قال تعالى: (يُؤَسِّفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ) [يوسف: ٤٦] وإذا بطل هذا القول لما ذكرناه فـ (إِلْيَاسِينَ) (١٣٠) هو إيلياس المذكور وعليه وقع التسليم وقال أبو عمرو بن العلاء: هو مثل إدريس وإدراسين كذلك هو في مصحف ابن مسعود (وإن إدريس لمن المرسلين) ثم قال: سلام على إدراسين (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢) تقدم.

وقال ابن كثير §:

(سَلَّمَ عَلَى إِلْيَاسِينَ) (١٣٠) كما يقال في إسماعيل: إسماعيلين. وهي لغة بني أسد. وأنشد بعض بني نمير في ضَبِّ صَادِهِ.

يَقُولُ رَبِّ السُّوقِ لِمَا جِئْنَا هَذَا وَرَبِّ الْبَيْتِ إِسْرَائِيلَا

ويقال: ميكال، وميكائيل، وميكائين، وإبراهيم وإبراهيم، وإسرائيل وإسرائيلين، وطور سيناء، وطور سينين. وهو موضع واحد، وكل هذا سائغ.

وقرأ آخرون: (سلام على إدريس)، وهي قراءة عبد الله بن مسعود.
وآخرون: (سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ) يعني: آل محمد □.



س: وضع المعنى الإجمالي للآيات المباركات: (وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ...) إلى قوله تعالى: (إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) (١٣٢).

ج: المعنى - والله أعلم - إن إلياس غ لرسولاً من الرسل الذين أرسلناهم لهداية عبادنا وإرشادهم ودعوتهم إلى الله ٥، وذلك إذ قال لقومه: ألا تجعلون بينكم وبين عذاب الله وقاية؟ (أَلَا تَنْقُوتَ) (١٣٤) أتدعون صنماً وتعبدونه، أتعبدون رباً غير الله ٥، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين، أتتركون عبادة الله ربكم ورب آبائكم الأولين؟

هكذا قال إلياس غ لقومه ولكن بماذا أجاب القوم؟!

إنهم قد أجابوا بما أجاب به غيرهم من أهل الكفر! لقد كذبوه فتوعدهم الله على هذا التكذيب بقوله: (فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) (١٣٧) أي: محضرون للحساب والعقاب والعذاب يوم القيامة، ولمحضرون في النار، لكن عباد الله الذي آمنوا بهذا النبي الكريم وصدقوه واتبعوه فيما دعاهم إليه من توحيد الله ٥، فإن الله سيسلمهم وينجيهم من حضور العذاب.

أما قوله تعالى: (وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) (١٣٩) أي: ثناءً حسناً فيمن جاؤوا من

بعده.

(سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ) (١٣٠) سلام من الله ٥ على إلياس، وأمنة من الله عليه، وهكذا نجازي أهل الإحسان. لا يقف جزاؤنا على من ذكرناهم من الأنبياء فحسب، بل كل محسن يجازى ويكرم.

ثم شهادة حسنة لإلياس غ بالصدق والإيمان، قال تعالى: (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) (١٣٢).

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

وقوله: (لِمَنِ الْمَرْسَلِينَ) (١٣٣) يقول جلّ ثناؤه: لمرسل من المرسلين (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَأَلَا تَتَّقُونَ) (١٣٤).

يقول حين قال لقومه في بني إسرائيل: ألا تتقون الله أيها القوم، فتخافونه، وتحذرون عقوبته على عبادتكم ربا غير الله، وإلهًا سواه (وَنَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ) (١٣٥) يقول: وتدعون عبادة أحسن من قيل له خالق. وقد اختلف في معنى بعل، فقال بعضهم: معناه: أَدْعُونَ رَبًّا؟ وقالوا: هي لغة لأهل اليمن معروفة فيهم.

وأورد أقوالاً آخر في تفسير البعل، فقال: وقال آخرون: هو صنم كان لهم يُقال له بعل، وبه سميت بعلبك.

وقال آخرون: كان بَعْل: امرأة كانوا يعبدونها.

قال الطبري:

وللبعل في كلام العرب أوجه. يقولون لرب الشيء: هو بعله، يقال: هذا بعل هذه الدار، يعني ربها؛ ويقولون لزوج المرأة: بعلها؛ ويقولون لما كان من الغروس والزرع مستغنيا بماء السماء، ولم يكن سقيًا بل هو بعل، وهو العذي. وذكر أن الله بعث إلى بني إسرائيل إلياس بعد مهلك حزقيل بن يوزا.

وقال:

واختلفت القراءة في قراءة قوله: (اللَّهُ رَبُّكُمْ رَبَّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ) (١٦٦)

فقرأته عامة قراء مكة والمدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة: (الله ربكم ورب آبائكم الأولين) رفعًا على الاستئناف، وأن الخبر قد تنهى عند قوله: (أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ) (١٦٥) وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: (اللَّهُ رَبُّكُمْ رَبَّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ) (١٦٦) نصبًا، على الرد على قوله: (وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ) (١٦٥) على أن ذلك كله كلام واحد.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، مع استفادة القراءة بهما في القراء، فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب. وتؤيل الكلام: ذلك معبودكم أيها الناس الذي يستحق عليكم العبادة: ربكم الذي خلقكم، ورب آبائكم الماضين قبلكم، لا الصنم الذي لا يخلق شيئًا، ولا يضر ولا ينفع.

وقوله: (فَكَذَّبُوهُ فَاتَّبَعَهُمْ لَمُحَضَّرُونَ) (١٢٧) يقول: فكذب إلياس قومه، فإنهم لمحضرون: يقول: فإنهم لمحضرون في عذاب الله فيشهدونه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (فَاتَّبَعَهُمْ لَمُحَضَّرُونَ) (١٢٧) في عذاب الله. (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) (١٢٨) يقول: فإنهم يحضرون في عذاب الله، إلا عباد الله الذين أخلصهم من العذاب (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) (١٢٩) يقول: وأبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين من الأمم بعده.

وقال الطبري:

وقوله: (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (١٣١) يقول تعالى ذكره: إنا هكذا نجزي أهل طاعتنا والمحسنين أعمالًا وقوله: (إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) (١٣٢) يقول: إن إلياس عبد من عبادنا الذين آمنوا، فوحدونا، وأطاعونا، ولم يشركوا بنا شيئًا.

وقال ابن كثير \$:

(إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ أَتَخَافُونَ اللَّهَ فِي عِبَادَتِكُمْ غَيْرَهُ؟

وقال:

وقوله: (أَتَدْعُونَ بَعْلًا) أي: أتعبدون صنمًا؟ (وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾) أي: هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

وقال:

قال الله تعالى: (فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾) أي للعذاب يوم الحساب.
(إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾) أي: الموحدين منهم. وهذا استثناء منقطع من مثبت.

وقوله: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾) أي: ثناء جميلاً.



ذكر نبي الله لوط غ

قال الله تعالى:

(وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي
الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّا لَنُؤْمِنُ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾
وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾) [الصافات: ١٣٣-١٣٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

(الْغَيْرِينَ - مُصْبِحِينَ - أَفَلَا تَعْقِلُونَ).

ج:

معناها	الكلمة
الباقين في العذاب - الهالكين	(الْغَيْرِينَ)
في الصباح	(مُصْبِحِينَ)
أفلا تتفكرون وتتأملون وتعتبرون وتتدبرون	(أَفَلَا تَعْقِلُونَ)



س:وضح معنى الآيات المباركة: (وَإِنَّ لَوْطَاءَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ ... أَفَلَا

تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - وإن نبي الله لوطاً غ لمرسل من المرسلين أرسلناهم لهداية الخلق ودعوتهم إلى التوحيد إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة الطواغيت، وكذا لنهي قومه عن الفواحش التي كانوا يرتكبونها وهي إتيان الذكران من العالمين، فكذبوه واستخفوا به وراودوه عن ضيفه، ولكن سلمه الله وحفظه ونجاه، فلقد أمر بالخروج من البلاد لئلاً ومن آمن به من أهله فخرجوا وسلمهم الله ونجاهم ولكن امرأته بقيت مع القوم في العذاب، وأرسلت على القوم حجارة من سجيل منضود، فدمرتهم كما تقدم في عدة مواطن ثم يُلفت نظر المشركين المكذابين من أهل مكة بقوله تعالى: وإنكم يا أهل مكة لتمرون على ديار قوم لوط ومدائنهم التي دمرها الله وأبقى آثارها للاستدلال بذلك على عاقبة الظلم وكتذكرة لمن يخشى، إنكم يا أهل مكة لتمرون عليهم صباحاً وليلاً وأنتم

مسافرون، فهي في طريقكم إلى بلاد الشام، فأنشاء رحلتكم إلى الشام ترونها أفلا تتفكرون وتتدبرون!!
وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وإن لوطاً المرسل من المرسلين.

(إِذْ بَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾) يقول: إذ نجينا لوطاً وأهله أجمعين من العذاب الذي أحلناه بقومه، فأهلكناهم به. (إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَائِرِينَ ﴿١٣٥﴾) يقول: إلا عجوزاً في الباقين، وهي امرأة لوط.
وقوله: (ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾) يقول: ثم قذفناهم بالحجارة من فوقهم، فأهلكناهم بذلك.

وقال في تأويل قوله تعالى: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفْلاً تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾).

يقول تعالى ذكره لمشرقي قريش: وإنكم لتمررون على قوم لوط الذين دمرناهم عند إصباحكم نهاراً وبالليل.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾) قالوا: نعم والله صباحاً ومساءً يطئونها وطئاً، من أخذ من المدينة إلى الشام، أخذ على سدوم قرية قوم لوط.

وقوله: (أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾) يقول: أفليس لكم عقول تتدبرون بها وتتفكرون، فتعلمون أن من سلك من عباد الله في الكفر به، وتكذيب رسله، مسلك هؤلاء الذين وصف صفتهم من قوم لوط، نازل بهم من عقوبة الله، مثل الذي نزل بهم على كفرهم بالله، وتكذيب رسوله، فيزجركم ذلك عما

أنتم عليه من الشرك بالله، وتكذيب محمد عليه الصلاة والسلام.

وقال ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط، غ أنه بعثه إلى قومه فكذبوه، فنجاه الله من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فإنها هلكت مع من هلك من قومها، فإن الله تعالى أهلهم بأنواع من العقوبات، وجعل محلّتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح، وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المسافرين ليلاً ونهاراً؛ ولهذا قال: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصِحِّينَ ﴿١٢٧﴾ وَبِأَلِيلٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٢٨﴾) أي: أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها؟



ترك آثارٍ للظالمين وبقايا يستدل بها على الانتقام من كل ظالم

س: كثيراً ما يترك للظالمين آثارٌ يستدل بها على إهلاكهم، وعلى قدرة الله على كل ظالم. اذكر بعض ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن فرعون: (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً)

[يونس: ٩٢]

وقوله تعالى: (فَكَأَيُّ مَن قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْتَغِي مَعْطَلَةً وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾) [الحج: ٤٥].

وقوله تعالى في شأن سفينة نوح: (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ) [القمر:

١٥].

قال الشنقيطي رحمه (أضواء البيان).

وقوله تعالى: (جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ

﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٣﴾) ففوله: (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِعِيدٍ ﴿٨٣﴾)، فيه تهديد عظيم لمن يعمل عمل قوم لوط من الكفر وتكذيب نبيهم، وفواحشهم المعروفة، وقد وبخ تعالى من لم يعتبر بهم، ولم يحذر أن ينزل به مثل ما نزل بهم، كقوله في قوم لوط: (وَإِنَّكُمْ لَنُفْرِنَ عَنْهُمْ مُّصْحِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾) وقوله تعالى: (وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوءِ أَفَكُم يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿١٤٠﴾).

وقوله فيهم: (وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [العنكبوت: ٣٥].

وقوله فيهم: (وَلَا تَنْهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾) [الحجر: ٧٦]. وقوله فيهم وفي قوم شعيب (وَأِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾) [الحجر: ٧٩]، والآيات بمثل ذلك كثيرة.



ذكر نبي الله يونس غ

قال الله تعالى:

(وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ
الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴿١٤٥﴾ فَبَدَّدَتْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ
سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ
يَزِيدُ ﴿١٤٧﴾ فَأَمَنُوا فَمَعَنَلَهُمُ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾) [الصافات: ١٣٩-١٤٨]

س: اذكر معنى ما يلي:

(أَبَقَ - أَلْفُلُكِ الْمَشْحُونِ - فَسَاهَمَ - الْمُدْحَضِينَ - فَالْتَقَمَهُ - وَهُوَ مُلِيمٌ - الْمُسَيِّحِينَ - لَلَّيْتَ -
يَوْمَ يُبْعَثُونَ - فَنَبَذْنَاهُ - بِالْعَرَاءِ - سَقِيمٌ - يَقْطِينٍ - إِلَى حِينٍ).

ج:

معناها	الكلمة
فَرَّ - خرج عن غير إذنٍ من الله له بالخروج تباعد	(أَبَقَ)
السفينة العظيمة الممتلئة بالبضائع والناس	(أَلْفُلُكِ الْمَشْحُونِ)
فقارع (أجرى قرعة مع غيره)	(فَسَاهَمَ)
المغلوبين (الذين جاءت القرعة عليهم لا لهم)	(الْمُدْحَضِينَ)
ابتلعه	(فَالْتَقَمَهُ)
وهو مذنب - مكتسب أعمالاً يُلام عليها	(وَهُوَ مُلِيمٌ)
المُصلين - القائلين (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)	(الْمُسَيِّحِينَ)
لمكث	(لَلَّيْتَ)
يوم يبعثون أحياء من قبورهم يوم القيامة	(يَوْمَ يُبْعَثُونَ)
قذفناه	(فَنَبَذْنَاهُ)
بالأرض الفضاء	(بِالْعَرَاءِ)
عليل - مريض - ضعيف	(سَقِيمٌ)
قيل اليقطين الدباء (القرع) وقيل: كل نبات ينبت على الأرض وليس له ساق	(يَقْطِينٍ)

إلى يوم مماتهم ووفاتهم - إلى انقضاء آجالهم

(إِلَى حِينٍ)



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣١﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحَوْثُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبَثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَبَدَّدَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾).

ج: حاصل المعنى - والله أعلم - أن الله ٥ يخبر عن نبيه الكريم يونس ابن متى غ، فيقول: (وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣١﴾) الذي أرسلناهم لهداية الناس وأوحينا إليهم أنه لا إله إلا أنا فاعبدون، وأمرناهم بتبليغ ذلك للخلق.

ثم يذكرنا الله ٥ بشيء من أمره، فيقول: (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾) واذكره إذ خرج من بلاده (نينوي) عن غير إذنٍ من الله له بالخروج، فركب السفينة المليئة الموقرة، فلعبت بهم الأمواج وأشرفوا على الغرق والهلاك فآلقوا أمتعتهم لتخفيف أحمال السفينة ولم يجد ذلك شيء، فاستهموا على إلقاء واحد منهم، واقتنعوا على ذلك فوقعت القرعة على يونس □، (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾) أي: كان من المغلوبين الذين لم تأت القرعة في صالحهم، بل وقعت القرعة عليه كي يُلقى في البحر، فألقى فيه فجاء حوت عظيم هائل فابتلعه ولم يُصبه بضررٍ مع أنه كان مُليماً غ، أي أنه كان مُذنَباً لخروجه من بلده عن غير إذنٍ من ربّه ٥، (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾) لولا أنه كان من المصلين في وقت رخائه وعافيته قبل البلاء (لَلَبَثَ فِي بَطْنِهِ) في بطن الحوت (إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾) إلى يوم بعث الموتى من قبورهم أحياء، وذلك إلى يوم القيامة.

فقوله: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٢﴾) ويستفاد منه أن أعمال البر في وقت الرخاء تنفع عند حلول الشدائد، فالمسبحين هم المصلون والمتنفلون.

وقيل: لولا أنه قال في بطن الحوت: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾) [الأنبياء: ٨٧]، (لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾).

فمن فضل الله عليه أن الله ٥ ألهم الحوت أن يتجه إلى الشاطئ ويقذف يونس غ، فقذف يونس غ على الشاطئ في الفضاء هناك حيث لا شيء يَكُنُّهُ وَلَا يُظْلَهُ، فمنَّ الله عليه بإنبات شجرة من يقطين عليه يستدفئ بها وقد قيل في اليقطين: إنه القرع.

وقيل: إنه كل نبت لا ساق له.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري §:

يقول تعالى ذكره: وإن يونس لمرسل من المرسلين إلى أقوامهم (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾) يقول: حين فر إلى الفلك، وهو السفينة، المشحون: وهو المملوء من الحمولة الموقر.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾) كنا نحدث أنه الموقر من الفلك.

وأورد بإسناد حسن عن السدي في قوله: (الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾) قال: الموقر. وقوله: (فَسَاهَمَ) يقول: فقارع.

وأورد بإسناد حسن^(١) عن قتادة: (فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾) قال: فاحتبست السفينة، فعلم القوم أنما احتبست من حدث أحدثوه، فتساهموا،

(١) وهناك آثارٌ أوردها الطبري تشهد لنفس المعنى تركتها عن عمدٍ لضعف أسانيدها.

فقرع يونس، فرمى بنفسه، فالتقمه الحوت.

وأورد بإسناد حسن عن السدي في قوله: (فَسَاهَمَ) قال: قارع.

وقوله: (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) (١٤١)) يعني: فكان من المسهومين المغلوبين، يقال منه: أدحض الله حجة فلان فدحضت: أي أبطلها فبطلت، والدحض: أصله الزلق في الماء والطين، وقد ذكر عنهم: دحض الله حجته، وهي قليلة.

وقوله: (فَالْقَمَّةُ الْخَوْتُ) يقول: فابتلعه الحوت؛ وهو افتعل من اللقم.
وقوله: (وَهُوَ مُلِيمٌ) (١٤٢)) يقول: وهو مكتسب اللوم، يقال: قد ألأم الرجل، إذا أتى ما يلام عليه من الأمر وإن لم يلم، كما يقال: أصبحت محمقا معطشا: أي عندك الحمق والعطش؛ ومنه قول لبيد:

سفها عدلت ولمت غير ملیم وهداك قبل اليوم غير حکيم

فأما الملوم فهو الذي يلام باللسان، ويعذل بالقول.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (وَهُوَ مُلِيمٌ) (١٤٢)) أي في صنعه.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد: وهو مذنب، قال: والمليم: المذنب.

وقال §:

يقول تعالى ذكره: (فَلَوْلَا أَنَّهُ) يعني يونس (كَانَ مِنَ) المصلين لله قبل
البلاء الذي ابتلي به من العقوبة بالحبس في بطن الحوت **(لَلَّيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى**
يَوْمٍ يُبْعَثُونَ) (١٤٤)) يقول: لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة، يوم يبعث الله فيه خلقه محبوسا، ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء، فذكره الله في حال البلاء، فأنقذه ونجاه.

وقد اختلف أهل التأويل في وقت تسبيح يونس الذي ذكره الله به، فقال:

(فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾) فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك، وقالوا مثل قولنا في معنى قوله: (مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾).

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾) كان كثير الصلاة في الرخاء، فنجاه الله بذلك؛ قال: وقد كان يقال في الحكمة: إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا ما عثر، فإذا صرع وجد متكئاً.

وأورد أيضاً بإسناد صحيح إلى عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس ق: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾) قال: من المصلين.

وقيل: إنما أحدث الصلاة التي أخبر الله عنه بها، فقال: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾) في بطن الحوت.

وقال بعضهم: كان ذلك تسييحاً، لا صلاة.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن عمران القطان، قال: سمعت الحسن يقول في قوله: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾) قال: فوالله ما كانت إلا صلاة أحدثها في بطن الحوت؛ قال عمران: فذكرت ذلك لقتادة، فأنكر ذلك وقال: كان والله يكثر الصلاة في الرخاء.

وأورد الطبري \$ بإسناد حسن عن قتادة قوله: (لَكِنَّتْ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾) لصار له بطن الحوت قبراً إلى يوم القيامة.

قال الطبري:

وقوله: (نَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ) يقول: فقفناه بالفضاء من الأرض، حيث لا يواريه شيء من شجر ولا غيره؛ ومنه قول الشاعر:

ورفعت رجلاً لا أخاف عثارها ونبذت بالبلد العراء ثيابي

يعني بالبلد: الفضاء.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ) بأرض ليس فيها شيء ولا نبات.

قال الطبري: (وَهُوَ سَقِيمٌ ١٤٥): وهو كالصبي المنفوس: لحم نيء.

قال:

وقوله: (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ١٤٦) يقول تعالى ذكره: وأنبتنا على يونس شجرة من الشجر التي لا تقوم على ساق، وكل شجرة لا تقوم على ساق كالذبابة والبطيخ والحنظل ونحو ذلك، فهي عند العرب يقطين. وأورد بسند صحيح عن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: (شَجَرَةٌ مِّنْ يَقْطِينٍ ١٤٦) فقالوا عنده: القرع؛ قال: وما يجعله أحق من البطيخ.

وأورد بسند صحيح عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، في قوله: (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ١٤٦) قال: كل شيء ينبت ثم يموت من عامه.

قال الطبري:

وقال آخرون: هو القرع.

وأورد بسند صحيح عن عبد الله (هو ابن مسعود): (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ١٤٦) قال: القرع، وأورد الطبري عدة آثار بذلك.

وقال:

وقال آخرون: كان اليقطين شجرة أظلت يونس غ.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وقوله: (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ١٤٧) قال ابن عباس: هو الموقر، أي:

المملوء بالأمّعة.

(فَسَاهَمَ) أي: قارع (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾) أي: المغلوبين. وذلك أن السفينة تَلْعَبَتْ بها الأمواج من كل جانب، وأشرفوا على الغرق، فتساهموا على من تقع عليه القرعة يلقي في البحر، لتخف بهم السفينة، ف وقعت القرعة على نبي الله يونس، عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات، وهم يضمنون به أن يلقي من بينهم، فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يأبون عليه ذلك.

وأمر الله تعالى حوتًا من البحر الأخضر أن يشق البحار ^(١)، وأن يلتقم، يونس غ، فلا يَهْشِمُ له لحما، ولا يكسر له عظمًا. فجاء ذلك الحوت وألقى يونس، غ، نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها. ولما استقر يونس في بطن الحوت، حسب أنه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حي، فقام يصلي في بطن الحوت.

وقال \$:

وقال ابن عباس، وسعيد بن جبّير، والضحاك، وعطاء بن السائب، والسدي، والحسن، وقتادة: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٢﴾) يعني: المصلين. وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك. وقال بعضهم: كان من المسبحين في جوف أبويه. وقيل: المراد: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٢﴾) هو قوله: (فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]

(١) وهذه التفصيلات التي أوردها الحافظ ابن كثير لا مستند لها من كتاب الله ٥، ولا عن رسوله ﷺ فيما صح عنه. □

قاله سعيد بن جبیر و غیره.



فضل صنائع المعروف وقت العافية والرخاء

س: صنائع المعروف في أوقات الرخاء تنفع الشخص عند حلول الشدائد. دَلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾).

وقد قال كثيرٌ من أهل العلم في تفسيرها، فلولا أنه كان من المصلين في وقت عافيته قبل حلول البلاء به، للبت في بطن الحوت إلى يوم القيامة.

ومنها حديث الثلاثة الذين انطبقت على فم غارهم صخرة، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، وها هو الحديث بذلك.

وفي الحديث^(١): «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».



س: هل ورد عن رسول الله ﷺ شيء في الدُّبَاء (التي هي القرع)؟

ج: نعم قد ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يحب الدُّبَاء، بل وكان يأكل منها ويتتبعها من أطراف القصعة.

ففي الصحيحين^(٢) من حديث أنس بن مالك قال: إِنَّ خَيْطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِبَطْنِ صَنْعَةٍ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُبْزًا مِنْ شَعِيرٍ وَمَرَقًا فِيهِ دُبَاءٌ

(١) حسن بمجموع طرقه وشواهده: أخرجه عبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (٦٣٥)، وانظر

مسند أحمد (٢٩٣/١ و ٣٠٧)، والحاكم في المستدرک (٦٣٠٣)، والطبراني في الكبير

(١١٠٨٠) وغيرها.

(٢) البخاري (٢٠٩٢)، ومسلم (٢٠٤١).

وَقَدِيدٌ، قَالَ أَنَسٌ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَّبَعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالِي الصَّحْفَةِ - قَالَ - فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْذُ يَوْمِئِذٍ.

قال الحافظ ابن كثير \$:

وذكر بعضهم في القرع فوائد، منها: سرعة نباته، وتظليل ورقه لكبره، ونعومته، وأنه لا يقربها الذباب، وجودة أغذية ثمره، وأنه يؤكل نيئاً ومطبوخاً بلبه وقشره أيضاً. وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يُحِبُّ الدُّبَّاءَ، ويتبعه من حَوَالِي الصَّحْفَةِ.



س: قوله تعالى: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) (١٤٧) متى كان هذا الإرسال، هل قبل أن يبتلعه الحوت أم بعد نجاته؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدها: أن ذلك بعد أن أخرج من بطن الحوت أرسله الله رسولا إلى قومه مرة ثانية يدعوهم فآمنوا كلهم أجمعون.

الثاني: أن ذلك كان قبل أن يلقى في البحر ويلتقمه الحوت، وإيمانهم كان بعد خروجه من عندهم.

قال ابن كثير \$:

قلت: ولا مانع أن يكون الذين أرسل إليهم أولا أمر بالعود إليهم بعد خروجه من الحوت، فصدقوه كلهم وآمنوا به. وحكى البغوي أنه أرسل إلى أمة أخرى بعد خروجه من الحوت، كانوا مائة ألف أو يزيدون.



س: قطعاً فإننا - والحمد لله - نوقن ونعلم بأن الله يعلم عدد الذين أرسل إليهم يونس غ. فما وجه قوله تعالى: (أَوْ يَزِيدُونَ) (١٤٧).

ج: لأهل العلم أقوال:

أحدها: أن أو هنا بمعنى بل، والمراد وأرسلنا إلى قوم إذا نظر إليهم الناظر قال مُقَرَّبًا إنهم مائة ألف كما يقول الشخص مستكثرًا جئتكَ ألف مرة ولكنهم في الحقيقة يزيدون على المائة ألف.

الثاني: أن من الناظرين من إذا نظر إليهم اعتبرهم مائة ألف، والحقيقة أنهم أكثر من ذلك.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: فأرسلنا يونس إلى مائة ألف من الناس، أو يزيدون على مائة ألف. وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول: معنى قوله: (أَوْ): بل يزيدون.

وقال:

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك: معناه إلى مائة ألف أو كانوا يزيدون عندهم، يقول: كذلك كانوا عندهم.

وإنما عنى بقوله: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾) أنه أرسله إلى قومه الذين وعدهم العذاب، فلما أظلمهم تابوا، فكشف الله عنهم. وقيل: إنهم أهل نينوى.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾) أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل، قال: قال الحسن: بعثه الله قبل أن يصيبه ما أصابه (فَأَمْنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾).

وقيل: إن يونس أرسل إلى أهل نينوى بعد ما نبذه الحوت بالعراء.

وقوله: (فَأَمْنُوا) يقول: فوحدوا الله الذي أرسل إليهم يونس، وصدقوا

بحقيقة ما جاءهم به يونس من عند الله.

وقوله: (مَتَّعْنَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾) يقول: فأخرنا عنهم العذاب، ومتعناهم إلى حين بحياتهم إلى بلوغ آجالهم من الموت.

وقال ابن كثير \$:

وهكذا سلك ابن جرير هاهنا ما سلكه عند قوله تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً) [البقرة: ٧٤]، وقوله: (إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) [النساء: ٧٧]، وقوله: (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ) ﴿٩١﴾ [النجم: ٩]. أن المراد ليس أنقص من ذلك، بل أزيد.

وقوله: (فَتَأْمَنُوا) أي: فأمن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس، غ، جميعهم. (مَتَّعْنَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾) أي: إلى وقت آجالهم، كقوله: (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُّؤْسُ لَمَاءَ آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾) [يونس: ٩٨].

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾) قد مضى في (البقرة) محامل (أَوْ) في قوله تعالى: (أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً) [البقرة: ٧٤] وقال الفراء: (أَوْ) بمعنى بل وقال غيره إنها بمعنى الواو ومنه قول الشاعر:

فلما اشتد أمر الحرب فينا تأملنا رياحا أو رزاما

أي: ورزاما وهذا كقوله تعالى: (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) [النحل: ٧٧] وقرأ جعفر بن محمد (إلى مائة ألف ويزيدون) بغير همز فـ(يزيدون) ﴿١٤٧﴾ في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ محذوف أي وهم يزيدون النحاس: ولا يصح هذان القولان عند البصريين وأنكروا كون

(أَوْ) بمعنى بل وبمعنى الواو لأن بل للإضراب عن الأول والإيجاب لما بعده وتعالى الله عز و جل عن ذلك أو خروج من شيء إلى شيء وليس هذا موضع ذلك والواو معناه خلاف معنى (أَوْ) فلو كان أحدهما بمعنى الآخر لبطلت المعاني ولو جاز ذلك لكان وأرسلناه إلى أكثر من مائتي ألف أخصر وقال المبرد: المعنى وأرسلناه إلى جماعة لو رأيتموهم لقلتم هم مائة ألف أو أكثر وإنما خوطب العباد على ما يعرفون وقيل: هو كما تقول: جاءني زيد أو عمرو وأنت تعرف من جاءك منهما إلا أنك أبهمت على المخاطب وقال الأخفش والزجاج: أي أو يزدون في تقديركم.

قال ابن عباس: زادوا على مائة ألف عشرين ألفاً.



الإنكار على أهل الكفر القائلين بأن الملائكة بنات الله تعالى الله عن قولهم
علوا كبيرا

قال الله تعالى:

(فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ
إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ
﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكُتُبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا وَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾
سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾) [الصافات: ١٤٩ -

س: وضع معنى ما يلي:

(فَاسْتَفْتِهِمْ - شَهِدُوا - إِفْكِهِمْ - أَصْطَفَى - أَفَلَا تَذَكَّرُونَ - سُلْطَنٌ مُبِينٌ - فَأَتُوا بِكُتُبِكُمْ - الْجَنَّةِ - لَمْ حَضَرُوا - سُبْحَنَ اللَّهُ - يَفْتَنِينَ - صَالٍ الْجَحِيمِ).

ج:

معناها	الكلمة
سلهم	(فَاسْتَفْتِهِمْ)
حاضرون - شهودٌ ترون بأعينكم	(شَهِدُوا)
كذبهم، والإفك أسوأ الكذب	(إِفْكِهِمْ)
أختار	(أَصْطَفَى)
أفلا تتعظون وتنزجرون	(أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)
حجة موضحة أن ما تقولون حق	(سُلْطَنٌ مُبِينٌ)
كتابٌ تتقلون منه ما تقولون والمراد: إن كان عندكم كتاب من عند الله فيه أن الله جعل الملائكة إناثًا واصطفاهم لنفسه فأتوا به	(فَأَتُوا بِكُتُبِكُمْ)
قيل: الملائكة، وقيل: الجنة، قيل: قرابة، وقيل:	(الْجَنَّةِ)
مصابهم لمحاسبون - لمعذبون	(لَمْ حَضَرُوا)
تنزه الله	(سُبْحَنَ اللَّهُ)
بمضلين - بصارفين أحدًا من الهداية للضلالة	(يَفْتَنِينَ)
من كتب الله عليه أنه سيصلى الجحيم أي: سيدخل النار	(صَالٍ الْجَحِيمِ)

س: وضع معنى قوله تعالى: (فَاسْتَفْتِهِمَ الرِّبِّكَ أَلْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) (١٤٩).

وكيف أمر النبي □ أن يستفتيهم وهم كفار؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - فسلمهم يا رسول الله - سل هؤلاء المشركين، كيف قسمتم هذه القسمة فجعلتم البنات لله واخترتم الذكور لأنفسكم، وهذه كقوله تعالى: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ) (١٦) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) [النجم: ٢١-٢٢].

وكما قال تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) (٥٧) [النحل: ٥٧].
فأهل الشرك وصفوا الملائكة بأنهم بنات الله، وصفوهم بأنهم إناث، قال تعالى: وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم سكتب شهادتهم ويُسألون.

ثم إن أهل الشرك، وبعد أن وصفوا الملائكة بأنهم إناث عبدوهم من دون الله ٥ كما صدر عن بعض قبائل العرب وغيرهم كخزاعة وغيرها.
أمّا كيف أمر النبي □ أن يسألهم؛ فهذا السؤال الصادر من رسول الله □ لهم لتوبيخهم وتأنيبهم.

قال الطبري \$:

وقوله: (فَاسْتَفْتِهِمْ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: سل يا محمد مشركي قومك من قريش.

وقال:

وقوله: (أَلَرَبِّكَ أَلْبَنَاتٌ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) (١٤٩): ذكر أن مشركي قريش كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، وكانوا يعبدونها، فقال الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: سلمهم، وقل لهم: أربي البنات ولكم البنون؟

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (أَلَرَبِّكَ أَلْبَنَاتٌ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) (١٤٩) لأنهم

قالوا- يعني مشركي قريش - لله البنات ولهم البنون.

وأورد بإسناد حسن عن السدي قال: كانوا يعبدون الملائكة.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى منكرًا على هؤلاء المشركين في جعلهم لله البنات، سبحانه، ولهم ما يشتهون، أي: من الذكور، أي: يَوَدُّون لأنفسهم الجيد. (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾) [النحل: ٥٨] أي: يسوءه ذلك، ولا يختار لنفسه إلا البنين. يقول تعالى: فكيف نسبوا إلى الله تعالى القسم الذي لا يختارونه لأنفسهم؟ ولهذا قال: (فَاسْتَفْتِهِمْ) أي: سلمهم على سبيل الإنكار عليهم: (أَلَرَبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾) كقوله: (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٣١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾) [النجم: ٢١-٢٢].

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾) لما ذكر أخبار الماضين تسلياً للنبي □ احتج على كفار قريش في قولهم: إن الملائكة بنات الله فقال: (فَاسْتَفْتِهِمُ) وهو معطوف على مثله في أول السورة وإن تباعدت بينهم المسافة أي فسل يا محمد أهل مكة (الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ) وذلك أن جهينة وخزاعة وبني مليح وبني سلمة وعبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله وهذا سؤال توبيخ.



س: وضح معنى قوله تعالى: (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - سل يا رسول الله هل خلقنا الملائكة إنثًا وأهل الشرك هؤلاء كانوا يروننا ويطلعون علينا عند خلق الملائكة، فمن

ثم وصفوهم بأنهم إناث!!؟

وقال الطبري \$:

يعني تعالى ذكره: أم شهد هؤلاء القائلون من المشركين: الملائكة بنات الله خلقي الملائكة وأنا أخلقهم إناثا، فشهدوا هذه الشهادة، ووصفوا الملائكة بأنها إناث.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾) أي: كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم؟ كقوله: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكُنَبُ لَهُمْ شُهُودٌهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٥١﴾) [الزخرف: ١٩] أي: يسألون عن ذلك يوم القيامة.



س: وضح معنى قوله تعالى: (أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل الشرك هؤلاء من شدة كذبهم وافترائهم، افتروا على الله الكذب وقالوا وَلَدَ اللَّهُ، فكذبهم الله في ذلك، وهم الكاذبون، فقال تعالى: (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾)، وكذبهم الله في آيات أخر، فقال تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾) [الإخلاص: ١-٤]، وقال تعالى: (يَدْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً ﴿١٠١﴾)، وقال تعالى: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا...) [الإسراء: ١١١]، وقال تعالى: (... وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾)

[الكهف: ٤-٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

قال الطبري \$:

وقوله: (أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ) يقول تعالى ذكره: ألا إن هؤلاء المشركين من كذبهم (يَقُولُونَ) ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهِ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾) في قيلهم ذلك.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: (أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ) أي: من كذبهم (يَقُولُونَ) ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهِ) أي: صدر منه الولد (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) ﴿١٥٢﴾ فذكر الله عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب، فأولاً جعلوهم بنات الله، فجعلوا لله ولداً. وجعلوا ذلك الولد أنثى، ثم عبدوهم من دون الله. وكل منها كاف في التخليد في نار جهنم.



س: وضع معنى قوله تعالى: (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ) ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - ويحكم، أو ويلكم يا أهل الشرك، أقد اختار الله ٥ لنفسه البنات، وخصكم أنتم بالبنيين ما الذي حدث لعقولكم حتى تصدروا هذا الحكم أفلا تتزجرون وتتركون هذا الباطل الذي أنتم فيه ألكم حجة بيّنة تكون لكم عذراً عند ربكم تحتجون بها على ما ذكرتموه، فإن كانت لكم حجة من كتاب من عند الله نزل فيه أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله، فأتوا بهذا الكتاب؟؟

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: موبخاً هؤلاء القائلين لله البنات من مشركي قريش: (أَصْطَفَى) الله أيها القوم (أَلْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ) (١٥٣)؟ والعرب إذا وجهوا الاستفهام إلى التوبيخ أثبتوا ألف الاستفهام أحياناً وطرحوها أحياناً، كما قيل: (أَذْهَبَتْ) بالقصر (طَبَيْتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) [الأحقاف: ٢٠] يستفهم بها، ولا يستفهم بها، والمعنى في الحاليين واحد، وإذا لم يستفهم في قوله: (أَصْطَفَى أَلْبَنَاتِ) ذهب ألف اصطفى في الوصل، ويبتدأ بها بالكسر، وإذا استفهم فتحت وقطعت. وقد ذكر عن بعض أهل المدينة أنه قرأ ذلك بترك الاستفهام والوصل. فأما قراء الكوفة والبصرة، فإنهم في ذلك على قراءته بالاستفهام، وفتح ألفه في الأحوال كلها، وهي القراءة التي نختار لإجماع الحجة من القراء عليها.

وقوله: (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (١٥٤) يقول: بنس الحكم تحكمون أيها القوم أن يكون لله البنات ولكم البنون، وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم، فتجعلون له ما لا ترضونه لأنفسكم؟

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: (أَصْطَفَى أَلْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ) (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) يقول: كيف يجعل لكم البنين ولنفسه البنات، ما لكم كيف تحكمون؟

وقوله: (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (١٥٥) يقول: أفلا تتدبرون ما تقولون؟ فتعرفوا خطأ فتنتهوا عن قبيله.

وقوله: (أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ) (١٥٦) يقول: ألكم حجة تبين صحتها لمن سمعها بحقيقة ما تقولون؟

وقوله: (فَأْتُوا بِكَيِّكُم) يقول: فأتوا بحجتكم من كتاب جاءكم من عند الله بأن الذي تقولون من أن له البنات ولكم البنين كما تقولون.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

ثم قال منكرًا عليهم: (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ) (١٥٣) أي: أي شيء يحمله على أن يختار البنات دون البنين؟ كقوله: (أَفَأَصْفَكُمْ رُؤُوسَ الْبَنِينَ وَأَتَّخِذُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتِثًا إِنَّكُمْ لَقَائِلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا) (الإسراء: ٤٠)؛ ولهذا قال: (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (١٥٤) أي: ما لكم عقول تتدبرون بها ما تقولون؟

(أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (١٥٥) أم لكم سلطان مبين (١٥٦) أي: حجة على ما تقولونه. (فَأْتُوا بِكَيِّكُمُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (١٥٧) أي: هاتوا برهانًا على ذلك يكون مستندًا إلى كتاب منزل من السماء عن الله: أنه اتخذ ما تقولونه، فإن ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل، بل لا يُجَوِّزُه العقل بالكلية.



س: ما المراد بالجنة؟

ج: لأهل العلم قولان في ذلك:

أحدهما: أنها الجنة.

الثاني: أنها الملائكة.



س: كيف جعلوا بين الله ٥ وتعالى عما يصفه المشركون، كيف جعلوا

بينه وبين الجنة نسبًا؟

ج: لأهل العلم في إيضاح ذلك وجوه:

أحدها: أن أهل الشرك زعموا أن الله ٥ وإبليس لعنه الله أخوان.

ذكره الطبري، ونقله بسندٍ ضعيف عن ابن عباس ق.

الثاني: أن أهل الشرك زعموا أن الله ٥ خطب إلى سادات الجن، أي: إلى كبراء الجنة والسادة فيهم فزوجوه من سرواتهم، فولدتُ سرواتُ الجن الملائكة.

تعالى الله عن كل ذلك علوًّا كبيرًا.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾).

ج: الظاهر - والله أعلم - أن المراد: ولقد علمت الجنة (سواء اخترنا أنها الملائكة أم الجنة) إنهم لمحضرون يوم القيامة للحساب.

أما على القول بأن الجنة: الشياطين فيكون قوله: (لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾) يحتمل معنى آخر، وهو لمحضرون في العذاب يوم القيامة، والله أعلم.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إنهم لمحضرون العذاب، لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة، إنما عني به الإحضار في العذاب، فكذا في هذا الموضع.

قلت (مصطفى): هذا متعلق بالجنة الذين افتروا على الله الكذب وتقولوا على الله ٥ بالباطل.



س: وضع معنى قوله تعالى: (سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - تنزه ربنا رب العزة عما يصفه به هؤلاء المشركون، سواء الذين جعلوا له شريكًا في ملكه أم الذين ادعوا له

الولد أم الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، أو الذين قالوا: إن الله ٥ خطب إلى الجن فزوجوه من سرواتهم، أو غير هؤلاء، تعالى الله علوًا كبيرًا وتمجد وتقدس عن كل هذا الذي يصفه به الواصفون الظالمون المشركون.

قال الطبري \$:

وقوله: (سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾) يقول تعالى ذكره تنزيهاً لله، وتبرئة له مما يضيف إليه هؤلاء المشركون به، ويفترون عليه، ويصفونه، من أن له بنات، وأن له صاحبة.



س: من أي شيء حدث الاستثناء في قوله تعالى: (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ

﴿١٦٠﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أنه بمعنى أن عباد الله المخلصين لا يصفون الله بتلك الأوصاف التي لا تليق به.

الثاني: أن عباد الله المخلصين لا يحضرون العذاب ولا يشهدونه.

قال الطبري \$:

وقوله: (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾) يقول: ولقد علمت الجنة أن الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله لمحضرون العذاب، إلا عباد الله الذين أخلصهم لرحمته، وخلقهم لجنته.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾) استثناء منقطع، وهو من مثبت، إلا أن يكون الضمير في قوله: (عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾) عائداً إلى جميع الناس ثم استثنى

منهم المخلصين، وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبي ومرسل.

وقال القرطبي §: (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾) فَإِنَّهُمْ نَاجُونَ مِنَ النَّارِ.

س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتْ

الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وجعل أهل الشرك والكفر والضلال بين الله ٥ وبين الجن نسبًا، فقالوا: إن الله ٥ خطب من الجن فزوجوه، وولدت له الجنُّ الملائكة، وقال بعض أهل الغي والضلال: إن الله والشيطان أخوان، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

قالوا ذلك عن الجن، الجن منهم من آمن وعلم أنه مجموع ليوم القيامة للحساب.

ومنهم من هو كافر ويعلم أنه محضرٌ في العذاب يوم القيامة.

تنزه الله عما يقوله أهل الظلم علوًا كبيرًا، وعما يصفونه به من أوصاف باطلة.

لكن عباد الله المخلصين الذين أخلصهم الله واصطفاهم قد وصفوه بجميل الأوصاف التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله □، فهو لاء ناجون من النار وسالمون من العذاب بإذن الله.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ

بِفَتْنَيْنِ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - فإنكم يا أهل الشرك وآلهتكم التي تعبدونها من دون الله ٥ لن تستطيعوا فتنة أحدٍ ولا صرفه ولا تحويله عن

الإيمان إلى الكفر، إلا من سبق في علم الله أنه من أهل الشقاوة وقضى الله عليه بها، والعياذ بالله.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: (فَأَنذَرْتُكُمْ أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ بِاللَّهِ (وَمَا تَعْبُدُونَ) (١١١) مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ (مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَتَنِينَ) (١١٢) يقول: ما أنتم على ما تعبدون من دون الله بفاتنين: أي بمضلين أحدًا (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ) (١١٣) يقول: إلا أحدًا سبق في علمي أنه صال الجحيم.

وقد قيل: إن معنى (عَلَيْهِ) في قوله: (مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَتَنِينَ) (١١٢) بمعنى به. وأورد الطبري عدة آثار حول هذا المعنى منها صحيح الإسناد، ومنها ما هو ضعيف.

ومما أورد قول إبراهيم النخعي بإسناد صحيح عنه: (مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَتَنِينَ) (١١٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ (١١٣) إلا من قدّر عليه أنه يصلّى الجحيم.

وبإسناد حسن عن قتادة: (فَأَنذَرْتُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ) (١١١) حتى بلغ: (صَالٍ الْجَحِيمِ) (١١٣) يقول: ما أنتم بمضلين أحدًا من عبادي بباطلكم هذا، إلا من تولاكم بعمل النار.

وبإسناد حسن عن السدي: (مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَتَنِينَ) (١١٢) بمضلين (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ) (١١٣) إلا من كتب الله أنه يصلّى الجحيم.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: (فَأَنذَرْتُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ) (١١١) مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَتَنِينَ (١١٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ (١١٣) يقول: لا تفتنون به أحدًا، ولا تضلونّه، إلا من قضى الله أنه صال الجحيم، إلا من قد قضى أنه من أهل النار.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾) (ما) بمعنى الذي وقيل: بمعنى المصدر أي فإنكم وعبادتكم لهذه الأصنام وقيل: أي فإنكم مع ما تعبدون من دون الله يقال: جاء فلان وفلان وجاء فلان مع فلان (مَا أَنتَرُ عَلَيْهِ) أي على الله (بِفَتْنَيْنِ ﴿١٦٢﴾) بمضلين. النحاس: أهل التفسير مجمعون فيما علمت على أن المعنى ما أنتم بمضلين أحداً إلا من قدر الله عز و جل عليه أن يضل وقال الشاعر:

فرد بنعمته كيده عليه وكان لنا فاتنا
أي: مضلاً.

وقال ابن كثير §:

يقول تعالى مخاطباً للمشركين: (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتَرُ عَلَيْهِ بَفْتْنَيْنِ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْحَجِيمِ ﴿١٦٣﴾) أي: ما ينقاد لمقالكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة إلا من هو أضل منكم ممن ذري للنار. (هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٦٩﴾)

[الأعراف: ١٧٩]. فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة، كما قال تعالى: (إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُنْفَكُ ﴿٩﴾)

[الذاريات: ٨، ٩] أي: إنما يضل به من هو مأفوك ومبطل.



قال الله تعالى:

(وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١٦٦﴾
وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ
﴿١٦٩﴾ فَكُفُّوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْثُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ
لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّا جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ
فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعَدَّابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ
الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾
سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾) [الصافات: ١٦٤-١٨٢]

س: وضع معنى ما يلي:

(مَقَامٌ مَّعْلُومٌ - الصَّافُونَ - الْمُسِيحُونَ - ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ - الْمُخْلَصِينَ - فَنُؤَلِّعُ عَنْهُمْ - حِينَ - وَأَبْصِرُهُمْ - يُبْصِرُونَ - إِسْخَاتِمُهُمْ - فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ - رَبِّ الْعِزَّةِ - وَسَلَّمُ).

ج:

الكلمة	معناها
(مَقَامٌ مَّعْلُومٌ)	مكان ومقام لا يتجاوزه أو مكان يعبد فيه ربه ٥
(الصَّافُونَ)	الذين يقفون صفوفًا (في صلاتهم وغيرها)
(الْمُسِيحُونَ)	الذين يصلون - الذين يقولون سبحان الله
(ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ)	كتابًا من عند الله كالذي أوتاه من قبلنا من اليهود
(الْمُخْلَصِينَ)	الذين أخلصهم الله واصطفاهم المصطفين
(فَنُؤَلِّعُ عَنْهُمْ)	فأعرض عنهم
(حِينَ)	وقت - قيل: مجيء الموت - وقيل: العذاب يوم القيامة - وقيل: حتى يقضي الله فيه بأمر
(وَأَبْصِرُهُمْ)	انتظرهم
(يُبْصِرُونَ)	يرون (ما يحلُّ بهم)
(إِسْخَاتِمُهُمْ)	بديارهم
(فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ)	بئس الصباح صباح هؤلاء الذين أنذرتهم رسلهم فلم يستجيبوا
(رَبِّ الْعِزَّةِ)	صاحب العزة، صاحب القوة والغلبة والبطش
(وَسَلَّمُ)	أمانٌ من الله

س: وضع معنى الآيات المباركات: (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ

الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١٦٦﴾).

ج: هذه قولة تقولها الملائكة عليهم سلام الله، يقولون: وما منا من ملك إلا له مقام معلوم يقف فيه لعبادة ربّه ٥، وكذا مقام معلوم يتحرك فيه ويتنقل لا يتجاوزهُ.

ثم تنثي الملائكة، وتصف حالها (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾) الذين نقف صفوفًا مستقلة عند ربنا ٥ للصلاة، (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١٦٦﴾) المصلون، وكذا الذاكرون الله ٥ بتسبيحه وتهليله وتمجيده وتكبيره.

قال الطبري \$:

وقوله: (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾) وهذا خبر من الله عن قيل الملائكة أنهم قالوا: وما منا معشر الملائكة إلا من له مقام في السماء معلوم.

وأورد بإسناد حسن عن السدي قال في قوله: (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾)

قال: الملائكة.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال: الملائكة.

وقال الطبري في تأويل: (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١٦٦﴾).

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل ملائكته: (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾) لله

لعبادته (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١٦٦﴾) له، يعني بذلك المصلون له.

وأورد الطبري من طريق الضحاك بن مزاحم يقول قوله: (وَإِنَّا لَنَحْنُ

الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١٦٦﴾) كان مسروق بن الأجدع، يروي عن عائشة

أنها قالت: قال نبي الله ﷺ: «ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك

ساجد أو قائم»، فذلك قول الله: (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا

لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١١٦﴾).

وأورد الطبري بإسنادٍ أصح عن مسروق عن عبد الله، قال: إن من السموات سماء ما فيها موضع إلا فيه ملك ساجد، أو قدماء قائم، ثم قرأ: (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١١٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١١٦﴾).

وقد يُعْلَلُ السند الأول من طريق الضحاك عن مسروق بهذا السند الثاني، ويُعْلَلُ من ثَمَّ المرفوع بالموقوف.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١١٥﴾) قال: صفوف في السماء (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١١٦﴾): أي المصلون، هذا قول الملائكة يثنون بمكانهم من العبادة.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن أبي نضرة، قال: كان عمر إذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه، فقال: يا أيها الناس استووا، إن الله إنما يريد بكم هدى الملائكة (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١١٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١١٦﴾) استووا، تقدم أنت يا فلان، تأخر أنت أي هذا، فإذا استووا تقدم فكبر.

قلت (مصطفى): ولا يُعرف لأبي نضرة سماع من عمر ق.

وقال ابن كثير \$:

ثم قال تعالى مُنْزَهَاً لِلْمَلَأِكَةِ مِمَّا نَسَبُوا إِلَيْهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بِهِمْ وَالْكَذْبِ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ: (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١١٤﴾) أي: له موضع مخصوص في السموات ومقامات العبادة لا يتجاوزها ولا يتعداه.



س: اذكر بعض الوارد في صفوف الملائكة عند ربها.

ج: من ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة^(١)

قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيَكُمْ كَأَنَّهَُا أَدْنَابُ خَيْلٍ شُمُسٍ اسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ». قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَأْنَا حَاقًّا، فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ عَزِينَ». قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «أَلَا تَصْفُونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا». فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ».

ومن حديث حذيفة^(٢) فقال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ». وَذَكَرَ خَصْلَةً أُخْرَى.



س: اذكر بعض الوارد في تسبيح الملائكة.

ج: من ذلك قوله تعالى: (وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) [الشورى: ٥].

وقوله تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ...) [غافر: ٧].

وقوله تعالى: (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) [الزمر: ٧٥].

وقول الملائكة عن أنفسهم: (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) [الصافات: ١٦٦].



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ) [١٦٧] لَوَ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ [١٦٨]

(١) مسلم حديث (٤٣٠).

(٢) مسلم (٥٢٢).

لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وإن كان أهل الشرك هؤلاء ليقولون قبل مبعث النبي □ إليهم ليقولون: لو أننا أنزلت علينا كتب من عند الله ٥ كالتي أنزلت على الذين من قبلنا اليهود والنصارى، لكننا عباداً لله أفضل منهم وأحسن وأشد إخلاصاً لله، فلما جاءهم ذكرٌ أفضل من الذكر الذي سألوه كفروا به أي: فلما جاءهم الرسول □ بما معه من القرآن كفروا به. **فتوعدهم الله بقوله:** (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾) أي: عاقبة كفرهم وتكذيبهم، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

وقوله: (وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ) يقول تعالى ذكره: وكان هؤلاء المشركون من قريش يقولون قبل أن يبعث إليهم محمد □ نبياً، (لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٨﴾) يعني كتاباً أنزل من السماء كالتوراة والإنجيل، أو نبي أتانا مثل الذي أتى اليهود والنصارى (لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ) الذين أخلصهم لعبادته، واصطفاهم لجنته.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: (وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾) قال: قد قالت هذه الأمة ذاك قبل أن يبعث محمد □: لو كان عندنا ذكر من الأولين، لكننا عباد الله المخلصين؛ فلما جاءهم محمد □ كفروا به، فسوف يعلمون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: (ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٨﴾) قال: هؤلاء ناس من مشركي العرب قالوا: لو أن عندنا كتاباً من كتب الأولين، أو جاءنا علم من علم الأولين قال: قد جاءكم محمد بذلك.

وقال في تأويل قوله تعالى: (فَكْفُرُوا بِهِ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾).

يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم الذكر من عند الله كفروا به، وذلك كفرهم بمحمد □ وبما جاءهم به من عند الله من التنزيل والكتاب، يقول الله: فسوف يعلمون إذا وردوا علي ماذا لهم من العذاب بكفرهم بذلك.

وقال الحافظ ابن كثير §:

وقوله: (وَإِن كَانُوا لَيَقُولُنَّ ﴿١٧١﴾ لَوَآءَ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧٢﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٧٣﴾) أي: قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله، وما كان من أمر القرون الأولى، ويأتيهم بكتاب الله، كما قال تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾) [فاطر: ٤٢]، وقال: (أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً فَمَن أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنَّا آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾) [الأنعام: ١٥٦، ١٥٧]؛ ولهذا قال هاهنا: (فَكْفُرُوا بِهِ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾)، وعيد أكيد وتهديد شديد، على كفرهم ببرهم - سبحانه وتعالى - وتكذيبهم - رسوله □.

وقال القرطبي §:

عاد إلى الإخبار عن قول المشركين أي كانوا قبل بعثة محمد □ إذا عيروا بالجهل قالوا: (لَوَآءَ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧٢﴾) أي لو بعث إلينا نبي ببيان الشرائع لا تتبعناه ولما خففت (إن) دخلت على الفعل ولزمتها اللام فرقًا بين النفي والإيجاب والكوفيون يقولون (إن) بمعنى ما واللام بمعنى إلا وقيل: معنى (لَوَآءَ عِنْدَنَا ذِكْرًا) أي: كتابًا من كتب الأنبياء (لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٧٣﴾) أي

لو جاءنا ذكر كما جاء الأولين لأخلصنا العبادة لله

(فَكْفَرُوا بِهِ) أي بالذكر، والفراء يقدره على حذف أي فجاءهم محمد □ بالذكر فكفروا به وهذا تعجيب منهم أي فقد جاءهم نبي وأنزل عليهم كتاب فيه بيان ما يحتاجون إليه فكفروا وما وفوا بما قالوا: (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾) قال الزجاج: يعلمون مغبة كفرهم.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنْ جُنَدْنَاهُمْ لَغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَنُؤَلِّعُ عَنْهُمْ هَرَجًا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - ولقد مضى ما كتبناه على عبادنا، فقد كتبنا في اللوح المحفوظ إذ قدرنا المقادير أن عبادنا المرسلين هم المنصورون بالحجج على من ناوأهم وخالفهم.

وقدرنا فيما قدرنا، أي: العاقبة الحسنة لجنة الله ۝ فإنهم هم الغالبون، فأعرض يا رسول الله عن هؤلاء المشركين حتى يأتي أمر الله فيهم إما الإذن بقتالهم بعد وقت من الأوقات، وإما بإماتتهم وإما بالانتقام منهم يوم القيامة.

وانتظر ماذا سيحل لهم فسوف يرون ما يحل بهم من العقاب والنكال.

قال الطبري \$:

وقوله: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾) يقول تعالى ذكره: ولقد سبق منا القول لرسولنا إنهم لهم المنصورون: أي مضى بهذا منا القضاء والحكم في أم الكتاب، وهو أنهم لهم النصر والغلبة بالحجج. **وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾)** حتى

بلغ: (هُمْ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾) قال: سبق هذا من الله لهم أن ينصرهم.

وأورد بإسناد حسن عن السدي، في قوله: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ

﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾) يقول: بالحجج.

وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا

المرسلين بالسعادة. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (ولقد سبقت كلمتنا

على عبادنا المرسلين) فجعلت على مكان اللام، فكأن المعنى: حقت عليهم

ولهم، كما قيل: على ملك سليمان، وفي ملك سليمان، إذ كان معنى ذلك

واحدا.

وقوله: (وَلَنْ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾) يقول: وإن حزبنا وأهل ولايتنا لهم

الغالبون، يقول: لهم الظفر والفلاح على أهل الكفر بنا، والخلاف علينا.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾) أي: تقدم في الكتاب الأول

أن العاقبة للرسول وأتباعهم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: (كَتَبَ اللَّهُ

لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيَ إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾) [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: (إِنَّا لَنَنْصُرُ

رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾) [غافر: ٥١]؛ ولهذا قال:

(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾) أي: في الدنيا والآخرة.

كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم، وكيف أهلك الله

الكافرين، ونجى عباده المؤمنين.

(وَلَنْ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾) أي: تكون لهم العاقبة.

وقوله جل وعلا: (فَوَلَّوْنَهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾) أي: اصبر على أذاهم لك،

وانتظر إلى وقت مؤجل، فإننا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر؛ ولهذا

قال بعضهم: غيى ذلك إلى يوم بدر. وما بعدها أيضا في معناها.

وقوله: (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴿١٧٥﴾) أي: أنظرهم وارقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال على مخالفتك وتكذيبك؛ ولهذا قال على وجه التهديد والوعيد: (فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴿١٧٥﴾).

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ) يقول: أنظرهم فسوف يبصرون ما لهم بعد اليوم، قال: يقول: يبصرون يوم القيامة ما ضيعوا من أمر الله، وكفرهم بالله ورسوله وكتابه، قال: فأبصرهم وأبصر، واحد.



س: ما المراد بالحين في قوله تعالى: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾)؟

ج: قال بعض العلماء: الحين إلى الموت.

وقال آخرون: حتى يوم بدر.

وقال آخرون: حتى يأذن الله ٥ لأهل الإيمان في قتال أهل الكفر.



س: وضع معنى قوله تعالى: (أَفَعِدَابُنَا يُسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِمْهُمْ فَسَاءَ صَبَاحُ

الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴿١٧٩﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: أفيستعجل هؤلاء الكفار عذابنا؟ فهذا شأنهم،

شأنهم العذاب كما في قوله تعالى: (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾)

[ص: ١٦]، قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾) [الملك: ٢٥]،

وكما في قوله تعالى: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) [الحج: ٤٧].

فإذا نزل عذابنا بديارهم فبئس الصباح صباحهم، بئس ما يتصبحون

به، ليس بصباحٍ خَيْرٍ ولكن بُئسَ الصباح.

فأعرض عنهم يا رسول الله إلى حين يقضي الله فيهم بأمره، وانظر ماذا سيحلُّ بهم فسوف يعلمون حقيقة ما سيحلُّ بهم. وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري §:

وقوله: (أَفِعْدَابًا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾) يقول: فبنزول عذابنا بهم يستعجلونك يا محمد، وذلك قولهم للنبي (مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٥﴾) [الملك: ٢٥].

وقوله: (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِهِمْ) يقول: فإذا نزل بهؤلاء المشركين المستعجلين بعذاب الله العذاب. العرب تقول: نزل بساحة فلان العذاب والعقوبة، وذلك إذا نزل به؛ والساحة: هي فناء دار الرجل، (فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾) يقول: فبئس صباح القوم الذين أنذرهم رسولنا نزول ذلك العذاب بهم فلم يصدقوا به.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن السدي في قوله: (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِهِمْ) قال: بدارهم (فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾) قال: بُئس ما يصبحون.

وقال في قوله تعالى: (وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾).

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين، وخلصهم وفريتهم على ربهم (حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾) يقول: إلى حين يأذن الله بهلاكهم (وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾) يقول: وانظرهم فسوف يرون ما يحلُّ بهم من عقابنا في حين لا تتفعهم التوبة، وذلك عند نزول بأس الله بهم.

وقال الحافظ ابن كثير §:

(أَفِعْدَابًا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾) أي: هم إنما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم،

فإن الله يغضب عليهم بذلك، ويعجل لهم العقوبة، ومع هذا أيضًا كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة.

قال الله تعالى: (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾) أي: فإذا نزل العذاب بمحلتهم، فبئس ذلك اليوم يومهم، بإهلاكهم ودمارهم.

قال السدي: (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) يعني: بدارهم، (فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾) أي: فبئس ما يصبحون، أي: بئس الصباح صباحهم؛ ولهذا ثبت في الصحيحين ^(١) من حديث إسماعيل بن عُلَيَّة، عن عبد العزيز بن صُهَيْب عن أنس قال: صَبَّحَ رسول الله ﷺ خبير، فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم ورأوا الجيش، رجعوا وهم يقولون: محمد والله، محمد والخميس. فقال النبي ﷺ: «الله أكبر، خربت خبير إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

وقال ابن كثير أيضًا:

وقوله: (وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴿١٧٩﴾) تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك.

وقال القرطبي \$:

(وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴿١٧٩﴾) قال قتادة: سوف يبصرون حين لا ينفعهم الإبصار، وعسى من الله للوجوب، وعبر بالإبصار عن تقريب الأمر أي عن قريب يبصرون وقيل: المعنى فسوف يبصرون العذاب يوم القيامة (أَفِعْدَابًا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾) كانوا يقولون من فرط تكذيبهم متى هذا العذاب أي لا تستعجلوه فإنه واقع بكم

(١) البخاري (٣٧١) و (٢٩٤٥)، ومسلم (١٣٦٥).

قوله تعالى: (فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِجِهِمْ) أي العذاب قال الزجاج: وكان عذاب هؤلاء بالقتل ومعنى (بِسَاحِجِهِمْ) أي بدارهم عن السدي وغيره والساحة والسحسة في اللغة فناء الدار الواسع، الفراء: (نَزَلَ بِسَاحِجِهِمْ) ونزل بهم سواء (فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾) أي: بئس صباح الذين أنذروا بالعذاب وفيه إضمار أي فساء الصباح صباحهم وخص الصباح بالذكر؛ لأن العذاب كان يأتيهم فيه.

س: وضع معنى قوله تعالى: (سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: تنزه ربك رب العزة، صاحب القوة والبطش والغلبة، كما قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾) **[الذاريات: ٥٨]**، وكما قال: (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾) **[البروج: ١٢]**، وكما قال: (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ) **[يوسف: ٢١]**، فالعزة الغلبة والقهر، فتنزه ربنا القوي الذي لا يُغلب، تنزه ربنا عن كل ما يصفه به الواصفون الكذابون المشركون، تنزه ربنا عن كل ما لا يليق به، تنزه ربنا عن الشريك والند والمثيل والزوجة والولد.

(وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾) وأمانٌ من الله ٥ على رسله الكرام، والحمد لله رب العالمين.

قال الطبري \$:

(سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾) يقول تعالى ذكره تنزيهاً لربك يا محمد وتبرئة له. (رَبِّ الْعِزَّةِ) يقول: رب القوة والبطش (عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾) يقول: عما يصف هؤلاء المفترون عليه من مشركي قريش، من قولهم ولد

الله، وقولهم: الملائكة بنات الله، وغير ذلك من شركهم وفريتهم على ربهم.

وأورد بسند حسن عن قتادة: (سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾): أي عما يكذبون يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان.

وقوله: (وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾) يقول: وأمنة من الله للمرسلين الذين أرسلهم إلى أمهم الذي ذكرهم في هذه السورة وغيرهم من فزع يوم العذاب الأكبر، وغير ذلك من مكروه أن ينالهم من قبل الله تبارك وتعالى.

وقوله: (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾) يقول تعالى ذكره: والحمد لله رب الثقلين الجن والإنس، خالصاً دون ما سواه؛ لأن كل نعمة لعباده فمنه، فالحمد له خالص لا شريك له، كما لا شريك له في نعمه عندهم، بل كلها من قبله، ومن عنده.

وقال الحافظ ابن كثير §:

ينزه تعالى نفسه الكريمة ويقدها ويبرئها عما يقوله الظالمون المكذبون المعتدون -تعالى وتقدس عن قولهم علواً كبيراً- ولهذا قال: (سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ)، أي: ذي العزة التي لا ترام، (عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾) أي: عن قول هؤلاء المعتدين المفتريين.

(وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾) أي: سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة؛ لسلامة ما قالوه في ربهم، وصحته وحقيقته.

(وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾) أي: له الحمد في الأولى والآخرة في كل حال. ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة، ويستلزم إثبات الكمال، كما أن الحمد يدل على إثبات صفات

الكمال مطابقة، ويستلزم التنزيه من النقص - قرن بينهما في هذا الموضع، وفي مواضع كثيرة من القرآن؛ ولهذا قال: (سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾).

وقال القرطبي §:

(وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾) أي على إرسال المرسلين مبشرين ومنذرين وقيل: أي على جميع ما أنعم الله به على الخلق أجمعين وقيل: أي على هلاك المشركين، دليله: (فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾) | **الأنعام: ٤٥** | قلت: والكل مراد والحمد يعم ومعنى (يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾) يكذبون والتقدير عما يصفون من الكذب.

س: هل صح حديث في فضل قول: (سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾) بخصوصها؟

ج: قد وردت في فضل ذلك عدة أحاديث، ولا أعلم منها حديثاً ثابتاً عن رسول الله ﷺ، والله أعلم.



(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(ص) وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِهِمْ (٢) كَرَاهِلِكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مَنْ قَرْنٍ فَنَادُوا وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ (٣) وَجَبَّوْا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ (٤) أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانْطَلِقُوا لِمَالِهِمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ آلِهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ (٧) أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ (٨) أَمِنْهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (١٠) جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (١١) كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا لَهُمْ مِنْ فَوَاقٍ (١٥) (ص: ١-١٥).

س: اذكر معنى ما يلي:

(ص - ذِي الذِّكْرِ - عَزَّ - وَشِقَاقٍ - فَنَادُوا - وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ - مُنْذِرٌ - عَجَابٌ - وَأَنْطَلَقَ -
 أَلْمَلَأَ - وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ الْهَيْكَلِ - أَلْمَلَأَ الْآخِرَةَ - أَخْلَقَ - الذِّكْرُ - ذِكْرِي - فَلْيَرْثُوا - الْأَسْبَابَ -
 جُنْدًا مَّا - الْأَحْزَابَ - الْأَوْنَادِ - وَأَصْعَبُ لَكَيْكَةً - أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ - فَحَقَّ عِقَابٌ - صَيِّحَةً
 وَجِدَةً - فَوَاقٍ).

ج:

معناها	الكلمة
حرف من الأحرف التي بُدئت بها بعض السور لا يعلم معناها إلا الله	(ص)
ذي الشرف - ذي التذكير	(ذِي الذِّكْرِ)
حمية جاهلية - عصبية للباطل - استكبار وامتناع	(عَزَّ)
فراق للحق - خلاف وتباعد	(وَشِقَاقٍ)
استغاثوا - رفعوا أصواتهم	(فَنَادُوا)
في وقت لا ينفع فيه الفرار ليس بحين فرار ولا مهرب ليس بوقت للفرار ولا للهروب	(وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ)
مُحَذِّرٌ - مخوفٌ - رسولٌ	(مُنْذِرٌ)
عجيب	(عَجَابٌ)
مشوا مُسْرِعِينَ	(وَأَنْطَلَقَ)
الأشراف - الكبراء - عليّة القوم	(أَلْمَلَأَ)

استمروا على عبادة أصنامكم وآلهتكم	(وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ^ط)
النصرانية، وقيل: دين الآباء والأجداد	(الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ)
كذبٌ وافتراء	(أَخْلَقُ)
القرآن	(الذِّكْرُ)
وحيي الذي أوحيته - كتابي الذي أنزلته - القرآن	(ذِكْرِي)
فليصعدوا وليترقوا	(فَلْيَرْقُوا)
الطرق الموصلة إلى السماوات وأبوابها، والسبب هو الشيء الذي يُتوصل به إلى المراد	(الْأَسْبَبُ)
هم جندٌ	(جُنْدٌ مَا)
المتحزبون على الشرك، والمتحزبون على محاربة الرسالة	(الْأَحْزَابِ)
جمع وتد، وهو الذي يثبت في الأرض تُربط به الأشياء، كان له أوتاد يعذب بها الناس، وأيضًا له أوتاد يربط بها الخيام للعب تحتها	(الْأَوْتَادِ)
أصحاب الشجر الكثير الملتف - أصحاب الغيضة وهم قوم شعيب غ	(وَأَصْحَابُ ثَيْبَكَةٍ ^ع)
هؤلاء الأحزاب القوية الكافرة	(أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ)
وجب عليهم عذابي، وحلَّ بهم عقابي	(فَحَقَّ عِقَابِي)
النفخة الأولى في الصور - نفخة واحدة	(صَيْحَةً وَاحِدَةً)
إفاقة - رجوع - ترداد	(فَوَاقِي)

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى (صّ).

ج: لأهل العلم في ذلك عدة أقوال:

أولها وأظهرها: أن (صّ) حرف من الحروف المقطعة التي بُدئت بها بعض سور الكتاب العزيز، العلم بها موكولٌ إلى الله ٥.

الثاني: أن معنى (صّ) صَادٍ بعملك القرآن، أي: اعرض عملك على القرآن، وانظر أين أنت من القرآن.

الثالث: أنها قسمٌ أقسم الله به.

الرابع: أنها اسم من أسماء القرآن.

الخامس: أن معناها صدق الله.

وثمّ أقوالٌ أخرى.

والظاهر لي والله أعلم أن القول الأول أولاها بالصواب كما ذكرت.



شيء عن مكانة القرآن الكريم وشرفه وعلو منزلته

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ١).

ج: الواو في قوله تعالى: (وَالْقُرْآنَ) واو القسم، أقسم الله ٥ بالقرآن.

أما قوله: (ذِي الذِّكْرِ ١) فمن معانيه ذو الشرف والمكانة العالية السامية.

فللقرآن مكانة عالية سامية عند الله ٥، فقد قال تعالى: (وَلِئِنَّهُ فِيْكُمْ

اَلْكِتَابِ لَدَيْنا عَلِيٌّ حَكِيْمٌ ٤) [الزخرف: ٤]، ووصفه الله بأنه مجيد وكريم

وعزيز وحكيم إلى غير ذلك من جميل الأوصاف.

ثم إنه شرفٌ لمن نزل عليه ولمن نزل إليهم كما قال تعالى: (وَلِئِنَّهُ لَذِكْرٌ

لَكَ وَلِقَوْمِكَ ٥) [الزخرف: ٥] أي: شرف لك ولقومك.

وشرف لمن تعلمه وحمله وعمل به ودعا إليه، شرف لهم في الدنيا وفي الآخرة.

ففي الدنيا يؤمنون غيرهم في الصلوات ويقدمون به إذا اجتمعوا في القبور ويطيب به ذكرهم في الدنيا، وهو لهم نور وبصيرة وهدى ورشاد وذكر لهم في الآخرة يرتفعون به درجات.

وقد وردت في هذا الباب جملة من النصوص، منها قول النبي ﷺ: «اقْرَأْ فَلَنْ فَإِنَّهَا السَّكِينَةُ تَنْزَلَتْ عِنْدَ الْقُرْآنِ أَوْ تَنْزَلَتْ لِلْقُرْآنِ» ^(١).

ومنها ما أخرجه مسلم ^(٢) من حديث أبي هريرة **قال**: قال رسول الله ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَذَكَّرُونَ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

وفي صحيح مسلم ^(٣): «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ».

وقوله ﷺ ^(٤): «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

وفي رواية ^(٥): «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، وفي الصحيحين ^(٥) من حديث أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ

(١) مسلم (٨٢/٦) والبخاري (٥٧/٩) مع الفتح.

(٢) مسلم (٢١/١٧) مع النووي.

(٣) مسلم (٨٩/٦) مع النووي.

(٤) البخاري (مع الفتح ٧٤/٩).

(٥) البخاري (مع الفتح ٦٥/٩)، ومسلم (مع النووي ٨٣/٦).

كَانْتُمْ رَطْعُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمِثْلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ
الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمِثْلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمِثْلِ
الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا».

وعند الإمام أحمد^(١) بسند حسن من حديث أنس قال: قال رسول الله

□: «إن لله ٥ أهليين من الناس»، قال: قيل: من هم يا رسول الله؟ قال:
«أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته».

وعند مسلم^(٢) من حديث عائشة ؓ قالت: قال رسول الله □:
«الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعَعُّ فِيهِ
وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ».

وعند أبي داود بسند حسن^(٣) من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال
رسول الله □: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي
الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا».

وعند الترمذي بسند حسن^(٤) من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال
رسول الله □: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ
أَمْثَلِهَا لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ».

وفي صحيح مسلم^(٥) من حديث عقبة بن عامر قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ
اللَّهُ □ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ

(١) أحمد (١٢٧/٣).

(٢) مسلم (٨٤/٦) مع النووي.

(٣) أبو داود (١٥٣/٢).

(٤) الترمذي مع التحفة (٢٢٦/٨)، وسنده حسن، لكن اختلف في رفعه ووقفه.

(٥) مسلم (٨٩/٦).

إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِنْهُمْ وَلَا قَطْعَ رَحِمٍ». **فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَفْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ۝ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَثَلَاثَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَائِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ».**

وعنده من حديث^(١) أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّ حُبٍّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلَفَاتٍ عِظَامِ سِمَانٍ؟». قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلَفَاتٍ عِظَامِ سِمَانٍ».

وتمّ نصوص آخر كثيرة في الباب.

وأرجع فأقول: و(ذكر) أيضاً بمعنى: تذكير، فقد حمل أجمل أنواع التذكير وأفضلها وأحسنها، تذكير للعباد بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، فقلوه: (ذِي الذِّكْرِ ١) ذي التذكير ذكركم الله به.

قال الطبري \$ بعد أن أورد مجمل القولين:

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ذي التذكير لكم؛ لأن الله أتبع ذلك قوله: (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢) فكان معلوماً بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذكراً لعباده ذكرهم به، وأن الكفار من الإيمان به في عزة وشقاق.

قال السعدي \$:

هذا بيان من الله تعالى لحال القرآن، وحال المكذبين به معه ومع من جاء به، فقال: (صَوِّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ١) أي: ذي القدر العظيم والشرف،

(١) مسلم (٨٩/٦).

المُذَكَّر للعباد كل ما يحتاجون إليه من العلم، بأسماء الله وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكام الله الشرعية، ومن العلم بأحكام المعاد والجزاء، فهو مذكر لهم في أصول دينهم وفروعه.

وهنا لا يحتاج إلى ذكر المقسم عليه، فإن حقيقة الأمر، أن المقسم به وعليه شيء واحد، وهو هذا القرآن، الموصوف بهذا الوصف الجليل، فإذا كان القرآن بهذا الوصف، علم ضرورة العباد إليه، فوق كل ضرورة، وكان الواجب عليهم تَلَقُّيه بالإيمان والتصديق، والإقبال على استخراج ما يتذكر به منه.

فهدى الله من هدى لهذا، وأبى الكافرون به وبمن أنزله، وصار معهم (فِرْعَوْنُ وَشَقَاقُ ٢) عزة وامتناع عن الإيمان به، واستكبار وشقاق له، أي: مشاقة ومخاصمة في رده وإبطاله، وفي القدح بمن جاء به.

فتوعدهم بإهلاك القرون الماضية المكذبة بالرسول، وأنهم حين جاءهم الهلاك، نادوا واستغاثوا في صرف العذاب عنهم ولكن (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ٣) أي: وليس الوقت، وقت خلاص مما وقعوا فيه، ولا فرج لما أصابهم، فَلْيَحْذَرُوا هَؤُلَاءِ أَنْ يَدُومُوا عَلَىٰ عِزَّتِهِمْ وَشِقَاقِهِمْ، فيصيبهم ما أصابهم.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (ذِي الذِّكْرِ ١) فيه وجهان من التفسير معروفان عند العلماء.

أحدهما: أن الذكر بمعنى الشرف، والعرب تقول فلان مذكور يعنون له ذكر أي: شرف. ومنه قوله تعالى: (وَأَنَّهُ لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ) [الزخرف: ٤٤] أي شرف لكم على أحد القولين.

الوجه الثاني: أن الذكر اسم مصدر بمعنى التذكير؛ لأن القرآن العظيم فيه التذكير والمواعظ، وهذا قول الجمهور واختاره ابن جرير.



س: ما جواب القسم لقوله تعالى: (صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ)؟

ج: جوابه - والله أعلم - مفهوم وإن كان لم يُنص عليه، فالمعنى: ص والقرآن ذي الشرف إنه لشريف وعظيم وذو مكانة وأنه من عند الله ٥، وما تنزلت به الشياطين، ولكن الذين كفروا في عزة وشقاق.

* وإلى هذا المعنى أشار قتادة، فقد أخرج الطبري بسند حسن عنه: (بَلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) قال: هاهنا وقع القسم.

وأورد الطبري أقوالاً ولكنه اختار قول قتادة فقال: والصواب من القول في ذلك عندي، القول الذي قاله قتادة، وأن قوله: (بَلِّ) لما دلت على التكذيب وحلت محل الجواب استغني بها من الجواب، إذ عرف المعنى، فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: (صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) ما الأمر، كما يقول هؤلاء الكافرون: بل هم في عزة وشقاق.

هذا، وهنالك أقوال أخر أوردتها القرطبي رحمه الله تعالى واستفاض في ذكرها، فقال القرطبي \$:

وجواب القسم محذوف، واختلف فيه على أوجه: ف قيل جواب القسم (صَّ) لأن معناه حق فهي جواب لقوله: (وَالْقُرْآنِ) كما تقول: حقاً والله نزل والله وجب والله فيكون الوقف من هذا الوجه على قوله: (وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) حسناً وعلى (فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) تماماً قاله ابن الأنباري وحكى معناه الثعلبي عن الفراء وقيل: الجواب (بَلِّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) لأن (بَلِّ) نفي

لأمر سابق وإثبات لغيره قاله القتبي؛ فكأنه قال: (وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾) بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾) عن قبول الحق وعداوة لمحمد □ أو (وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾) ما الأمر كما يقولون: من أنك ساحر كذاب؛ لأنهم يعرفونك بالصدق والأمانة بل هم في تكبر عن قبول الحق وهو كقوله: (قَدْ أَفْلَحَ الْوَقْتُ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ ﴿١﴾) بِلِ عَجَبًا ([ق: ١ - ٢] وقيل: الجواب (كَمْ أَهْلَكْنَا) [ق: ٣٦] كأنه قال: والقرآن لكم أهلكنا فلما تأخرت (كَمْ) حذفت اللام منها كقوله تعالى: (وَالشَّمْسُ وَنُجُجَهَا ﴿١﴾) [الشمس: ١] ثم قال: (قَدْ أَفْلَحَ) [الشمس: ٩] أي: لقد أفلح، قال المهدي: وهذا مذهب الفراء. ابن الأنباري: فمن هذا الوجه لا يتم الوقف على قوله: (فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) وقال الأخفش: جواب القسم (إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٍ ﴿١٤﴾) [ص: ١٤] ونحو منه قوله تعالى: (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾) [الشعراء: ٩٧]، وقوله: (وَالسَّمَاءَ وَالْطَّارِقَ ﴿١﴾) [الطارق: ١]، (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ) [الطارق: ٤]. ابن الأنباري: وهذا قبيح لأن الكلام قد طال فيما بينهما وكثرت الآيات والقصص وقال الكسائي: جواب القسم قوله: (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾) [ص: ٦٤] ابن الأنباري: وهذا أقبح من الأول لأن الكلام أشد طولاً فيما بين القسم وجوابه. وقيل الجواب: قوله: (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾) [ص: ٥٤] وقال قتادة: الجواب محذوف تقديره (وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾) لتبعثن ونحوه.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان»:

اعلم أن العلماء اختلفوا في تعيين الشيء الذي أقسم الله عليه في قوله تعالى: (وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾)، فقال بعضهم: إن المقسم عليه مذكور، والذين قالوا: إنه مذكور، اختلفوا في تعيينه وأقوالهم في ذلك كلها ظاهرة السقوط. **فمنهم من قال:** إن المقسم عليه هو قوله تعالى: (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ

[ص: ٦٤]

ومنهم من قال: هو قوله: (إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾) [ص: ٥٤].

ومنهم من قال: هو قوله تعالى: (إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾)

[ص: ١٤] كقوله: (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾) [الشعراء: ٩٧]. وقوله: (وَأَسْمَاءُ

وَالطَّارِقُ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾) [الطارق: ١-٤].

ومنهم من قال هو قوله: (كِرَاهِلِكَا مِنْ قَبْلِهِمْ)، ومن قال هذا: قال: إن الأصل لكم أهلكننا ولما طال الكلام، حذفتم لام القسم، فقال: (كِرَاهِلِكَا) بدون لام.

قالوا: ونظير ذلك قوله تعالى: (وَأَلْسِنُهَا وَضَحَهَا ﴿١﴾) لما طال الكلام بين القسم والمقسم عليه، الذي هو قد أفلح من زكائها، حذفتم منه لام القسم.

ومنهم من قال: إن المقسم عليه هو قوله: (صَّ) قالوا معنى (صَّ): صدق رسول الله والقرآن ذي الذكر. وعلى هذا فالمقسم عليه هو صدقه. □

ومنهم من قال: المعنى: هذه (صَّ) أي: السورة التي أعجزت العرب، (وَأَلْقُرَّانِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾)، إلى غير ذلك من الأقوال التي لا يخفى سقوطها.

وقال بعض العلماء: إن المقسم عليه محذوف، واختلفوا في تقديره، فقال الزمخشري في «الكشاف»: «التقدير (وَأَلْقُرَّانِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾)، إنه لمعجز»، وقدره ابن عطية وغيره فقال: «(وَأَلْقُرَّانِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾) ما الأمر كما يقوله الكفار»، إلى غير ذلك من الأقوال.

قال مقبده - عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر صوابه بدليل استقراء

القرآن: أن جواب القسم محذوف وأن تقديره: (وَأَلْفَرُءَانِ ذِي الذِّكْرِ ١) ما الأمر كما يقوله الكفار، وأن قولهم المقسم على نفيه شامل لثلاثة أشياء متلازمة.

الأول: منها أن النبي □ مرسل من الله حقاً وأن الأمر ليس كما يقول الكفار في قوله تعالى عنهم: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا) [الرعد: ٤٣].

والثاني: أن الإله المعبود جل وعلا واحد، وأن الأمر ليس كما يقوله الكفار في قوله تعالى عنهم: (أَجْعَلِ الْأَلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِن هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٥) [ص: ٥].

والثالث: أن الله جلّ وعلا يبعث من يموت، وأن الأمر ليس كما يقوله الكفار في قوله تعالى عنهم: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ) وقوله: (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثَ) [التغابن: ٧]، وقوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ٣) [سبا: ٣].

أما الدليل من القرآن على أن المقسم عليه محذوف فهو قوله تعالى: (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢)؛ لأن الإضراب بقوله: (بَلِ)، دليل واضح على المقسم عليه المحذوف. أي: ما الأمر كما يقوله الذين كفروا، (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ) أي: في حمية وأنفة واستكبار عن الحق، (وَشِقَاقٍ ٢) أي: مخالفة ومعاودة.

وأما دلالة استقراء القرآن على أن المنفي المحذوف شامل للأمر الثلاثة المذكورة، فلدلالة آيات كثيرة: أما صحة رسالة الرسول □، وكون الإله المعبود واحداً لا شريك له فقد أشار لهما هنا. أما كون الرسول مرسلًا حقاً ففي قوله تعالى هنا: (وَعِجْبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ٤) يعني أي: لا وجه للعجب المذكور. لأن يجيء المنذر الكائن منهم.

لا شك في أنه بإرسال من الله حقًا.

وقولهم: (هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾) إنما ذكره تعالى إنكارًا عليهم وتكذيبًا لهم. فعرف بذلك أن في ضمن المعنى والقرآن ذي الذكر إنك مرسل حقًا ولو عجبوا من مجيئك منذرًا لهم، وزعموا أنك ساحر كذاب، أي: فهم الذين عجبوا من الحق الذي لا شك فيه، وزعموا أن خاتم الرسل وأكرمهم على الله ساحر كذاب.

وأما كون الإله المعبود واحدًا لا شريك له، ففي قوله هنا: (أَجْعَلِ لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾)، لأن الهمزة في قوله: (أَجْعَلِ) للإنكار المشتمل على معنى النفي، فهي تدل على نفي سبب تعجبهم من قوله □: إن الإله المعبود واحد.

وهذان الأمران قد دلت آيات أخر من القرآن العظيم، على أن الله أقسم على تكذيبهم فيها وإثباتها بالقسم صريحًا كقوله تعالى مقسمًا على أن الرسول مرسل حقًا: (يَسِّرْ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾) [يس: ١-٣]، فهي توضح معنى (صَرَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾) إنك لمن المرسلين.

وقد جاء تأكيد صحة تلك الرسالة في آيات كثيرة كقوله تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾) [البقرة: ٢٥٢]، وأما كونه تعالى هو المعبود الحق لا شريك له، فقد أقسم تعالى عليه في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّجَرَتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالْتَلَيْتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾) ونحو ذلك من الآيات فدل ذلك على أن المعنى تضمن ما ذكر أي: والقرآن ذي الذكر، إن إلهم لواحد كما أشار إليه بقوله: (أَجْعَلِ لِلَّهِ ... الْإِلَهَةَ).

وأما كون البعث حقًا، فقد أقسم عليه إقسامًا صحيحًا صريحًا، في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: (قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ) [التغابن: ١٧]. وقوله تعالى: (قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ) [سبأ: ٣] أي الساعة. وقوله: (قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ) [يونس: ٥٣].

وأقسم على اثنين من الثلاثة المذكورة وحذف المقسم عليه الذي هو الاثنان.



س: وضح معنى قوله تعالى: (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) (٢).

ج: المعنى - والله أعلم -: ولكن أهل الكفر والتكذيب وجحود القرآن في حمية واستكبار عن قبول الحق، حملهم ذلك على الشقاق والخلاف والمعاندة للحق - والله أعلم.

قال الطبري \$:

وقوله: (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) (٢) يقول تعالى ذكره: بل الذين كفروا بالله من مشركي قريش في حمية ومشاقة، وفراق لمحمد وعداوة، وما بهم أن لا يكونوا أهل علم، بأنه ليس بساحر ولا كذاب.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (في عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) (٢) أي: في حمية وفراق. وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) (٢) قال: يعادون أمر الله ورسله وكتابه، ويشاقون، ذلك عزة وشقاق، فقلت له: الشقاق: الخلاف، فقال: نعم.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) (٢) أي: إن في هذا القرآن لذكرًا لمن يتذكر، وعبرة لمن يعتبر. وإنما لم ينتفع به الكافرون؛ لأنهم (في عِزَّةٍ) أي:

استكبار عنه وحمية (وَشَقَاقٍ ٢) أي: مخالفة له ومعاندة ومفارقة.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (بِالَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّ) أي: في تكبر وامتناع من قبول الحق كما قال جل وعز: (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ) [البقرة: ٢٠٦]، والعزة عند العرب: الغلبة والقهر يقال: من عز بز يعني: من غلب سلب ومنه: (وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ٢٣) [ص: ٢٣] أراد غلبني وقال جرير:

يعز على الطريق بمنكبيه كما ابترك الخليع على القداح

أراد يغلب (وَشَقَاقٍ ٢) أي: في إظهار خلاف ومباينة وهو من الشق كأن هذا في شق وذلك في شق.

س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (كَرَّ أَهْلُكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلاَتَ

حِينَ مَنَاصٍ ٣).

ج: المعنى - والله أعلم - : ولقد أهلكنا قرونًا كثيرة قبل كفار قريش فلما جاءهم بأسنا وحلَّ بهم عذابنا نادى بعضهم بعضًا مستغيثين مستجدين، لكنهم نادوا في وقتٍ ليس بوقت فرار ولا هروب.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: كثيرًا أهلكنا من قبل هؤلاء المشركين من قريش الذين كذبوا رسولنا محمدًا □ فيما جاءهم به من عندنا من الحق (مِّنْ قَرْنٍ) يعني: من الأمم الذين كانوا قبلهم، فسلخوا سبيلهم في تكذيب رسلهم فيما أتوهم به من عند الله (فَنَادَوا) يقول: فعجوا إلى ربهم وضجوا واستغاثوا بالتوبة إليه، حين نزل بهم بأس الله وعابنوا به عذابه فرارًا من عقابه، وهربًا من أليم عذابه (وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ ٣) يقول: وليس ذلك حين فرار ولا

هرب من العذاب بالتوبة، وقد حقت كلمة العذاب عليهم، وتابوا حين لا تنفعهم التوبة، واستقالوا في غير وقت الإقالة. وقوله: (مَنَاصٍ ٣) مفعول من النوص، والنوص في كلام العرب: التأخر، والمناص: المفر؛ ومنه قول امرئ القيس:

أمن ذكر سلمى إذ نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة وتبوص

يقول: أو تقدم يقال من ذلك: ناصني فلان: إذا ذهب عنك، وباصني: إذا سبقك، وناض في البلاد: إذا ذهب فيها، بالضاد.

وقال ابن كثير \$:

ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسول وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء فقال: (كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مَن قَرِنَ) أي: من أمة مكذبة، (فَنَادَوْا) أي: حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله. وليس ذلك بمُجَدٍ عنهم شيئاً. كما قال تعالى: (فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ١٣) [الأنبياء: ١٢] أي: يهربون، (لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ ١٣) [الأنبياء: ١٣].

ثم قال \$:

وهذه الكلمة وهي (وَلَاتَ) هي (لا) التي للنفي، زيدت معها (التاء) كما تزداد في (ثم) فيقولون: (ثمت)، و (رب) فيقولون: (ربت). وهي مفصولة والوقف عليها. ومنهم من حكى عن المصحف الإمام فيما ذكره [ابن جرير] أنها متصلة بحين: (ولا تحين مناص). والمشهور الأول. ثم قرأ الجمهور بنصب (حين) تقديره: وليس الحين حين مناص. ومنهم من جوز النصب بها، وأنشد:

تَذَكَّرْ حُبَّ لَيْلَى لَاتَ حِينَا وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ الْقَرِينَا

ومنهم من جوز الجر بها، وأنشد:

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلَا تَأْوَانٍ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ

وأنشد بعضهم أيضاً:

وَلَا تَسَاعَاةٌ مِّنْ دَمٍ

بخفض الساعة، وأهل اللغة يقولون: النوص: التأخر، والبوص:

التقدم. ولهذا قال تعالى: (وَلَا تَحِينَ مَنَاصِرٍ ﴿٢﴾) أي: ليس الحين حين فرار ولا ذهاب.



س: الكفار إذا رأوا العذاب نادوا نداءات متنوعة. وضح ذلك.

ج: قال الشنقيطي \$ في «أضواء البيان»:

ندأؤهم إذا أحسوا بأوائل العذاب فقد ذكر تعالى في آيات من كتابه نوعين من أنواع ذلك النداء.

أحدهما: ندأؤهم باعترافهم أنهم كانوا ظالمين، وذلك في قوله تعالى: (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾) إلى قوله تعالى: (قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلْمِينَ ﴿١٥﴾) [الأنبياء: ١١-١٥]، وقوله تعالى: (وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾) فَمَا كَانَ دَعْوُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾) [الأعراف: ٤-٥].

الثاني: من نوعي النداء المذكور ندأؤهم بالإيمان بالله مستغيثين من ذلك العذاب الذي أحسوا أوائله، كقوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سَتَّ اللَّهُ آلَتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَاكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾) [غافر: ٨٤-٨٥] وهذا النوع الأخير هو الأنسب والأليق بالمقام، لدلالة قوله: (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾) [ص: ٣] عليه.

قال الشنقيطي \$ في «أضواء البيان»:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾) الذي هو المسألة الثالثة، معناه: ليس الحين الذي نادوا فيه، وهو وقت معاينة العذاب، حين مناص، أي: ليس حين فرار ولا ملجأ من ذلك العذاب الذي عاينوه.

فقوله: (وَلَاتَ) هي لا النافية زيدت بعدها تاء التأنيث اللفظية كما

زيدت في ثم، فقليل فيها ثمت، وفي رب، فقليل فيها ربت.

وأشهر أقوال النحويين فيها، أنها تعمل عمل ليس وأنها لا تعمل إلا في الحين خاصة، أو في لفظ الحين ونحوه من الأزمنة، كالساعة والأوان، وأنها لا بد أن يحذف اسمها أو خبرها والأكثر حذف المرفوع منهما وإثبات المنصوب، وربما عكس، وهذا قول سيبويه وأشار إليه ابن مالك في الخلاصة بقوله:

في النكرات أعملت كليس « لا » وقد تلى « لات » و « أن » ذا

وما للات في سوى حين عمل وحذف ذي الرفع فشا والعكس

والمناص مفعل من النوص، والعرب تقول: ناصه ينوصه إذا فاتته وعجز عن إدراكه، ويطلق المناص على التأخر؛ لأن من تأخر ومال إلى ملجأ ينقذه مما كان يخافه فقد وجد المناص.

والمناص والملجأ والمفر والموئل معناها واحد، والعرب تقول: استناص إذا طلب المناص، أي: السلامة والمفر مما يخافه، ومنه قول حارثة ابن بدر:

غمر الجراء إذا قصرت عنانه بيدي استناص ورام جري

والأظهر أن إطلاق النوص على الفوت والتقدم، وإطلاقه على التأخر والروغان كلاهما راجع إلى شيء واحد؛ لأن المناص مصدر ميمي معناه المنطبق على جزئياته، أن يكون صاحبه في كرب وضيق، فيعمل عملاً، يكون به خلاصه ونجاته من ذلك.

س: هل صح لهذه الآيات سبب نزول: (أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ...)؟

ج: لا أعلم لها سببين نزول صحيح.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَيَجِئُوكَ أَنَّ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ

الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ۝٤ أَجْعَلِ لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥).

ج: المعنى - والله أعلم :- وعجب الكفار من أهل مكة وغيرهم من الكفار أن بُعث إليهم رسولٌ بشري من البشر، فوصفوه بأنه ساحر كذاب، وقالوا متعجبين: أجعل المعبودات معبودًا واحدًا لا يُعبد غيره؟! (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥).

تعجبوا من كون الله ٥ يسمعهم جميعًا ويجيبهم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وعجب هؤلاء المشركون من قريش أن جاءهم منذر ينذرهم بأس الله على كفرهم به من أنفسهم، ولم يأتهم ملك من السماء بذلك (وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ۝٤) يقول: وقال المنكرون وحدانية الله: هذا، يعنون محمدًا □، ساحر كذاب.

وقوله: (أَجْعَلِ لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا) يقول: وقال هؤلاء الكافرون الذين قالوا: محمد ساحر كذاب: أجعل محمد المعبودات كلها واحدًا، يسمع دعاءنا جميعنا، ويعلم عبادة كل عابد عبده منا (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥) أي: إن هذا لشيء عجيب.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (أَجْعَلِ لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا) إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ قال: عجب المشركون أن دُعوا إلى الله وحده، وقالوا: يسمع لحاجتنا جميعًا إله واحد! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في تعجبهم من بعثة الرسول بشراً، كما قال تعالى: (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾) وقال هاهنا: (وَجَعَلُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ) أي: بشر مثلهم، (وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾) أَجَعَلَ لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا) أي: أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو؟! أنكر المشركون ذلك -قبحهم الله تعالى- وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول □ إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا: (أَجَعَلَ لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَابٌ ﴿٥﴾) .



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا وَاصْبِرُوا عَلَى ءَالِهِمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ ﴿٦﴾) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴿٧﴾) .

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن الملأ من أهل الكفر وهم الأشراف والكبراء انطلقوا مسرعين لإخوانهم الذين هم على شاكلتهم يحذرونهم من اتباع رسول الله □ فيما دعاهم إليه من توحيد الله ٥ ويقول: استمروا على عبادة آلهتكم لا تتركوها فهذا أمرٌ يُخطط له ويببئ له، ويريده محمد □، يريد أن نكون له أتباع وأن تكون له السيادة علينا وأن يصرفنا عن عبادة آلهتنا التي نعبد، وما قد سمعنا بهذا في الملة النصرانية، فقد كان النصارى أهل شرك، ثم قالوا: ما هذا الذي يدعونا إليه محمد □ إلا كذب وافتراء.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل، قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: وانطلق الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش، القائلين: (أَجْعَلِ لِلْمَلَةِ إِلَهًا وَحِدًا) بأن امضوا فاصبروا على دينكم وعبادة آلهمكم. ف(أَنْ) من قوله: (أَنْ أَمْشُوا) في موضع نصب يتعلق انطلقوا بها، كأنه قيل: انطلقوا مشيًا، ومضيًا على دينكم. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (وانطلق الملاء منهم يمشون أن اصبروا على آلهمكم). وذكر أن قائل ذلك كان عقبة بن أبي معيط.

وقوله: (إِنَّ هَذَا شَيْءٌ يُرَادُّ ٦) أي: إن هذا القول الذي يقول محمد، ويدعونا إليه، من قول لا إله إلا الله، شيء يريد من محمد يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعًا ولسنا مجيبيه إلى ذلك.

وقوله: (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَةِ الْآخِرَةِ) اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من البراءة من جميع الآلهة إلا من الله تعالى ذكره، وبهذا الكتاب الذي جاء به في الملة النصرانية، قالوا: وهي الملة الآخرة.

وقال آخرون: بل عنوا بذلك: ما سمعنا بهذا في ديننا دين قريش.

وقوله: (إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ٧) يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هؤلاء المشركين في القرآن: ما هذا القرآن إلا اختلاق أي: كذب اختلقه محمد وتخرّصه.

وقال ابن كثير \$:

(وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ) وهم ساداتهم وقاداتهم ورؤساؤهم وكبرائهم قائلين: (أَمْشُوا) أي: استمروا على دينكم (وَأَصْبِرُوا عَلَى إِلَهَيْكُمْ) ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد من التوحيد.

وقوله: (إِنَّ هَذَا شَيْءٌ يُرَادُّ ٦) قال ابن جرير: إن هذا الذي يدعونا إليه

محمد □ من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء، وأن يكون له منكم أتباع ولسنا مجيبيه إليه.

س: وضع معنى قولهم: (أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۙ أَمِنْهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۙ) (٨).

ج: هذا استفهام استنكاري من الكفار استنكروا نزول القرآن على رسول الله □ من بينهم، فقالوا: (أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) أي: القرآن، (مِنْ بَيْنِنَا) فتعجبوا من ذلك.

قال تعالى: (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي) أي: إنهم لا يكذبون رسول الله □ فإنهم يعلمون أنه صادق، ولكنهم في شك من نزول الوحي عليه؛ كما قال تعالى: (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۙ) (الأنعام: ٣٣)، أما قوله تعالى: (بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۙ) (٨) أي: إنهم لم يذوقوا عذاب الله على الشرك الذي صدر منهم ولو ذاقوا العقوبة على الشرك ما تمادوا في شركهم.

أما قوله تعالى: (أَمِنْهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۙ) (٩) فحاصله الاستنكار عليهم فيما طلبوا وسألوا واستنكروا، فالمعنى إن خزائن رحمة الله بيد الله ليست بأيديهم هو الذي يهب من يشاء ويمنع من يشاء لا مانع له ممن أراد، ولا راد لما قضى، فهو الذي يتفضل بالنبوة والعلم والوحي على من يشاء.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء المشركين من قريش: أنزل على محمد الذكر من بيننا فخص به، وليس بأشرف منا حسباً. وقوله: (بَلْ

هُم فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي) يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين أن لا يكونوا أهل علم بأن محمداً صادق، ولكنهم في شك من وحيانا إليه، وفي هذا القرآن الذي أنزلناه إليه أنه من عندنا، (بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۙ) يقول: بل لم ينزل بهم بأسنا، فيذوقوا وبال تكذيبهم محمداً، وشكهم في تنزيلنا هذا القرآن عليه، ولو ذاقوا العذاب على ذلك علموا وأيقنوا حقيقة ما هم به مكذبون، حين لا ينفعهم علمهم (أَمْعِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۙ) يقول تعالى ذكره: أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحي الله إلى محمد خزائن رحمة ربك، يعني: مفاتيح رحمة ربك يا محمد، العزيز في سلطانه، الوهاب لمن يشاء من خلقه، ما يشاء من ملك وسلطان ونبوة، فيمنعوك يا محمد، ما مَنَّ الله به عليك من الكرامة، وفضلك به من الرسالة.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وقولهم: (أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا) يعني: أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه من بينهم كلهم كما قالوا في الآية الأخرى: (لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ۙ) [الزخرف: ٣١]، قال الله تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) [الزخرف: ٣٢]، ولهذا لما قالوا هذا الذي دل على جهلهم وقلة عقلهم في استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم، قال الله تعالى: (بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۙ) أي: إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله ونقمته سيعلمون غب ما قالوا، وما كذبوا به يوم يُدْعَوْنَ إلى نار جهنم دَعَا.

ثم قال مبيناً أنه المتصرف في ملكه الفعال لما يشاء الذي يعطي من يشاء ما يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويهدي من يشاء، ويضل

من يشاء، وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده ويختم على قلب من يشاء، فلا يهديه أحد من بعد الله، وإن العباد لا يملكون شيئاً من الأمر وليس إليهم من التصرف في الملك ولا مثقال ذرة وما يملكون من قطمير؛ ولهذا قال تعالى منكرًا عليهم: (أَمْعِنْدُهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿١﴾) أي: العزيز الذي لا يرام جنباه الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد.

وهذه الآية شبيهة بقوله: (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ [النساء: ٥٣]؛ وقوله: (قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَثُورًا ﴿١٠٠﴾) [الإسراء: ١٠٠]، وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البشري وكما أخبر تعالى عن قوم صالح حين قالوا: (أَتُؤْتِي الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾) [القمر: ٢٥-٢٦].

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا) هو استفهام إنكار والذكر ها هنا القرآن أنكروا اختصاصه بالوحي من بينهم فقال الله تعالى: (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي) أي: من وحيي وهو القرآن أي: قد علموا أنك لم تزل صدوقًا فيما بينهم وإنما شكوا فيما أنزلته عليك هل هو من عندي أم لا؟ (بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾) أي: إنما اغتروا بطول الإمهال ولو ذاقوا عذابي على الشرك لزال عنهم الشك ولما قالوا ذلك، ولكن لا ينفع الإيمان حينئذ و(لَمَّا) بمعنى: لم وما زائدة كقوله: (عَمَّا قَلِيلٍ) [المؤمنون: ٤٠]، و(فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَقَهُمْ) [النساء: ١٥٥]، قوله تعالى: (أَمْعِنْدُهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿١﴾) قيل: أم لهم هذا

فيمنعوا محمداً غمماً أنعم الله عز وجل به عليه من النبوة و(أم) قد ترد بمعنى التقرير إذا كان الكلام متصلاً بكلام قبله كقوله تعالى: (الْم ١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ٣) [السجدة: ١ - ٣]، وقد قيل: إن قوله: (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ) متصل بقوله: (وَيَجِئُوكَ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) ٤] فالمعنى أن الله يرسل من يشاء؛ لأن خزائن السموات والأرض له.



س: وضع معنى قوله تعالى: (أَمْ لَهُمْ ثُنَايَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ١٠) جُنْدٌ مَاهُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ١١).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: هؤلاء المشركين المكذابين المستبشرين أن ننزل الرسالة على النبي محمد □، ألهم السلطان في السموات والأرض يعطوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ويأمرؤا بما شاءوا وينهوا عما شاءوا؟! فإذا كان ذلك لهم فليصعدوا في السموات وليطرقوا أبوابها كي يصلوا إلى السماء السابعة إن استطاعوا فإن فكروا في ذلك، فإنهم بلا شك ولا ريب مهزومون، فقوله: (جُنْدٌ مَاهُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ١١) حاصله أن هؤلاء المتحزبين على تكذيب رسول الله المعترضين على رسالته إذا فكروا في سلوك الأسباب الموصلة إلى السماء سيهزموا بلا ريب ولا شك، فقوله: (هُنَالِكَ) أي: عند أبواب السموات، ومن أهل العلم، وهم الأكثر ذكروا أن قوله: (هُنَالِكَ) أي: يوم بدر، وقال آخرون: (هُنَالِكَ) أي: يوم الأحزاب يوم الخندق.

وهذا منهم - والله أعلم - لكون غزو الفضاء لم يكن موجوداً في

زمانهم ولم يكن متصوراً في زمانهم ولو كان متصور لكان هناك من حمل الآية الكريمة عليه، مع أنه قد أشير إليه أيضاً.

هذا، والآية الكريمة توضحها الآية الأخرى: (يَمَعَشَرِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبُونَ ﴿٣٤﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْصَرُونَ ﴿٣٥﴾) [الرحمن: ٣٣-٣٥]، والله أعلم.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في الآية الكريمة.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: أم لهؤلاء المشركين الذين هم في عزة وشقاق (مُكِّ) السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) فإنه لا يعازني ويشاقتني من كان في ملكي وسلطاني. وقوله: (فَلْيَرْفَعُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾) يقول: وإن كان لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما، فليصعدوا في أبواب السماء وطرقها، فإن من كان له ملك شيء لم يتعذر عليه الإشراف عليه، وتفقدته وتعهدته. واختلف أهل التأويل في معنى الأسباب التي ذكرها الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: عني بها أبواب السماء.

وقوله: (جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾) يقول تعالى ذكره: هم (جُنْدٌ) يعني: الذين في عزة وشقاق هنالك، يعني: ببدر مهزوم. وقوله: (هُنَالِكَ) من صلة مهزوم وقوله: (مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾) من صلة قوله جند، ومعنى الكلام: هم جند من الأحزاب مهزوم هنالك، وما في قوله: (جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ) صلة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾) قال: وعده الله وهو بمكة يومئذ أنه سيهزم جنداً من المشركين، فجاء تأويلها

يوم بدر.

وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك (جُنْدٌ مَاهُنَالِكُ) مغلوب عن أن يصعد إلى السماء.

وقال ابن كثير \$:

ثم قال: (جُنْدٌ مَاهُنَالِكُ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾) أي: هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون ويكتبون كما كتبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين وهذه كقوله: (أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلِّفُونَ الدُّبْرَ ﴿٤٥﴾) وكان ذلك يوم بدر (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَىٰ وَآمُرُ ﴿٤٦﴾) [القمر: ٤٤-٤٦].

وقال القرطبي \$:

(أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي: فإن ادعوا ذلك (فَلْيَرْثُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾) أي: فليصعدوا إلى السماوات وليمنعوا الملائكة من إنزال الوحي على محمد، يقال: رقي يرقى وارتقى إذا صعد ورقى يرقى رقيًا مثل رمى يرمي رميًا من الرقية قال الربيع بن أنس: الأسباب أرق من الشعر وأشد من الحديد ولكن لا ترى والسبب في اللغة كل ما يوصل به إلى المطلوب من حبل أو غيره وقيل: الأسباب أبواب السماوات التي تنزل الملائكة منها قاله مجاهد و قتادة قال زهير:

ولو رام أسباب السماء بسلم

وقيل: الأسباب السماوات نفسها أي: فليصعدوا سماءً سماءً، وقال السدي: (فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾) في الفضل والدين وقيل: أي فليعلوا في أسباب القوة إن ظنوا أنها مانعة وهو معنى قول أبي عبيدة وقيل: الأسباب الحبال

يعني إن وجدوا حبلاً أو سبباً يصعدون فيه إلى السماء فليرتقوا وهذا أمر توبيخ وتعجيز ثم وعد نبيه □ النصر عليهم فقال: (جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ)، (مَا) صلة وتقديره هم جند فـ (جُنْدٌ) خبر ابتداء محذوف (مَهْزُومٌ) أي: مقموع ذليل قد انقطعت حجتهم؛ لأنهم لا يصلون إلى أن يقولوا هذا لنا ويقال: تهزمت القربى إذا انكسرت وهزمت الجيش كسرته والكلام مرتبط بما قبل: أي: (بِالَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) □ وهم جند من الأحزاب مهزومون فلا تغمك عزتهم وشقاقهم فإني أهزم جمعهم وأسلم عزهم وهذا تأنيس للنبي □ وقد فعل بهم هذا في يوم بدر قال قتادة: وعد الله أنه سيهزمهم وهم في مكة فجاء تأويلها يوم بدر، و(هُنَالِكَ) إشارة لبدر وهو موضع تحزبهم لقتال محمد □ وقيل: المراد بالأحزاب الذين أتوا المدينة وتحزبوا على النبي □ وقد مضى ذلك في (الأحزاب) والأحزاب: الجند كما يقال: جند من قبائل شتى، وقيل: أراد بالأحزاب القرون الماضية من الكفار أي هؤلاء جند على طريقة أولئك.



عقاب الله للمكذبين

س: وضح معنى قوله تعالى: (كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ) (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤)).

ج: المعنى - والله أعلم -: وإن كان قومك قد كذبوك يا رسول الله، فإن قوم نوح من قبلهم قد كذبوا نبيهم نوحاً غ، وكذا كذبت قبيلة عاد نبيها هوداً غ، وكذا كذب فرعون - عليه لعنة الله - كذب نبي الله موسى غ فرعون

الذي كانت له أوتاد يعذب بها الناس يربطهم فيها، وله أوتاد يلعب تحتها كتلك الأوتاد التي تثبت في الأرض وتنصب حولها الخيام.

وقيل في الأوتاد: إن المراد بها البنيان.

وكذا كذبت قبيلة ثمود نبيها صالحاً غ، كذا قوم لوط كذبوا لوطاً غ، وكذا أصحاب الأيكة وهي الشجر الكثير الملتف، كذبوا نبيهم شعيباً غ، فهؤلاء قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد، وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة هم الأحزاب الكافرة الذين كانوا في الدنيا أقوياء جبابرة أولئك المتحزبون ضد رسل الله الكرام، كلهم كذب الرسل فحق عليهم عقابي ووجب عليهم عذابي.

* وينحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: كذبت قبل هؤلاء المشركين من قريش - القائلين: أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟! - رسلها، قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد.

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله قيل لفرعون ذو الأوتاد، فقال بعضهم: قيل ذلك له لأنه كانت له ملاعب من أوتاد، يلعب له عليها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٣﴾) قال: كان له

أوتاد وأرسان، وملاعب يلعب له عليها.

وقال آخرون: بل قيل ذلك له كذلك لتعذيبه الناس بالأوتاد.

وقال آخرون: معنى ذلك: ذو البنيان، قالوا: والبنيان: هو الأوتاد.

وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك الأوتاد، إما

لتعذيب الناس، وإما للعب، كان يلعب له بها، وذلك أن ذلك هو المعروف

من معنى الأوتاد، وثمود وقوم لوط، وقد ذكرنا أخبار كل هؤلاء فيما مضى قبل من كتابنا هذا. (وَأَصْحَابُ نَيْكَةٍ) يعني: وأصحاب الغيضة. وكان أبو عمرو بن العلاء فيما حدثت عن معمر بن المثنى، عن أبي عمرو يقول: الأيكة: الحرجة من النبع والسدر، وهو الملتف منه، قال الشاعر:

أفمن بكاء حمامة في أيكة يرفض دمعك فوق ظهر المحمل
يعني: محمل السيف.

وقوله: (أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾) يقول تعالى ذكره: هؤلاء الجماعات المجتمعة، والأحزاب المتحزبة على معاصي الله والكفر به، الذين منهم يا محمد مشركو قومك، وهم مسلوك بهم سبيلهم. (إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ) يقول: ما كل هؤلاء الأمم إلا كذب رسل الله؛ وهي في قراءة عبد الله كما ذكر لي: (إِنْ كُلُّ لَمَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ) يقول: فوجب عليهم عقاب الله إياهم.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء القرون الماضية، وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء وقد تقدمت قصصهم مبسطة في أماكن متعددة.

وقوله: (أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾) أي: كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فما دافع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك؛ ولهذا قال: (إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ ﴿١٤﴾) فجعل علة هلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَمَا يَنْظُرُهُمْ إِلَّا صِيحَةٌ وَاحِدَةٌ مَّا لَهُمِنْ فَوْاقٍ ۝١٥).

ج: الظاهر - والله أعلم -: أن المعنى وما ينتظر هؤلاء المشركون بعد أن اطلعوا على أخبار الأمم المكذبة المشركة التي تقدمتهم، ماذا ينتظر كفار قريش ومن تابعهم على كفرهم، ماذا عساهم أن ينتظروا، فلينتظروا صيحة واحدة، وهي صيحة النفخ في الصور ليس لها فتور ولا انقطاع بل هي مستمرة متواصلة، ليس لها ارتداد ولا رجوع، وليس للمشركين معها إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: (وَمَا يَنْظُرُهُمْ إِلَّا صِيحَةٌ وَاحِدَةٌ) يعني بالصيحة الواحدة: النفخة الأولى في الصور (مَّا لَهُمِنْ فَوْاقٍ ۝١٥) يقول: ما لتلك الصيحة من فيقة، يعني: من فتور ولا انقطاع.

وأورد أقوالاً منها بإسناد صحيح عن ابن زيد قال في قوله: (مَّا لَهُمِنْ فَوْاقٍ ۝١٥) قال: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة ما لها من فوق، يا لها من صيحة لا يفيقون فيها كما يفيق الذي يغشى عليه وكما يفيق المريض تهلكهم، ليس لهم فيها إفاقة.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: (وَمَا يَنْظُرُهُمْ إِلَّا صِيحَةٌ وَاحِدَةٌ مَّا لَهُمِنْ فَوْاقٍ ۝١٥) قال مالك عن زيد ابن أسلم: أي: ليس لها مثوية أي: ما ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها أي: فقد اقتربت ودنت وأزفت وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله إسرافيل أن يطولها، فلا يبقى أحد من أهل السموات

وقال القرطبي \$:

قال الله تعالى:

(وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾) [ص: ١٦-٢٠]

س: اذكر معنى ما يلي:

(قَطْنَا - يَوْمِ الْحِسَابِ - ذَا الْأَيْدِ - أَوَّابٌ - بِالْعَشِيِّ - مَحْشُورَةٌ - كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ - وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ - الْحِكْمَةَ - وَفَصَّلَ الْخُطَابِ).

ج:

معناها	الكلمة
كتابنا - ما كتبته علينا من العذاب أو الثواب نصيبنا من العذاب - حظنا من العذاب	(قَطْنَا)
يوم القيامة	(يَوْمِ الْحِسَابِ)
ذا القوة والبطش - ذا النعم (أنعم الله عليه بنعم عظيمة)	(ذَا الْأَيْدِ)
رجّاع - مكثّر من التسبيح والاستغفار	(أَوَّابٌ)
ما بين العصر إلى الليل وقت صلاة الضحى بعد إشراق الشمس	(بِالْعَشِيِّ)
مُجْتَمِعَةٌ - مجموعة	(مَحْشُورَةٌ)
كلّ له مُطِيع رجّاع، كلّ معه مسبّح لله	(كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ)
قويّنا ملكه بكثرة الجنود الذين أعدوا لحراسته أعطيناه هيبه عظيمة في قلوب الناس قويّناه في مملكته وجعلنا له ملكاً كاملاً مما يحتاج إليه الملوك	(وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ)
الفهم والفتنة والعقل - السداد في القول والعمل والنبوة	(الْحِكْمَةَ)

الفصل في القضايا والأحكام، وذلك بالتوفيق والفهم في القضايا والأحكام، وبالشاهدين واليمين، وبغير ذلك. وقيل: هو قول (أما بعد) في الخطب للفصل بين المقدمة والموضوع.	(وَفَصَّلَ الْخُطَابِ)
--	-------------------------------



س: من القائلون: (رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾)؟ وعلى أي وجه قالوا هذا القول؟ وما معناه؟

ج: قائلوه هم الكفار، قالوه على سبيل الاستهزاء والاستخفاف والتكذيب، كما في قوله تعالى: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾) **[يونس: ٤٨]**، وكما في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالُوا اٰللّٰهُمَّ اِنْ كَانَتْ هَٰذِهِآ اَلْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَآءِ اَوْ اُنْزِلْ عَلَيْنَا نَارًا مِّنَ السَّمَآءِ) **[الأنفال: ٣٢]**.

أما عن معنى الآية: فإن أهل الشرك لما هُددوا بالعذاب يوم القيامة قالوا: مستخفين بمن أخبرهم بذلك ومستبعبين لوقوعه (رَبَّنَا) أي: يا ربنا (عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ) أحل علينا في الدنيا عاجلاً غير آجل نصيبنا من العذاب قبل يوم القيامة؛ والله أعلم.

هذا، وإن كان هناك من أهل العلم من وجَّه الآية توجيهات أخر.

قال الطبري §:

وقوله: (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾) يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش: يا ربنا عجل لنا كتبنا قبل يوم القيامة. والقط في كلام العرب: الصحيفة المكتوبة؛ ومنه قول الأعشى:

ولا الملك النعمان يوم لقيته بنعمته يعطي القطوط ويأفق

يعني بالقطوط: جمع القط، وهي الكتب بالجوائز.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أراد هؤلاء المشركون بمسألتهم ربهم تعجيل القط لهم، فقال بعضهم: إنما سألوا ربهم تعجيل حظهم من العذاب الذي أعد لهم في الآخرة في الدنيا، كما قال بعضهم: (إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْزِلْ عَلَيْنَا آيَةً) [الأنفال: ٣٢].

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) (١٦) أي نصيبنا حظنا من العذاب قبل يوم القيامة، قال: قد قال ذلك أبو جهل: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً (فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ) [الأنفال: ٣٢] ... الآية.

وقال آخرون: بل إنما سألوا ربهم تعجيل أنصبتهم ومنازلهم من الجنة حتى يروها فيعلموا حقيقة ما يعدهم محمد □ فيؤمنوا حينئذ به ويصدقوه.

وقال آخرون: مسألتهم نصيبهم من الجنة، ولكنهم سألوا تعجيله لهم في الدنيا.

وقال آخرون: بل سألوا ربهم تعجيل الرزق.

وقال آخرون: سألوا أن يعجل لهم كتبهم التي قال الله: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) [الحاقة: ١٩] (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ) [الحاقة: ٢٥] في الدنيا، لينظروا بأيمانهم يعطونها أم بشمائلهم؟ لينظروا من أهل الجنة هم، أم من أهل النار قبل يوم القيامة استهزاء منهم بالقرآن وبوعد الله.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن القوم سألوا ربهم تعجيل صكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر الذي وعد الله عباده أن يؤتيهموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا استهزاء بوعد الله.

وإنما قلنا إن ذلك كذلك؛ لأن القط هو ما وصفت من الكتب بالجوائز والحظوظ، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه: (أَصِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) فكان معلومًا بذلك أن مسألتهم ما سألوها النبي ﷺ لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذي يتبع الأمر بالصبر عليه، ولكن لما كان ذلك استهزاء، وكان فيه لرسول الله ﷺ أذى، أمره الله بالصبر عليه حتى يأتيه قضاؤه فيهم، ولما لم يكن في قوله: (عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا) بيان أي القطوط إرادتهم، لم يكن لما توجيه ذلك إلى أنه معني به القطوط ببعض معاني الخير أو الشر، فلذلك قلنا إن مسألتهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشر.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾) هذا إنكار من الله على المشركين في دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب، فإن القط هو الكتاب وقيل: هو الحظ والنصيب.



النهى عن تمنى البلاء

س: هل يشرع تمنى نزول العذاب والبلاء في الدنيا حتى لا يعذب الشخص في الآخرة؟

ج: لا يشرع ذلك، بل المشروع سؤال الله ۞ العافية أما أهل الكفر فلكونهم يستنكرون وقوع العذاب، وينكرون البعث فإنهم يقولون مستخفين: (رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾).

*** وكما قالوا:** (فَأَنَّا بِمَا تَعَدُّنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾) [الأعراف: ٧٠].

*** فهكذا** كانوا يستعجلون العذاب، قال تعالى: (وَسْتََعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾) [العنكبوت: ٥٣].

*** وقال تعالى:** (وَسْتََعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) [الرعد: ٦].

وقد يفعل ذلك من قلَّ علمه من المسلمين.

ففي صحيح مسلم ^(١) عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟». قَالَ: نَعَمْ كُنْتُ أَقُولُ اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجَّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تَطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ (إِنِّي أَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾) [البقرة: ٢٠١]». قَالَ فَدَعَا اللَّهَ لَهُ فَشَفَّاهُ.

وفي رواية عند مسلم: «لَا طَاقَةَ لَكَ بِعَذَابِ اللَّهِ»، فما المسنون وما المشروع إذن؟!

المسنون والمشروع سؤال الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

المسنون قول: (رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾) [البقرة: ٢٠١].

*** فكم من شخص سعيد في الدنيا والآخرة.**

*** قال تعالى في شأن عيسى غ:** (وَجِئْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾).

[آل عمران: ٤٥]

*** وموسى غ ألقى الله عليه محبةً منه، ومع ذلك فهو في الآخرة من المقربين!!**

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٨٨).

* وسليمان غ كان نبياً ملكاً سُخِّرَتْ لَهُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ وَالطَّيْرُ وَمَعَ ذَلِكَ إِنْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ (لَزُلْفَى وَحُسْنِ مَتَابٍ ﴿٢٥﴾) [ص: ٢٥].

* وإبراهيم غ يسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل له لسان صدق في الآخرين، أي ثناءً حسناً بعد الموت.
فمن ثم لا يشرع سؤال العذاب، بل يُسأل الأجر والثواب، والعافية والمعافة في الدنيا والآخرة.



س: اذكر بعض الوارد في شأن نبي الله داود غ، وكذا اذكر شيئاً من فضائله.

ج: أقول، وبالله تعالى التوفيق:

* إنه من الفئة المؤمنة التي ابتليت فخرجت من الابتلاء سالمة آمنة غانمة موفقة.

* إنه من الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى!

* **هؤلاء الملأ الذين سألوا نبياً^(١) لهم فقالوا: (أَبَعَثَ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ) [البقرة: ٢٤٦].**

* لكن نبي الله داود غ لم يتول ولم ينكص على عقبيه، ولم يُغَيَّرْ ولم يُبَدَّلْ.

* **إن نبينا محمداً □ وصف هذا النبي الكريم بقوله: «... ولا يفر إذا**

(١) قيل: إن هذا النبي اسمه (شمویل)، ولكن لا نعلم دليلاً من الكتاب والسنة على ذلك.

(١) «لاقي» .

وكيف يفرُّ، والفرار كبيرةٌ من أعظم الكبائر؟! قال تعالى: (يَكَايَهُمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ۝١٥) وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءٌ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝١٦) [الأنفال: ١٥، ١٦].

فكيف يُولي الدبر إذن؟؟؟!!!

* **كيف ذلك والنبي □ يقول:** «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قالوا: وما هن يا رسول الله؟... فقال: «.... وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ» (٢)؟!

* لم يعترض هذا النبي الكريم قبل نبوته على تأمير طالوت عليهم ولم يحسد طالوت على ما آتاه الله من الفضل، أما غيره من بني إسرائيل فقد اعترضوا و(قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ).

[البقرة: ٢٤٧]

* أما أهل الإيمان ومنهم داود غ فلا يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، بل هم مباركون أينما كانوا، رؤساء أو مرءوسين.

* كذلك فإنه غ قد مرَّ من ابتلاء النهر بسلام وأمان ووفاء وجاوزه مؤمناً موقناً بوعد الله ٥.

أما غيره فخالفوا أمر ملكهم، قال تعالى: (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ

(١) صحيح، وسيأتي إن شاء الله.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٨٥٧)، ومسلم (حديث ٨٩) من حديث أبي هريرة فمرفوعاً.

أَعْتَرَفَ عُرْفَهُ بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ (البقرة: ٢٤٩).

وداود غ من هذه القلة المؤمنة الذين امتثلوا وصبروا فجاوز غ النهر مؤمناً مع الفئة المؤمنة - فما جاوز النهر إلا مؤمن - جاوزه في طائفة من أهل الإيمان عددهم عدد أصحاب بدر من المؤمنين.

أخرج البخاري (١) من حديث البراء فقال: حدثني أصحاب محمد □
ممن شهد بدرًا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، بضعة عشر وثلاثمائة.

قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن.

*** وماذا بعد أن جاوزا النهر، وماذا لما برزوا لجالوت وجنوده؟!**

جاوزا النهر وبرزا لجالوت وجنوده فقالوا: (لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) (البقرة: ٢٤٩).

لكن داود غ لم يقل ذلك، بل كان من الطائفة المؤمنة التي تؤمن ببقاء الله، فكان فيمن قالوا: (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة: ٢٤٩).

*** كان فيمن قالوا - لما برزوا لجالوت وجنوده -: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (البقرة: ٢٥٠)!!**

*** فكان ماذا؟**

*** كان أن مكنه الله من قتل جالوت الكافر، فالحمد لله رب العالمين (وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ) (البقرة: ٢٥١).**

فهكذا يصبر داود غ على البلاء، وينجو من ابتلاء تلو ابتلاء وهكذا

(١) البخاري (حديث ٣٩٥٧).

تكون العاقبة للتقوى!!!

* لم يرتدّ على عقبيه لما فرض عليه القتال!!

* لم يعترض على تأمير طالوت عليهم!!

* لم يشرب من النهر، بل صبر امتثالاً للأمر!!

* لم يضعف ولم يهن عن لقاء العدو، بل استعان بالله وصبر!!

* لم يترك نفسه لنفسه ولم يغتر بقوته، بل سأل الله العون وطلب منه

الصبر والثبات والنصر على الأعداء!!

فصبرٌ يتلوهُ صبرٌ!! وثباتٌ يتبعه ثبات!!!

واستعانةً بالله بعد استعانة! وسؤالُ الله النصر على الأعداء!!

ويقين بالله مع إيمانٍ وصبرٍ!

فبهذا - بعد توفيق الله - تناول الإمامة: بالصبر واليقين، قال تعالى:

(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) [السجدة: ٢٤]،
نعم تُنال الإمامة بالصبر واليقين.

* وقال تعالى في شأن الخليل إبراهيم غ: (وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) [البقرة: ١٢٤] ابتلى الله إبراهيم غ بأوامر ونواهٍ،

فامتثل الأمر واجتنب ما نهاه عنه ربه ٥، فجعله الله الناس إماماً!!

قال تعالى: (وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ) [البقرة: ٢٥١].

* لقد آتاه الله الملك.

* بل لقد أصبح بعدُ خليفةً في الأرض!!

*** قال تعالى:** (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) [ص: ٢٦]!!

ولكنه لم يكن خليفةً ظالمًا ولا ملكًا جائرًا جاهلاً، بل (وَأَتَاهُ اللَّهُ

أَمْلَكَ وَالْحِكْمَةَ [البقرة: ٢٥١].

وكذا فهو عالمٌ بأمور دنياه وسياسة رعاياه قال تعالى: (وَعَلَّمَ مِمَّا يَشَاءُ).

[البقرة: ٢٥١]

فهو نبي كريم، وملكٌ حكيمٌ وخليفةٌ عادلٌ، وعالمٌ عابدٌ غ!!
ثم ماذا كان منه غ أمام هذه النعم المترادفة والفضل الواسع والعطاء
الزائد من الله ؟!!

لقد كان من الشاكرين!!

لقد امتثل أمر ربه إذ أمره فقال: (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
الشَّاكِرِينَ) (١٣) [سبأ: ١٣].

لقد كان من القليل الشاكر.

قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ
الْمُؤْمِنِينَ) (١٥) [النمل: ١٥]، فقدم داود حمداً لله على ما منَّ به وأنعم، وتفضل
به وتكرَّم.

وبهذا تزداد النعم، (لِّئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) [إبراهيم: ٧]، فالحمد لله رب
العالمين.

وبضدها وبالجحود تزول: (وَلَّيْنِ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (٧) [إبراهيم: ٧].
لفتة كريمة:

أمر الله ٥ نبيه داود بالذي أمره به إذ قال: (اعْمَلْ سَعِيغَتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ)
[سبأ: ١١]، وهذا مما يتعلق بأمور الدنيا.

والدروع السابغات تنقى بها سهام العدو، فصنعتها صنعة نافعة.

فليُنظر قوم في أعمالهم، هل أعمالهم نافعةٌ وفيها خيرٌ وصالحٌ أم ماذا يعملون؟؟

* والذي نلفت النظر إليه أن الله ٥ بعد أن حث على عملٍ نافعٍ يتعلق كثيرًا بأمور الدنيا - وأمر داود غ بالذقة في هذا العمل بقوله: (وَدَرِّبِ السَّرَدَ) - ذكّر بأمر الآخرة والعمل لها فقال سبحانه: (وَأَعْمَلُوا صَالِحًا) [سبأ: ١١] أي: وأقبلوا على الله ٥ بالأعمال الصالحة التي تقربكم إليه. فيدخل في هذا الصلاة والصيام والصدقة وسائر أعمال البر عمومًا.

فعلى سبيل المثال:

يقول سبحانه: (يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَآتَكُمْ وَرِيثًا) [الأعراف: ٢٦]، أي: قد أنزلنا عليكم لباسًا تسترون به عوراتكم، وتترزئون به كذلك، ثم ذكّر ربنا سبحانه وتعالى بلباس هو خيرٌ وأفضل، فقال سبحانه: (وَلِبَاسُ الْقَوِي ذَٰلِكَ خَيْرٌ) [الأعراف: ٢٦]، فذكّر ربنا سبحانه وتعالى بلباسٍ ينبغي أن نكتسي به وأن نتجلل به وأن نُعَمَّرَ به قلوبنا، ألا وهو لباسُ التقوى.

* **ونحوه قول الله تبارك وتعالى:** (وَتَكَزَّوْا) [البقرة: ١٩٧]، ثم أشار إلى زاد آخر أهم وأعظم فقال: (فَابْتَغُوا خَيْرَ الزَّادِ الْقَوِيَّ) [البقرة: ١٩٧].

* ونحو هذا التذكير في قول الله تعالى لنبيه سليمان غ مع الجن، إذ قال تعالى: (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ) [سبأ: ١٣]، ثم ذكّر الله سبحانه وتعالى نبيه سليمان غ بتقديم شكرٍ لذلك، فقال تعالى: (أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا) [سبأ: ١٣].

ألا فليذكر الله الذاكرون، وليشكره الشاكرون.

ألا فليذكر الله التجار في تجارتهم والصُّنَّاعُ في صنائعهم و(يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامِنُوا لَانَّاهُمْ كَرَّمُواكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾

[المنافقون ٩]

وعن عبادة نبي الله داود غ

وتعبدُ نبي الله داود غ من أفضل التعبد وأحبه إلى الله ٥، فصلاته أحب الصلاة إلى الله، وقيامه أحب القيام، وصيامه أحب الصيام، وتلاوته من أحب التلاوة وأحسنها وأجملها، ففي الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ»^(١).

وفي رواية في الصحيح أيضًا: «فَصُمَّ صَوْمَ دَاوُدَ غ وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى»^(٢).

وفي لفظ آخر في الصحيح^(٣) أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو قال: أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَقُولُ وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ، مَا عِشْتُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ: وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ، مَا عِشْتُ»، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ بِأَبَى أَنْتَ وَأُمِّي. قَالَ: «فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ». قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: «فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ». قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٢٠)، ومسلم (حديث ١١٥٩).

(٢) البخاري (حديث ٣٤١٩).

(٣) البخاري (حديث ٣٤١٨)، ومسلم (حديث ١١٥٩).

رسول الله. قَالَ: «فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ - غ - وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ».

فَقُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ □: «لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ».

وعبادة داود هذه إنما هي بتيسير الله له وتسهيله عليه، **ففي الصحيح** من حديث أبي هريرة ^(١) عَنْ النَّبِيِّ □ قَالَ: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ - غ - الْقُرْآنُ ^(٢)، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَيُتَسَرَّجُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسَرَّجَ دَوَابُّهُ ^(٣)، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ».



س: قد وهب الله ٥ نبيه داود غ صوتًا حسنًا في غاية من الحسن، جميلًا في غاية من الجمال، فكان إذا سَبَّحَ أجابته الجبال، واجتمعت إليه الطيور، كل معه مسبح، وكل معه مرجع في منظر عجيب، ومشهد مهيب!! سَكِينَةٌ تنزل!! ملائكة تحف!! نبي كريم يُرْتَل!! والرب مطلع وشاهد وبصير!! فنرجو التذكير بشيء من فضل تحسين الصوت بالقرآن.

(١) البخاري (حديث ٣٤١٧).

(٢) **قيل:** المراد بالقرآن: القراءة، قال الحافظ ابن حجر §: في رواية الكشميهني (القراءة) قال: والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعه فقد قرأته، وقيل المراد: الزبور، وقيل: التوراة، وقراءة كل نبي تطلق على كتابه الذي أوحى إليه، وإنما سماه قرآنًا للإشارة إلى وقوع المعجزة به كوقوع المعجزة بالقرآن، أشار إليه صاحب (المصابيح) والأول أقرب، وإنما ترددوا بين الزبور والتوراة؛ لأن الزبور كله مواعظ، وكانوا يتلقون الأحكام من التوراة... (الفتح ٥٢٤/٦).

قلت (مصطفى): الكتاب الذي أنزله الله على داود غ هو الزبور كما هو معلوم، وقد قال تعالى: **وَأَنبَأْنَا دَاوُدَ زُكْرًا** (١٣٣) [النساء: ١٦٣].

(٣) سبحان من بارك لداود غ في وقته، قال الحافظ ابن حجر §: وفي الحديث أن البركة قد تقع في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير.

ج: من ذلك ما يلي:

قال الله تبارك وتعالى: (وَرَبِّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) [المزمل: ٤].

* وقال النبي □: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(١).

* وقال عليه الصلاة والسلام: «مَا أَدْنَى اللَّهِ لَشَيْءٍ مَا أَدْنَى لِنَبِيِّ حَسَنِ

الصوت بالقرآن يجهر به»^(٢).

* وفي رواية: «لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ لَشَيْءٍ مَا أَدْنَى لِنَبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى

بِالْقُرْآنِ»^(٣).

* وفي ثالثة: «لَيْسَ مَنَا مِنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»^(٤).

* وقال □: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ...»^(٥).



وكان غُ يأكل من عمل يده

وهذا من أطيّب الكسب وأفضله.

* قال النبي □: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكَلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ،

وَإِنْ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ غُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»^(٦) أخرجه البخاري من

حديث المقدم فمرفوعاً.

وفي الصحيح أيضاً من حديث أبي هريرة أن النبي □ قال: «خُفِّفَ

عَلَى دَاوُدَ غُ الْقُرْآنَ...»، فذكر الحديث، وفيه: «وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ

(١) صحيح لشواهد: وأخرجه أحمد (٢٨٣/٤) وغيره، وله شواهد.

(٢) البخاري (حديث ٧٥٤٤).

(٣) البخاري (مع الفتح ٦٨/٩).

(٤) أبو داود (١٥٥/٣) وهو عند البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعاً، وبه علة.

(٥) مسلم (مع النووي ٨٤/٦).

(٦) البخاري (٢٢٠٧).

(١) يده»

هذا مع أنه غ كان خليفة في الأرض، إلا إنه كان يأكل من عمل يده، قال تعالى: (وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَبِغَتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا) [سبا: ١١].

فقد كان غ يعمل دروعًا سابغات واسعة طويلة تقي من يلبسها سهام العدو ونبله (٢)، وتحفظه بإذن الله من ضربات السيوف. وتعلم داود غ هذه الصنعة بتعليم الله له كما قال تعالى: (وَعَلَّمَ اللَّهُ الْمُلُوكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ) [البقرة: ٢٥١]، وكما قال تعالى: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾) [الأنبياء: ٨٠].

وقد امتنَّ الله عليه بمعجزة لم يؤتها غيره من الأنبياء و ألا وهي إلانة الحديد في يده يشكِّله كيف يشاء، وكيفه ويوجهه حيث يُريد، لا يحتاج إلى مطرقة، ولا يحتاج إلى نار.

وعَلَّمَهُ اللَّهُ دَقَّةَ الصَّنْعَةِ فَقَالَ لَهُ: (وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) [سبا: ١١] أي: اجعل المسمار على قدر الثقب، فلا تجعل المسمار أغلظ من الثقب فيفصم الحديد عند طرق المسمار فيه، ولا تجعل الثقب أوسع من المسمار فلا يؤدي المسمار الغرض الذي من أجله صنع، بل اجعل قطر المسمار مماثلًا لقطر الثقب الذي سيوضع فيه المسمار أو أقل قليلًا جدًا بالقدر الذي يسمح بدخول المسمار في الثقب، وهذا بلا شك من إتقان العمل.

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) ونحوها القمصان الواقية التي يرتديها الرؤساء لوقايتهم طلقات الرصاص.

الحاصل: أن نبي الله داود غ كان يعمل بيده وكان يتقن العمل وهكذا الأنبياء عليهم الصلاة والصالحون.

فمنهم من كان يرعى الغنم، بل كل نبي قد رعى الغنم، قال عليه الصلاة والسلام: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ». فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ»^(١).

* ومنهم من كان نجارًا كنوح وزكريا ن.



(١) البخاري (حديث ٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة فمرفوعًا.

من فوائد
التذكير بقصص الأنبياء

س: ما فائدة التذكير بقصص الأنبياء؟

ج: لذلك فوائد، منها:

للاتعاض والاعتبار، وكما قال تعالى: (لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) [يوسف: ١١١].

* وثساق وتذكر أيضاً لتثبيت الفؤاد وطمأننة القلوب، كما قال تعالى: (وَكَلَّا نَقْصُصْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) [هود: ١٢٠].

* ونذكر بهذه القصص كي نتأسى بهم في صبرهم، وفي بذلهم وعطائهم وتبليغهم رسالات ربهم، قال تعالى: (فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ).

[الأحقاف: ٣٥]

لقد أمرنا بالافتداء بهؤلاء الأنبياء والصالحين واتباع سبيلهم قال تعالى:

(أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَ) [الأنعام: ٩٠].

وقال تعالى: (وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ) [القمان: ١٥].



شيء من ذكر نبي الله داود غ

س: لماذا خُصَّ داود غ بالذكر في قوله تعالى: (أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ

عَبْدَنَا دَاوُدَ....)؟

ج: أقول - والله تعالى أعلم -: إنه غ ذكر دون غيره من الأنبياء في هذا المقام (وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ)، والله تعالى أعلم، لأمر يتناسب مع هذا المقام ألا وهو حسن قيامه غ، أعني حسن قيامه في صلاته من الليل، وحسن عبادته عمومًا، فكان المعنى: اصبر على ما يقولون، وصل صلاة كصلاة داود غ، وتعبّد ربك كما يتعبّد فقد كان صابرًا على العبادة قويًا في الطاعة، قال رسول الله ﷺ: «أحب القيام إلى الله قيام داود غ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود غ»^(١).

فعلّيه يكون المعنى: اصبر على ما يقولون وصلّ واجتهد في عبادتك... وهذا يتمشى مع سائر الوصايا في كتاب الله عند الشدائد. فمن الوصايا التي كثيرًا ما نُوصى بها لمواجهة الشدائد والصعاب الوصية بالصبر والصلاة، فهذا من خير ما تواجه به الشدائد والصعاب.

*** قال تعالى:** (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾)

[البقرة: ١٥٣]

*** وقال سبحانه:** (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾)

[البقرة: ٤٥]

*** وقال تعالى:** (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾) [ق: ٣٩]، والمراد: صلاتي الفجر والعصر.

(١) صحيح، وقد تقدم.

*** وقال تعالى:** (وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾) [الطور: ٤٨، ٤٩].

*** فكلها تتمشى مع** (أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ) [ص: ١٧] أي: اذكر صلاته وعبادته وخشيته لله ٥، وحسن تلاوته وترتيله، وقوته في العبادة واجتهاده فيها.

*** قال قتادة \$:** أُعطي قوة في العبادة وفقها في الإسلام.



س: بِمِ أَوْصَى اللَّهُ ٥ نَبِيَهُ مُحَمَّدًا □ أَنْ يَفْعَلَهُ أَمَامَ جُحُودِ الْجَاهِدِينَ وَتَكْذِيبِ الْمَكْذِبِينَ وَإِنْكَارِ الْمُنْكَرِينَ لِلْبُعْثِ وَاسْتِبْعَادِهِمْ لَهُ؟

ج: أوصاه بالصبر وبالصلاة فها هنا قال: (أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ) أي: تذكر صلاته، فصل كما كان يصلي.



س: مَا الْمُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (عَبْدَنَا دَاوُدَ)؟

ج: الاستفادة التذكير بعبوديته لله ٥.

*** لقد وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه عبدٌ، فقال:** (وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ) [ص: ١٧] نعم هو عبدٌ غ، وكذا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم لله عبيد.

*** قال تعالى في شأن نبينا محمدٍ □:** (فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾) [النجم: ١٠].

*** وقال:** (سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا) [الإسراء: ١].

*** وقال سبحانه:** (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا...) [البقرة: ٢٣].

وتم أدلة آخر في هذا الصدد.

* وقال سبحانه وتعالى في شأن عيسى غ: (إِنَّهُ هُوَ الْوَعْدُ أَنْعَمًا عَلَيْهِ)

[الزخرف: ٥٩].

* وقال عيسى غ عن نفسه أول ما تكلم في المهد (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ).

[مريم: ٣٠]



س: وضع معنى قوله تعالى: (أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ

أَوَّابٌ) (١٧).

ج: هذا تصبير من الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ وتثبيت له وإرشاد وتبصير، فالمعنى اصبر يا رسول الله على ما يقوله قومك لك مستكرين البعث والحساب وتذكر عبدنا داود غ القوي في العبادة المجتهد فيها، فاجتهد كما كان يجتهد، فقد كان قوياً في العبادة، ومع ما آتيناك من النعم كان رجاءاً إلى الله أكثرًا من الاستغفار والتسبيح والصلاة.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: اصبر يا محمد على ما يقول مشركو قومك لك مما تكره قيلهم لك، فإننا ممتحنوك بالمكاره امتحاننا سائر رسلنا قبلك، ثم جاعلو العلو والرفعة والظفر لك على من كذبك وشاقك سنتنا في الرسل الذين أرسلناهم إلى عبادنا قبلك فمنهم عبدنا أيوب وداود بن إيشاء، فاذكره (ذَا الْأَيْدِ)؛ ويعني بقوله: (ذَا الْأَيْدِ) ذا القوة والبطش الشديد في ذات الله والصبر على طاعته.

وقوله: (إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾) يقول: إن داود رجع لما يكرهه الله إلى ما يرضيه أواب، وهو من قولهم: آب الرجل إلى أهله: إذا رجع.

وقال الحافظ ابن كثير \$ عقب تفسيره لقوله تعالى: (وَقَالُوا رَبَّنَا مَجِّلْنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾).

ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أمراً له بالصبر على أذاهم ومبشراً له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر.

(أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾).

يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود غ: أنه كان ذا أيد والأيد: القوة في العلم والعمل.

قال ابن زيد والسدي: الأيد: القوة وقرأ ابن زيد: (وَأَسْمَاءَ بَيَّنَّتْهَا بِأَيْدِي وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾) [الذاريات: ٤٧].

وقال مجاهد: الأيد: القوة في الطاعة.

وقال قتادة: أعطي داود قوة في العبادة وفقها في الإسلام، وقد ذكر لنا أنه غ كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر.

وهذا ثابت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى»، وإنه كان أواباً، وهو الرجاء إلى الله ٥ في جميع أموره وشؤنه.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) أمر نبيه بالصبر لما استهزءوا به، وهذه

منسوخة بآية السيف.

قوله تعالى: (وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ) لما ذكر من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالصبر على أذاهم وسلاه بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء ليتسلى بصبر من صبر منهم وليعلم أن له في الآخرة أضعاف ما أعطيه داود وغيره من الأنبياء وقيل: المعنى اصبر على قولهم واذكر لهم أقاصيص الأنبياء لتكون برهاناً على صحة نبوتك (ذَا الْأَيْدِ) ذا القوة في العبادة وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً وذلك أشد الصوم وأفضله وكان يصلي نصف الليل وكان لا يفر إذا لاقى العدو وكان قوياً في الدعاء إلى الله تعالى وقوله: (عَبْدَنَا) إظهار لشدة هذه الإضافة.



س: اذكر بعض نعم الله ٥ على نبيه داود غ.

ج: من هذه النعم ما يلي:

ما ذكره الله ٥ إذ قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوَّي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّاسُ لَهُ الْخُذِيدُ﴾ (١٠) **إِسْبَأ: ١٠-١١.**

يذكر الله سبحانه وتعالى بعض نعمه على هذا النبي الكريم داود غ، فمن ذلك:

* أن جعله الله نبياً كريماً.

* ومن ذلك تسخير الجبال معه تسبح بتسبيحه، وترجع بترجيعة،

(١) السرد: المسامير في الخلق، أما السابغات: فهي الدروع الكوامل الطوال الواسعة.

وكذلك الطيور (يَجْبَلُ أَوْيَ مَعَهُ وَالطَّيْرُ) [سبأ: ١٠].

* وكذلك إلانة الحديد له، فكما قال بعض العلماء: كان لا يحتاج إلى أن يدخل الحديد ناراً، ولا أن يطرقه بمطرقة، بل سهله الله عليه ولينه الله له، كالخيوط، وقيل كالطين، والله على كل شيء قدير، قادر ربنا على أن يجعل الصعب سهلاً، والحديد ليناً، والنار برداً وسلاماً. قال تعالى: (وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ) (١٠) [سبأ: ١٠].

* وكذا علمه الله سبحانه وتعالى - والله خلق كل صانع وصنعه - صنعة الدروع السابغات. قال تعالى: (أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ) [سبأ: ١١].

وقال تعالى: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ) [الأنبياء: ٨٠]. وعلمه الله الدقة في هذه الصنعة، ومنه نستفيد الدقة في الأعمال، قال تعالى: (وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ) [سبأ: ١١] أي: اجعل الثقب على قدر المسمار.

* ومن نعم الله على هذا النبي الكريم أن مكنه من قتل جالوت، ثم إن الله سبحانه وتعالى آتاه الملك والحكمة وعلمه مما يشاء، آتاه الملك وجعله خليفة، كما قال سبحانه: (يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) [ص: ٢٦].

* وجعل ملكه قوياً، وجعله مهاباً، كما قال تعالى: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) [ص: ٢٠].

* وآتاه الحكمة كما قال: (وَأَيَّنَّا لَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ) [ص: ٢٠].

* (وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ) [البقرة: ٢٥١]، صناعة الدروع وغيرها، قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) (١٥).

[النمل: ١٥]

* وآتاه زبوراً، وهو الكتاب الذي أنزله الله عليه، قال تعالى: (وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾) [النساء: ١٦٣].

* وكذا آتاه الله سبحانه وتعالى صوتاً حسناً عظيماً.

* ومن نعم الله سبحانه وتعالى على هذا النبي الكريم أن رزقه ولداً صالحاً، قال تعالى: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ نَّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾) [ص: ٣٠].

* ومن نعمه عليه أيضاً أن منَّ عليه بالتوبة والمغفرة، وجعله من المقربين، قال تعالى: (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾) [ص: ٢٥].

* ثم إن الله سبحانه وتعالى بعد أن ذكر بعض مننه على داود غ حثه على العمل الصالح وأمره به، فحتى لا يشغل بعمل السابغات، الدروع الواقيات، قال الله تعالى: (وَأَعْمَلُوا صَالِحًا) [المؤمنون: ٥١]، فحثه الله على العمل الصالح عموماً، وحثه على الشكر خصوصاً بقوله تعالى: (أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا).

وذلك حتى لا ينسى ذكر الله في خضم العمل في الحياة الدنيا.



عمر داود غ

س: كم عُمر هذا النبي الكريم (داود) غ؟

ج: ورد عن رسول الله ﷺ بإسنادٍ صحيح ^(١) من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذن الله. فقال له ربه: يرحمك ربك يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملائمتهم جلوس، فسلم عليهم، فقال: السلام عليكم، فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال: هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم، وقال الله جل وعلا ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت. فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته، فقال: أي رب ما هؤلاء؟ فقال: هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان منهم مكتوب عمره بين عينيه، فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوؤهم لم يكتب له إلا أربعين سنة. قال: يا رب، ما هذا؟ قال: هذا ابنك داود. وقد كتب الله عمره أربعين سنة. قال: أي رب، زده في عمره. قال: ذاك الذي كتبت له. قال: فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة. قال: أنت وذاك اسكن الجنة، فسكن الجنة ما شاء الله، ثم أهبط منها، وكان آدم يعد لنفسه، فأتاه ملك الموت، فقال له آدم: قد عجلت، قد كتب لي ألف سنة. قال: بلى، ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته، فيومئذ أمر بالكتاب والشهود».



س: وضح معنى قوله تعالى: (إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) ١٨

(١) ابن حبان بسندٍ صحيح لغيره (٢٠٨٢).

وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾.

ج: أقول - وبالله ٥ التوفيق :- إن الله ٥ وهب نبي الله داود غ صوئاً حسناً في غاية من الحسن جميلاً في غاية من الجمال، فكان إذا سبَّح أجابته الجبال واجتمعت إليه الطيور، كلُّ معه مسبحٌ، وكلُّ معه مُرجع في منظر عجيب ومشهد مهيب!! سَكِينَةٌ تَنْزِل!! ملائكة تحف!! نبي كريم يُرْتَل!! والربُّ مطلع وشاهد وبصير!!!

فالمعنى: أن الله ٥ سَخَّرَ الجبال بحصاها وبرمالها مع داود غ تسبح معه إذا سبَّح بالعشي وهو ما بين صلاة العصر إلى الليل، والإشراق عند شروق الشمس.

قال الطبري \$:

وقوله: (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٩﴾) يقول تعالى ذكره: إنا سخرنا الجبال يسبحن مع داود بالعشي، وذلك من وقت العصر إلى الليل، والإشراق، وذلك بالغداة وقت الضحى.

ذكر أن داود كان إذا سبَّح سبَّحت معه الجبال.

وأورد الطبري من طريقين ^(١) عن سعيد بن أبي عروبة، عن أبي المتوكل ^(٢)، عن أيوب بن صفوان، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أن ابن عباس كان لا يصلي الضحى، قال: فأدخلته على أم هانئ، فقلت: أخبرني هذا بما أخبرتني به، فقالت أم هانئ: دخل علي رسول الله ﷺ يوم الفتح في بيتي، فأمر بماء فصب في قصعة، ثم أمر بثوب فأخذ بيدي

(١) والسند بهما يصح إلى سعيد بن أبي عروبة، ولأصله شواهد يصح بها.

(٢) عند الطبري في السند الآخر: «عن متوكل».

وبينه، فاغتسل، ثم رش ناحية البيت صلى ثمان ركعات، وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء، قريب بعضهن من بعض، فخرج ابن عباس، وهو يقول: لقد قرأت ما بين اللوحين، ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن (يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) (١٨) وكنت أقول: أين صلاة الإشراق، ثم قال: بعدهن صلاة الإشراق.

وقد ورد من طرق أن ابن عباس كان يقول عن صلاة الضحى: صلاة الإشراق - والله أعلم.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: (إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) (١٨) أي: إنه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار، كما قال تعالى: (يَجِئُكَ أَوَّيُّ مَعَهُ وَالطَّيْرُ) (سبأ: ١٠)، وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيحه إذا مر به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا تستطيع الذهاب بل تقف في الهواء وتسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعاً له.

أما قوله تعالى: (وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَّهُ أَوَّابٌ) (١٩)، فمعناه: وسخرنا أيضاً مع داود غ الطير مجموعة له إذا دعاها، كل معه مسبح وكل معه مرجع وكل له مطيع.

قال الطبري \$:

وقوله: (وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ) يقول تعالى ذكره: وسخرنا الطير يسبحن معه محشورة بمعنى: مجموعة له؛ ذكر أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا سبح أجابته الجبال، واجتمعت إليه الطير، فسبحت معه واجتماعها إليه كان

حشرها.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ): مسخرة.

وقوله: (كُلُّ لَهٍّ وَأَوَّابٍ ﴿١٩﴾) يقول: كل ذلك له مطيع رجاع إلى طاعته وأمره. ويعني بالكل: كل الطير.

*** أما قوله تعالى:** (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَنزَلْنَا الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾)، فهذه أيضاً مِنَّةٌ من الله ﷻ على داود غ، قوله: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) أي: قوَّيناه، وذلك على ما ذكره العلماء بأمرين:

أحدهما: بالجنود، فقد كان حرس داود غ - على ما ذكر - آلافاً مؤلفة.

والثاني: بالهيبة التي قذفها الله في قلوب الناس لداود غ.

وقد أورد **الطبري** أثراً عن ابن عباس ؓ - وهذا يغلب أنه من الإسرائيليات - حاصله يبين سبب الهيبة التي قذفت في قلوب الناس لداود غ، والظاهر لي أن هذه الهيبة إنما هي من الله ﷻ والنفس لا تطمئن إلى ثبوت ما ذكره **الطبري بسنده إذ قال:**

حدثني ابن حرب، قال: ثنا موسى، قال: ثنا داود، عن علباء بن أحمر، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رجلاً من بني إسرائيل استعدي على رجل من عظمائهم، فاجتمعوا عند داود النبي ﷺ فقال المستعدي: إن هذا اغتصبني بقرا لي، فسأل داود الرجل عن ذلك فجحد، فسأل الآخر البينة، فلم يكن له بينة، فقال لهما داود: قوما حتى أنظر في أمركما؛ فقاما من عنده، فأوحى الله ﷻ إلى داود في منامه أن يقتل الرجل الذي استعدي عليه، فقال: هذه رؤيا ولست أعجل حتى أثبت، فأوحى الله ﷻ إلى داود في منامه مرة أخرى أن يقتل الرجل، وأوحى الله ﷻ إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة

من الله، فأرسل داود إلى الرجل: إن الله قد أوحى إلي أن أقتلك، فقال الرجل: تقتلني بغير بينة ولا تثبت؟! فقال له داود: نعم، والله لأنفذن أمر الله فيك؛ فلما عرف الرجل أنه قاتله، قال: لا تعجل علي حتى أخبرك، إني والله ما أخذت بهذا الذنب، ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته، فبذلك قتلت، فأمر به داود فقتل، فاشتدت هيبة بني إسرائيل عند ذلك لداود، وشد به ملكه، فهو قول الله: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) ^(١).

قال الطبري \$ عقب ذكره الأثر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أنه شدد ملك داود، ولم يحصر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة من الناس له ولا على هيبة الناس له دون الجنود. وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ما ذكرنا، وجائز أن يكون كان بجميعها، ولا قول أولى في ذلك بالصحة من قول الله، إذ لم يحصر ذلك على بعض معاني التشديد خبر يجب التسليم له.

*** أما قوله تعالى:** (وَأَيَّنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ^(٢٠))، فالحكمة الإصابة والساد في القول والعمل، ووضع الشيء في موضعه الصحيح، والحكمة أيضًا تطلق على النبوة وتُطلق على السنة، وقد أوتي داود غ ذلك كان نبيًا كريمًا رُزق فهمًا طيبًا في الفصل في القضايا وكان مُسددًا في القول والعمل غ، وكذا من الله عليه بـ (وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ^(٢٠))، فكلماته كانت تفصل بين الحق والباطل، وكانت تفصل وبسرعة بين الخصوم، وقد قال بعض العلماء: إن المراد بفصل الخطاب، هو ما يفصل به بين الخصوم إما بالشهود وإما بالآيمان، وإما بالفهم الصحيح للقضية، والقضاء الصحيح

(١) الطبري (٢٩٨٢١)، وعزاه ابن كثير إلى ابن أبي حاتم أيضًا.

فيها.

وأورد ابن كثير أثرًا بإسنادٍ فيه ضعف: وعزاه إلى ابن أبي حاتم بسنده إلى أبي موسى فقال: أول من قال: «أما بعد» داود غ وهو فصل الخطاب.

وأورد الطبري بسنده إلى الشعبي قال في قوله: (وَفَصَّلَ الْخُطَابَ ﴿٢٠﴾) قول الرجل أما بعد.

قال الطبري \$:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب، والفصل: هو القطع، والخطاب هو مخاطبة، ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما إلى صاحبه قطع المحتكم إليه الحكم بين المحتكم إليه وخصمه بصواب من الحكم، ومن قطع مخاطبته أيضًا صاحبه إلزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه إن كان مدعيًا، وإقامة البينة على دعواه وإن كان مدعى عليه فتكليفه اليمين إن طلب ذلك خصمه. ومن قطع الخطاب أيضًا الذي هو خطبة عند انقضاء قصة وابتداء في أخرى الفصل بينهما بأما بعد. فإذا كان ذلك كله محتملاً ظاهر الخبر ولم تكن في هذه الآية دلالة على أي ذلك المراد، ولا ورد به خبر عن الرسول □ ثابت، فالصواب أن يعم الخبر، كما عمه الله، فيقال: أوتي داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب.



قال الله تعالى:

(﴿٢١﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمِكَ إِلَى نَعَايِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لِبَغْيِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾) [ص: ٢١-٢٩]

س: وضع معنى ما يلي:

(الْخَصِمَ - سَوَّروا - الْمِحْرَابَ - فَفَزَعَ مِنْهُمْ^ط - خَصَمَانِ - بَعَى - وَلَا تُشْطِطْ - وَاهْدِنَا - سَوَاءَ
 الصِّرَاطِ - أَكْفَلْنِيهَا - وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ - ظَلَمَكَ - سُؤَالَ - الْخُلَاطَاءِ - فَتَنَّهُ - وَحَرَّ رَاكِعًا - وَأَنَابَ -
 لَزُلْفَى - وَحُسْنَ مَتَابٍ - فَيُضِلَّكَ - سُوءَ يَوْمِ الْحِسَابِ - بَطِيلًا^ع - طُنَّ - الْفُجَارِ - لِيَدَّبَّرُوا - وَلَيْتَدَكَّرَ -
 أُولُوا أَلَّا لَبِيبٌ).

ج:

الكلمة	معناها
(الْخَصِمَ)	قوم بينهم خصومة
(سَوَّروا)	تسلقوا أسوار المحراب
(الْمِحْرَابَ)	أشرف شيء في المكان - مكان العبادة
(فَفَزَعَ مِنْهُمْ ^ط)	فخاف منهم
(خَصَمَانِ)	نحن خصمان بيننا خصومة
(بَعَى)	تعدى - ظلم
(وَلَا تُشْطِطْ)	لا تجور - لا تميل - لا تحيد
(وَاهْدِنَا)	دلنا - أرشدنا
(سَوَاءَ الصِّرَاطِ)	الطريق المستقيم العدل الوسط الموصل إلى مرضاة الله ٥
(أَكْفَلْنِيهَا)	اتركها لي وأضمها إليّ وأكون لها كفيلاً
(وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ)	غلبنى بالحجة والبطش، إن تكلم كان أفصح مني بياناً، وإن تضاربنا كان أشد مني وأقوى وأشد بطشاً وإن دعا ودعوت كان أكثر مني

بخسك حقك	(ظَلَمَكَ) بخ
بطلب ضم نعتك إلى نعاجه	(سُؤَالٍ)
الشركاء	(الْخَطَاءِ)
اختبرناه - ابتليناه	(فَتْنَهُ)
هوى ساجداً	(وَحَرَّ رَاكِعًا)
رجع وتاب	(وَأَنَابَ)
لقربى - لمنزلة المقربين	(لِزُلْفَى)
مرجع حسن يلقاه يوم القيامة ومنقلب حسن - جزاء حسن - حسن مصير	(وَحُسْنِ مَتَابٍ)
يحيد بك عن طريق الحق - يصرفناك	(فِيضْلِكَ)
تركوا العمل ليوم القيامة	(نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)
عبثاً - بلا فائدة	(بِطِلَاءٍ)
تفكير - اعتقاد	(ظَنٍّ)
الكفار المنتهكون لحرمت الله	(الْفَجَّارِ)
ليتفكروا - ليتفهموا	(لِيَذَّبَرُوا)
ليعتبر	(وَلِيَتَذَكَّرَ)
أصحاب العقول والأفهام الرشيدة	(أُولَئِكَ لَا تَلْبَسُ)



س: هل الخصمان ملكان أم أنهما من البشر؟

ج: ليس عندي من النصوص ما يُرجح وجهًا على وجهٍ لكن عمومًا فتمثل الملائكة بصورة البشر وارذٌ وعليه عدة أدلة من الكتاب والسنة.

فمن كتاب الله ٥:

*** قوله تعالى في شأن مريم ز:** (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾)

[مريم: ١٧].

*** وقوله تعالى في شأن إبراهيم غ:** (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِىَ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾) [هود: ٦٩].

*** وقوله تعالى في شأن لوط غ:** (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾) [هود: ٧٧] إلى قوله: (إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنَ يَصْلَوْا إِلَيْكَ) [هود: ٨١].

*** ومن سنة رسول الله □:**

*** مجيء جبريل في صورة رجلٍ شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، وسؤاله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة^(١)، على ما في حديث عمر ف في صحيح مسلم.**

*** وحديث الأبرص والأقرع والأعمى الذين ابتلاهم الله ه^(٢).**

*** وحديث الرجل الذي زار أخاه في الله فأرصد الله له ملكًا على مدرجته^(٣).**

وكثيرٌ جدًا من الأحاديث في هذا الباب.

(١) مسلم (حديث رقم ٨).

(٢) البخاري (حديث ٥٠٠)، ومسلم (٢٢٧٥).

(٣) مسلم (حديث ٢٥٦٧).

فالحاصل:

أولاً: أن الملائكة قد تأتي في صورة بشر، وتكلم الناس، وكل هذا بإذن الله.

ثانياً: أن من أهل العلم من نفي الخلاف في كون الخصمين من الملائكة.

هذا، وقد قال القرطبي \$: ولا خلاف بين أهل التفسير أنه يُراد به هاهنا ملكان.

فالله تعالى أعلم بالصواب.

وترد أسئلة على من قال إنهما ملكان:

السؤال الأول: كيف يتسورا المحراب وهما ملكان؟!

وجوابه أنهما صنعا ما يصنع البشر لإزالة الالتباس عنهما.

الثاني: كيف يكونا ملكين وبينهما خصومة؟!

وجوابه أن الله رخص لهما في قول ذلك للابتلاء والاختبار.

الحاصل أن داود غرأى الخصمين، فمن ثم فزع منهم، ولا ضير في هذا على داود غ.

**س: ما الذي أفزع داود غ من الخصمين؟**

ج: الذي أفزعه من الخصمين أنهما لم يأتيا البيوت من أبوابها، بل تسلقا السور حتى دخلا المحراب!! وكما هو معلوم فإن البيوت تؤتى من أبوابها، ويدخلها الداخل بعد استئذان، لقوله تعالى: (وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) [البقرة: ١٨٩]، ولقوله تعالى: (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) [النور: ٢٧].

ولكن الخصمان لم يستأذنا في الدخول، ولم يأتيا البيت من بابه، بل أتوه من أعلى السور، فهذا الذي أفزع نبي الله داود غ!!

هل يخاف المؤمن

س: كيف فزع داود غ وهو نبي؟ فهل الخوف يتسرب إلى الأنبياء وأهل الإيمان؟

ج: نعم، قد يتسرب ذلك إليهم فالفزع الجبلي، والخوف الجبلي يتسربان حتى إلى أهل الصلاح.

*** قال تعالى في شأن نبيه موسى غ لما رأى العصا وقد أُلقيت، تهتز كأنها جان: (فَلَمَّا رَأَاهَا نَهَزْتُكَ أَهْجَاً وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ).**

[القصص: ٣١]

*** وقال نبي الله يعقوب غ لنبيه لما سأله أن يترك يوسف معهم (وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ آلِ لَيْثٍ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾) [يوسف: ١٣]، وقال نبي الله موسى غ: (وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾) [الشعراء: ١٤].**

*** وقال تعالى في شأن أهل الإيمان: (وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطِفَكُمْ النَّاسُ) [الأنفال: ٢٦].**

*** فلا ضير ولا حرج ولا عتب على داود غ إذ فزع منهم!!**



س: لا يشرع للمسلم أن يرّوع إخوانه المؤمنين بل عليه أن يطمئنهم إذا خافوا ويُسري عنهم إذا فزعوا، دَلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك: قول الخصمين لداود غ لما رآه قد فزع

منهم: (لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ...).

وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن مع إخوانه لا يروعه ولا يزعجه، بل يذهب عنهم الروع والخوف قدر استطاعته.

* ولما تمثل الملك لمريم ث بشراً سوياً، وقالت له: (إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ
إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ١٨) [مريم: ١٨]، (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ١٩)
[مريم: ١٩].

* وأيضاً فإنها لما ألجأها المخاض إلى جذع النخلة فقالت: (يَلَيْتَنِى مِتُّ
قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ٢٢) فنادى بهما من تحتهما ألا تحزنى قد جعل ربك تحك سرياً ٢٤).

[مريم: ٢٣-٢٤]

* والملائكة ويطمننون إبراهيم غ فيقولون: (لَا تَخَفْ) [هود: ٧٠].
* ويطمننون لوطاً لما قال هذا يوم عصيب فيقولون: (إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ
يَصِلُوا إِلَيْكَ) [هود: ٨١].

* أيضاً أخرج أبو داود ^(١) بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن أبي
ليلى قال: حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله
ﷺ في مسير فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى نبلٍ معه فأخذه فلما
استيقظ الرجل فزع، فضحك القوم، فقال: «ما يضحكم؟»، فقالوا: لا، إلا
أنا أخذنا نبل هذا ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروّع
مسلمًا».

* وأخرج أبو داود ^(٢) وأحمد وعبد بن حميد وغيرهم بإسناد حسن

(١) أبو داود (٥٠٠٤)، وأحمد (٣٦٢/٥).

(٢) أبو داود (٢٧٣/٥)، وعبد بن حميد (٤٣٦)، وأحمد (٢٢١/٤).

من حديث عن عبد الله بن السائب بن يزيد عن أبيه عن جده أنه سمع النبي □ قال: قال رسول الله □: «لا يأخذن أحدكم متاع صاحبه جاذًا ولا لاعبًا، وإذا وجد أحدكم عصا صاحبه فليردها عليه».

* وفي الصحيحين ^(١) كذلك من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي □ قال: «إذا مرَّ أحدكم في مسجدنا - أو في سوقنا - ومعه نبلٌ فليمسك على نصالها» أو قال: «فليقبض بكفِّه أن يُصيب أحدًا من المسلمين منها شيء».

* وفي الصحيح ^(٢) كذلك من حديث أبي هريرة قال: قال أبو القاسم □: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه».



تذكير القضاة بالله

س: يجوز للخصوم أن يذكروا القاضي أن يحكم بينهم بالعدل، وكذا يشرع للقاضي أن يُذكَرَ الخصوم. دَلِّلْ على ذلك.

ج: من الدليل على ذلك قول الخصمين لداود غ: (فَلَحَكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ)، فسبحان الله خصم يُذكر القاضي والحاكم والخليفة؟! نعم يُذكره لكنها تذكرة بالمعروف، تذكرة بالحكمة والموعظة الحسنة وما لهم لا يذكروه، و(الذِّكْرَى نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ) [الذاريات: ٥٥].

* وكذا أيضًا يشرع للحاكم والقاضي أن يُذكَرَ المتخاصمين بالله ٥،

(١) البخاري (٧٠٧٥)، ومسلم (حديث ٢٦١٥).

(٢) مسلم (٢٦١٦).

ويحثهم على مراقبته وخشيته، وقد وردت بذلك جملة أدلة:

* فمن ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ من تذكير المتخاصمين، ففي الصحيحين ^(١) من حديث أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضُكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنَ ^(٢) بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ».



* ومن ذلك ما أخرجه البخاري ^(٣) من حديث ابن عباس ق، أن هلال ابن أمية قذف امرأته فجاء فشهد ^(٤)، والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنْ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ»، ثم قامت فشهدت.

* ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم ^(٥) من حديث عائشة ق، قالت: سمع رسول الله ﷺ صوت خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ ^(٦) فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيْنَ الْمَتَالِي ^(٧) عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفُ؟»، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ.

(١) البخاري (حديث ١٧٨١)، ومسلم (حديث ١٧١٣).

(٢) ألحن: أي أعلم بالحجة، وأبلغ في الكلام.

(٣) (حديث ٥٣٠٧).

(٤) أي: شهد أربعة أيمان بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

(٥) مسلم (حديث ١٥٥٧)، والبخاري (٢٧٠٥).

(٦) يسترفقه: أي يطلب منه الرفق.

(٧) المتألي: الحالف.



قصة الخصوم الداخلين على داود غ

س: وضع معنى قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ (١١)
 إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصَمَانِ بَعِيَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ
 وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي
 الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾).

ج: المعنى - والله أعلم - وهل بلغك خبر الخصوم الذين تسلقوا أسوار المحراب ودخلوا على داود غ محرابه رغم كثرة الحرس الذين يحرسونه، هل بلغك هذا الخبر وهذا النبأ؟ هل بلغك خبرهم إذ دخلوا على داود غ، فلما دخلوا عليه خاف منهم وفزع؟ فحينئذ طمأنوه فقالوا له: لا تخف نحن خصمان بيننا خصومةٌ جننا نتحاكم عندك، وقد ظلم بعضنا بعضاً وتعدى عليه، فاقض بيننا بالحق ولا تجور ولا تحيد عن الحق وأرشدنا إلى الطريق الوسط طريق الحق الذي يُرضي عنا ربنا، دلنا على طريق الحق كي نسلكه.

ثم بداية عرض القضية.

(إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً) تعريف الخصم بخصمه أمام القاضي، وقوله: (إِنَّ هَذَا أَخِي) على ملتي وديني، فسبحان الله لم تنقطع الأخوة الإيمانية بالخصومة والمظلمة، وثم ما هو أعظم من ذلك، ألا وهو أن الأخوة الإيمانية ما زالت باقية حتى مع القتل، قال تعالى: (فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْئاً فَأَبْيَعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَأَى إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ) [البقرة: ١٧٨].

ألا فليتق الله المخاصم الفاجر الذي يقطع مع خصومته الأخوة ولا يرقب في مؤمنٍ عهداً ولا قرابة، ولا رحماً بل ولا ديناً!!

ألا فليعلم المخاصم الفاجر أن فيه شعبةً من نفاق وعلامةً من علاماته،
ألا وهي الفجور في الخصومة «وإذا خاصم فجر»^(١).

لكن الخصمان عند داود كانا على تقى كما هو واضح من حديثهما إذ
قالوا: (فَأَحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) ^(٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً).
وهل هي نعاجٌ على الحقيقة؟ قال بذلك بعض أهل العلم ويشهد له
ظاهر القرآن الكريم.

وقال آخرون: إنه أريد بالنعاج هنا النساء، فقله: (لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً) أي:
تسع وتسعون امرأة.

(وَلِي نَجَّةٍ وَاحِدَةٍ) على الخلاف المتقدم، قيل: إنها نعمة على الحقيقة،
وقيل: إن المعنى: امرأة، والله أعلم بالصواب من ذلك.
ثم ماذا كان من أمر الخصم؟

كان أن قال صاحب التسعة والتسعين نعمة لأخيه (أَكْفَلْنِيهَا) أي:
أعطنيها- تنازل لي عنها وضمها إليّ حتى أكفلها، أعطيها أتم بها المائة.
فسبحان الله الذي خلق الخلق على سجايا وطباع!! وسبحان من قسم
الأخلاق كما قسم الأرزاق!!!

تأخذ مني نعجتي وتكمل بها مائة وتتركني بلا نعمة واحدة؟!
هكذا يريد الخصم أن يضم إلى نعاجه التسعة والتسعين ما يتم به
المائة، ولو كان على حساب أخذه نعمة أخيه!!

ثم إن الخصم قال: (وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) ^(٢٣) أي: طلب مني نعجتي وغلبني
بالحجة والكلام، فهو إن بطش قهر وإن تكلم أوضح وأبان، فهو أعزّ مني

(١) البخاري (حديث ٣٤)، ومسلم (حديث ٥٨).

وأقوى مني في الكلام.

فهكذا كم من حقوقٍ تذهب، وكم من ظلمٍ يقع، وكم من أموالٍ تضيع بسبب فصاحة اللسان، واستعمال تلك الفصاحة في الباطل والزور، ومن ثمَّ فقد حذر النبي ﷺ من مثل ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام فيما قد سبق من الحديث: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ».

* وقد وصف النبي ﷺ من يُريد الذهاب بحقوق الناس بأسلوبه وخطابه وسجعه بأنه من إخوان الكهان، ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قضى في امرأتين من هُذيل اقتتلتا، فرمت إحداهما الأخرى بحجرٍ فأصاب بطنها وهي حاملٌ فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النبي ﷺ فقضى: أن دية ما في بطنها غُرّة عبد أو أمة، فقال وليُّ المرأة التي غرمت: كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهلَّ فمثل ذلك يطلُّ^(١)، فقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَانِ»^(٢).



س: وضح معنى قوله تعالى: (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ

الْخَاطِئِ لِيَبْنِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَعَفَوْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٢٥﴾).

(١) أي: ينبغي أن تهدر ديبته.

(٢) البخاري (حديث ٥٧٥٨)، ومسلم (حديث ١٦٨١).

ج: هذا قضاء نبي الله داود غ بعد عرض هذه القضية قضية شخصية، شخص له تسع وتسعون نعجة، وآخر له نعجة واحدة، فطلبها منه كي يضمها إلى نعاجه وغلبه بالحجة والبيان، هنالك قضى نبي الله داود غ، بعد أن استمع إلى صاحب الشكوى، فقال: (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ^(١)) أي: بطلب ضم نعجتك إلى نعاجه.

ثم بُيِّنَتْ حقيقة لعل متعظاً يتعظ ومعتبراً يعتبر ومتقظناً يتقظن!!! ألا وهي (وَإِنْ كَثِيرٌ مِّنَ الْخَاطِئِينَ يَبِغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ).

أما الخطاء فمن العلماء من قال: إنهم الأصحاب، ومنهم من قال: إنهم الشركاء.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: وأكثر العلماء على أن الخطاء صورتهم أن يأتي كل واحد بغنمه، فيجمعها راع واحد، والدلو والمراح واحد.

فالحاصل أن كثيراً من الخطاء - من الشركاء - يبغي بعضهم على بعض.

يجور بعضهم على بعض، ويتناول بعضهم على بعض ويمد بعضهم يده إلى مال بعض ويأخذه بغير حقه.

فليتقطن لذلك الذين يستثمرون أموال الناس؛ فإنهم يبدؤون في أول أمرهم على استقامةٍ وصلاح، ثم إذا رزقهم الله ٥ فبدلاً من أن يقدموا شكراً فإنهم يتخوضون في أموال المسلمين، وتمتد أعينهم إليها ويأخذونها

(١) أي بسؤاله أي بطلبه، ونحوه في حذف الهاء (لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ) [فصلت: ٤٩]، أي: من دعائه بالخير.

بغير حقها، بل يأكلونها بالباطل وليتقطن كل شريك، وليتقطن كل من له مال قد اختلط بمال غيره.

إن نبينا محمداً □ قد قال يوم النحر بمكة: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا....» (١)

وقال تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) [البقرة: ١٨٨].

فهذه نصوص تنهى عن أكل أموال الناس بالباطل وتحذر من ذلك أشد التحذير، ولكن مَنْ الممثل لذلك؟ ما امتثل لذلك وما سمع وأطاع إلا القليل، ألا وهم أهل الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) [ص: ٢٤].

نعم أهل الإيمان قلة.

*** قال تعالى:** (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) [سبأ: ١٣].

*** وقال تعالى:** (مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) [آل عمران: ١١٠].

*** وقال تعالى:** (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) [يوسف: ١٠٣].

فهذا الإخبار بقلة أهل الإيمان حتى لا يستوحش السالكون طريق الهداية لقلة سالكيه.

هذا الإخبار لمواساة أهل الإيمان ولإيناسهم!!

ولنرجع إلى ما كان من أمر نبي الله داود غ، قال تعالى: (وَلَقَدْ دَاوُدُ أَنْمًا

(١) البخاري (حديث ٤٤٠٦)، ومسلم (ص ١٣٠٦) من حديث أبي بكرة فمرفوعاً.

فَنَنْتَهُ فَأَسْتَغْفِرُ رَبِّي، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٤٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ۖ

*** أما قوله تعالى:** (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ) أي: فعفونا عنه وصفحنا له عن أن نؤاخذه بخطيئته وذنبه ذلك.

*** وقوله:** (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ) وإن له عندنا للقربى يوم القيامة، قال ذلك الطبري \$، وأورد قول قتادة في تفسير: (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ) قال: الذنب.

*** أما قوله:** (وَحَسَنَ مَّكَابٍ ﴿٢٥﴾) أي: حسن مرجع ومنقلب، وحسن مصير يوم القيامة.

*** قلت (مصطفى):** ومن هنا لا ينبغي أن يقنط أحدٌ من رحمة الله أبدًا، بل على المرء أن يُقدم توبة على الدوام، ويستغفر الله، ويكثر من الاستغفار ما دام حيًّا، ولا ييأس من روح الله فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

إن نبي الله الكريم موسى غ قتل نفسًا، فقال: (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾) [الفصل: ١٦]، وكذا فلا ينبغي أن يغتر عبدٌ بعمل صالح عمله، ولا أن يقترف السيئات متكلاً على سعة عفو الله ومغفرته، فالله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير.

وقد قال سبحانه: ﴿يَتَىٰ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

قال الحافظ ابن كثير \$:

وقوله: (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّكَابٍ ﴿٢٥﴾) أي: وإن له يوم القيامة لقربة يقربه الله ٥ بها وحسن مرجع وهو الدرجات العاليات في الجنة لنبوته

وعدله التام في ملكه كما جاء في الصحيح: «المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يقسطون في أهلهم وما ولوا»^(١).



س: ماذا عن معنى (وَلَّيَ)؟! وهل فتن داود غ؟ ولماذا اختبر غ؟ وكيف كانت تلك الفتنة؟! واستغفر ربه من ماذا؟!

ج: أما كلمة (وَلَّيَ) فأحياناً تأتي بمعنى علم وأيقن، ومن ذلك قوله تعالى: (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ) [البقرة: ٢٤٩].
وقول المؤمن يوم القيامة: (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبَاءَ ۖ) [الحاقة: ٢٠] أي: أيقنتُ.

ولكن هل هي في هذا الموطن (وَلَّيَ دَاوُدُ) بهذا المعنى: علم وأيقن؟! قد قال بذلك بعض العلماء، منهم قتادة^(٢)، والله أعلم.

*** أما سائر التساؤلات التي ذكرت فلا أعلم دليلاً صريحاً صحيحاً في الإجابة عليها، إنما هي أقوال فريق من العلماء، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وكثير منها يبدو أنه مأخوذ من الإسرائيليات، وكثير منها لا يصح سنده إلى قائله، فنسوقها على وجه الإجمال مستغفرين الله ٥ أولاً وآخرًا، غير جازمين بصحة ما نقوله؛ إذ ليس عليه دليل من الكتاب أو السنة الصحيحة منزهين نبي الله داود غ عن كل شائنة وكل عيب، فهو**

(١) مسلم (١٨٢٧) بنحوه.

(٢) أخرج ذلك الطبري (٢٩٨٤٨) بسند حسن عن قتادة، وهو اختيار الطبري أيضاً.

نبي كريم جعله الله خليفة في الأرض له في الآخرة زلفى وحسن مآب، لنا فيه أسوة، وهو لنا على الإجمال قدوة، فهو ممن قال الله فيهم: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ) [الأنعام: ٩٠].

* ثم إن الحامل لنا على إيراد ما سنورده مجملًا ثم ببعض التفصيل هو أن جماهير المفسرين أوردوه في تفاسيرهم وتناقلوه عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم، فلما لم يكن من شأننا هجران ما ذكره جمهور السلف الصالح، فمن ثم أوردته، وأوردت بعض وجوه التعقب التي ذكرها بعض العلماء عليه، والله المستعان على كل شيء، وهو الموفق للحق والصواب، وهو أعلم بكتابه وأعلم بمراده، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فنقول وبالله التوفيق:

* إن حاصل ما ذكره عدد من المفسرين في هذا الصدد، وفحواه: أن نبي الله داود غ سمع الثناء الحسن على أنبياء الله الكرام عليهم الصلاة والسلام: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فسأل ربه سبحانه وتعالى ثناءً مثل هذا الثناء، فقيل لداود غ: إنهم ابتلوا فصبروا، فسأل أن يبتلى كما ابتلوا، فمرت الأيام ودارت حتى نسي السؤال الذي كان سأل، ثم إنه ذات يوم ابتلى، فوقع بصره على امرأة حسناء فوقعت في قلبه، فسأل عنها فوجد أنها ذات زوج، فطلب من زوجها أن يطلقها حتى يتزوجها، فمن ثم كان هذا هو البلاء الذي ابتلى به، واستغفر منه، وخرَّ راكعًا وأناب!

* وزاد البعض زيادات، ألا وهي: أنه أرسل زوجها للقتال، ومن ثم إذا قُتل زوجها تزوجها.

وهذا ظن لا يليق بنبي كريم كداود غ.

هذا حاصل ما ذكر في هذه القصة.

* أما الخبر الوارد في ذلك عن رسول الله ﷺ فهو خبر ضعيف جداً لا يصح عن رسول الله ﷺ، ألا وهو ما أخرجه الطبري^(١) من طريق يزيد الرقاشي عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ دَاوُدَ حِينَ نَظَرَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَأَهَمَّ، قَطَعَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَوْصَى صَاحِبَ الْبَغْتِ، فَقَالَ: إِذَا حَضَرَ الْعَوْتُ، فَقَرَّبْ فَلَنَا بَيْنَ يَدَيِ التَّابُوتِ...» الحديث، فهو ضعيف جداً من أجل يزيد الرقاشي: ضعيف جداً، بل متروك.

* وقد قاله الطبري أيضاً في تفسير قوله تعالى: (وَلَنْ دَاوُدَ أَتَمَّ فَتْنَهُ).

واختلف في سبب البلاء الذي ابتلي به نبي الله داود غ، فقال بعضهم: كان سبب ذلك أنه تذكر ما أعطى الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من حسن الثناء الباقي لهم في الناس فتمنى مثله، ف قيل له: إنهم امتحنوا فصبروا، فسأل أن يُبتلى كالذي ابتلوا، ويعطى كالذي أعطوا إن هو صبر.

ثم أورد الطبري آثاراً في هذا الصدد لا يخلو أثر منها من مقال، ثم هي موقوفات ومقطوعات، منها ما أورده عن الحسن: أن داود جزأ الدهر أربعة أجزاء: يوماً لنسائه، ويوماً لعبادته، ويوماً لقضاء بني إسرائيل، ويوماً لبني إسرائيل يذاكرهم ويذكرونه، ويبكهم ويبكونه، فلما كان يوم بني إسرائيل قال: ذاكروا، فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنباً؟ فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك. فلما كان يوم عبادته أغلق أبوابه، وأمر أن لا يدخل عليه أحد، وأكب على التوراة، فبينما هو يقرأها، فإذا حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن قد وقعت بين يديه،

(١) الطبري (٢٩٨٥٩).

فأهوى إليها ليأخذها، قال: فطارت، فوقعت غير بعيد، من غير أن تؤيسه من نفسها، قال: فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل، فأعجبه خلقها وحسنها، قال: فلما رأت ظله في الأرض جللت نفسها بشعرها، فزاده ذلك أيضًا إعجابًا بها، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا، مكانٍ إذا سار إليه لم يرجع، قال: ففعل فأصيب، فخطبها فتزوجها.

قال: وقال قتادة: بلغنا أنها أم سليمان، قال: فبينما هو في المحراب إذ تسور الملكان عليه، وكان الخصمان إذا أتوه يأتونه من باب المحراب، ففرع منهم حين تسوروا المحراب، فقالوا: (لَا تَحَفَّ خَصْمَانِ بَعَى بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ) حتى بلغ: (وَلَا تُسْطِطْ) أي: لا تمل (وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءٍ أَلْصِرْطِ) (٢٢) أي: أعدله وخيره (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً)، وكان لداود تسع وتسعون امرأة (وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ) قال: وإنما كان للرجل امرأة واحدة (فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) (٢٣) أي: ظلمني وقهرني، فقال: (لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَاتِكَ إِلَى نَجَاتِهِ) إلى قوله: (وَقِيلَ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ) فعلم داود أنما صمد له: أي عني به ذلك (وَحَرَّارَكَا وَأَنَابَ) (٢٤) قال: وكان في حديث مطر أنه سجد أربعين ليلة، حتى أوحى الله إليه: إني قد غفرت لك، قال: رب وكيف تغفر لي وأنت حكم عدل، لا تظلم أحدًا؟ قال: إني أقضيك له، ثم استوهبه دمك أو ذنبك، ثم أثيبه حتى يرضى، قال: الآن طابت نفسي وعلمت أنك قد غفرت لي.

قلت (مصطفى): ولعل هذا مأخوذ من الإسرائيليات.

وأورد الطبري رحمه الله تعالى أكثرين عن ابن مسعود وابن عباس ق، وفي كل منهما مقال فحواهما: أنهما قالوا ما زاد داود غ على أن قال: انزل

لي عنها^(١).

هذه هي القصة على وجه الإجمال، وبعض الوارد فيها، وقد أشرنا إلى ضعف أسانيد الآثار الواردة فيها، وها هي طائفة أخرى من أقوال أهل العلم يرحمهم الله:

قال القاسمي في محاسن التأويل:

للمفسرين في هذا النبأ أقوال عديدة ووجوه متنوعة مرجعها إلى مذهبين: مذهب من يرى أنها تشير تعريضاً إلى وزر ألم به داود غ ثم غفر له. ومذهب من يرى أنها حكومة في خصمين لا إشعار لها بذلك. فممن ذهب إلى الأول ابن جرير. فإنه قال هذا مثل ضربه الخصم المتسورون على داود محرابه. وذلك أن داود كانت له - فيما قيل - تسع وتسعون امرأة. وكانت للرجل الذي أغراه حتى قتل امرأة واحدة. فلما قُتل نكح - فيما ذكر - داود امرأته. ثم لما قضى للخصمين بما قضى علم أنه ابتلي. فسأل غفران ذنبه وخرّ ساجداً لله، وأناب إلى رضا ربه، وتاب من خطيئته.

هذا ما قاله ابن جرير. ثم أسند قصته مطولة من روايات عن ابن عباس والسدي وعطاء والحسن وقتادة ووهب ومجاهد. ومن طريق عن أنس مرفوعاً. ويشبه سياق بعضها ما ذكر في التوراة المتداولة الآن.

قال السيوطي في الإكليل:

القصة التي يحكونها في شأن المرأة، وأنها أعجبت، وأنه أرسل زوجها مع البعث حتى قتل، أخرجها ابن أبي حاتم من حديث أنس

(١) الطبري (أثر ٢٩٨٣٨)، (٢٩٨٣٩)، (٢٩٨٤٠).

مرفوعاً، وفي إسناد ابن لهيعة - وحاله معروف، عن ابن صخر عن يزيد الرقاشي، وهو ضعيف. وأخرجها من حديث ابن عباس موقوفاً. انتهى.

أقول: أما المرفوع إلى النبي ﷺ فيها، فلم يأت من طريق صحيح. وأما الموقوف من ذلك على الصحب والأتباع، فمعملهم في ذلك ما ذكر في التوراة من هذا النبأ، أو الثقة بمن حكى عنها. وينبني على ذلك ذهابهم إلى تجويز مثل هذا على الأنبياء. وقد ذهب طائفة إلى تجويز ما عدا الكذب في التبليغ. كما فصل في مطولات الكلام.

قال ابن حزم \$:

وهو قول الكرامية من المرجئة، وابن الطيب الباقلاني من الأشعرية، ومن اتبعه. وهو قول اليهود والنصارى. ثم رد هذا القول \$ ردّاً متيناً.

وأما المذهب الثاني: فهو ما جزم به ابن حزم في «الفصل» وعبارته: ما حكاه تعالى عن داود غ غ قول صادق صحيح، لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود. وإنما كان ذلك الخصم قومًا من بني آدم، بلا شك، مختصمين في نجاج من الغنم على الحقيقة بينهم. بغى أحدهما على الآخر على نص الآية. ومن قال إنهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله هـ، وقوله ما لم يقل، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذب الله هـ، وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذب الملائكة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾، فقال هو: لم يكونوا قط خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة، ولا كان للآخر نعجة واحدة، ولا قال له أكفانيها.

فاعجبوا لِمَا يَقُحُّ فِيهِ أَهْلُ الْبَاطِلِ أَنْفُسَهُمْ. ونعوذ بالله من الخذلان. ثم كل ذلك بلا دليل، بل الدعوى المجردة. وتالله! إن كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشَّقَ امرأة جاره، ثم يعرِّضَ زوجها للقتل عمداً، ليتزوجها. وعن أن يترك صلاته لطائر يراه. هذه أفعال السفهاء المتهوكين الفساق المتمردين. لا أفعال أهل البر والتقوى. فكيف برسول الله داود □ الذي أوحى إليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه؟ لقد نَزَّهَهُ اللهُ ٥ عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله. فكيف أن يستضيف إلى أفعاله؟ وأما استغفاره وخروره ساجداً، ومغفرة الله له، فالأنبياء و أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة. والاستغفار فعل خير لا يُنكَرُ من مَلَكٍ ولا من نبي. ولا من مذنّب ولا من غير مذنّب. فالنبي يستغفر الله لمذنّبي أهل الأرض. والملائكة كما قال تعالى: (وَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾) [غافر: ٧]، وأما قوله تعالى عن داود غ: (وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ)، وقوله: (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ)، فقد ظن داود غ أن يكون ما آتاه الله ٥ من سعة الملك العظيم فتنة. فقد كان رسول الله □ يدعو في أن يثبت الله قلبه على دينه. فاستغفر الله تعالى من هذا الظن، فغفر الله تعالى له هذا الظن. إذ لم يكن ما آتاه الله تعالى من ذلك فتنة. انتهى كلام ابن حزم، وهو وقوف على ظاهر الآية، مجرداً عن إشارة وإيماء.

وقال البرهان البقاعي في تفسيره:

وتلك القصة وأمثالها من كذب اليهود.

ثم قال: وأخبرني بعض من أسلم منهم أنهم يتعمدون ذلك في حق داود

غ؛ لأن عيسى غ من ذريته، ليجدوا سبيلاً إلى الطعن فيه. انتهى.

ثم قال: وقوله تعالى: (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ) أي: الوقوع في الحديث عن إسناد الظلم إلى أحد بدون سماع لكلامه. وهذه الدعوى تدريب لداود غ في الأحكام. وذكرها للنبي ﷺ تدريب له في الأناة في جميع أموره على الدوام. ولما ذكر هذا، ربما أوهم شيئاً في مقامه □، فدفعه بقوله: (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ۖ) (٢٥)، فالقصة لم يجز ذكرها إلا للترقية في رتب الكمال. وأول دليل على ما ذكرته، أن هذه الفتنة إنما هي بالتدريب في الحكم، لا بامرأة ولا غيرها. وأن ما ذكره من قصة المرأة باطل وإن اشتهر. فكم من باطل مشهور، ومذكور هو عين الزور. انتهى.

وقال ابن كثير §:

قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس **ق** - ويزيد وإن كان من الصالحين - لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله ۝ فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضاً. انتهى.

وقال القاضي عياض في «الشفاء»:

وأما قصة داود غ فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره فيه الإخباريون على أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله: (وَوَلَّىٰ دَاوُدَ دَاوُدَ أَمَّا فَتْنُهُ فَاسْتَغْفِرُ بِهِ ۖ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۝) (٢٤) وقوله فيه (وَأَوَّحَ) فمعنى

(فَنَنْتَهُ) اختبرناه. و(أَوَّجُّ) (٣٠) قال قتادة: مطيع وهذا التفسير أولى، قال ابن عباس وابن مسعود: ما زاد داود على أن قال للرجل: انزل عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبيه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره وقد قيل خطبها على خطبته، وقيل: بل أحب بقلبه أن يستشهد، وحكى السمرقندي أن ذنبه الذي استغفر منه قوله: (لَقَدْ ظَلَمَكَ) فظلمه بقول خصمه، وقيل: بل لما خشي على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا، وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود من ذلك ذهب أحمد ابن نصر وأبو تمام وغيرهما من المحققين، قال الداودي: ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل: إن الخصمين اللذين اختصما إليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الآية. وقيل: بل لما خشي على نفسه وظن من الفتنة لما بسط له من الملك والدنيا. انتهى.

وقال ابن القيم في أواخر كتابه «الجواب الكافي» في مباحث العشق:

وقد أرشد □ المتحابين إلى النكاح كما في سنن ابن ماجه مرفوعاً: «لم ير للمتحابين مثل النكاح»^(١)، ونكاحه لمعشوقه هو دواء العشق الذي جعله الله دواءه شرعاً وقدره وبه تداوى نبي الله داود □، ولم يرتكب نبي الله محرماً وإنما تزوج المرأة وضمها إلى نسائه لمحبتة لها وكانت توبته بحسب منزلته عند الله وعلو مرتبته ولا يليق بنا المزيد على هذا. انتهى.

وقال ابن العربي - كما نقل عنه القرطبي -:

وأما قولهم إنها لما أعجبته أمر بتقديم زوجها للقتل في سبيل الله فهذا

(١) في سنده ضعف.

باطل قطعاً فإن داود □ لم يكن ليريق دمه في غرض نفسه وإنما كان من الأمر أن داود قال لبعض أصحابه: انزل لي عن أهلك وعزم عليه....

قلت (مصطفى): والذين يميلون إلى تصحيح أصل هذه القصة تتلخص حججهم في أمور:

أحدها: كثرة القائلين بمضمون هذه القصة من السلف.

الثاني: ما ورد عن بعض السلف من تفسير النعجة بالمرأة، ولذلك شواهد من لغة العرب.

الثالث: أن قوله تعالى: (فَاسْتَغْفِرَ رَبَّهُ)، وقوله تعالى: (فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ) يدل على أن شيئاً ما قدر صدر من داود غ.



سجدة ص

س: هل يشرع السجود عند قراءتنا هذه الآية: (وَلَقَدْ دَاوُدُ أَنْمَا فَنَنْتَهُ فَاسْتَغْفَرَ

رَبَّهُ، وَحَرَّرَ كَعَا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾...؟

ج: ابتداءً قد أخرج البخاري ^(١) من طريق مجاهد قال: قلت لابن عباس: أنسجد في «ص» فقرأ: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) [الأنعام: ٨٤]، حتى أتى: (فِيهِدَهُمْ أَقْتَدَهُ) [الأنعام: ٩٠].

فقال ابن عباس ق: نبيكم □ ممن أمر أن يقتدي بهم.

وعند البخاري ^(٢) من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: ليس

«ص» من عزائم السجود، ورأيت النبي □ يسجد فيها.

وفي رواية للبخاري ^(٣) من طريق مجاهد قال: سألت ابن عباس: من أين

سجدت؟ فقال: أو تقرأ: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَثَمَارًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَهُمْ أَقْتَدَهُ) [الأنعام: ٨٤-٩٠]، فكان داود ممن أمر نبيكم □ أن يقتدي به، فسجدها داود فسجدها رسول الله □.

ولمزيد إفادة في هذا الصدد، أقول وبالله التوفيق:

(١) البخاري (حديث ٣٤٢١).

(٢) البخاري (حديث ٣٤٢٢).

(٣) البخاري (مع الفتحة ٥٤٤/٨).

هذه مواطن قد ورد فيها سجود التلاوة، فمن ذلك:

سجدة الانشقاق:

أخرج البخاري ومسلم^(١) من طريق أبي رافع قال: صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ الْعَمَّةَ فَقَرَأَ (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾) [الانشقاق: ١] فَسَجَدَ فَقُلْتُ لَهُ فَقَالَ: سَجَدْتُ خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ □ فَلَا أَزَالُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّى أَلْقَاهُ.

وسجدة العلق:

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: سجدنا مع رسول الله □ في (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾) [الانشقاق: ١]، و(أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ) [العلق: ١]^(٢).

ومن ذلك سجدة النجم:

أخرج البخاري ومسلم^(٣) من حديث ابن مسعود قال: قرأ النبي □: (النجم) بمكة فسجد فيها، وسجد من معه غير شيخ أخذ كفاً من حصي - أو ثراب - فرفعه إلى جبهته، وقال: يكفيني هذا فرأيت به بعد ذلك قُتِلَ كافرًا. ويجوز أن يترك السجود في النجم، ففي الصحيحين^(٤) من حديث زيد بن ثابت قال: قرأتُ على النبي □ والنجم فلم يسجد فيها. * هذا وقد نقل الطحاوي في «شرح معاني الآثار»^(٥) أن السجود المتفق عليه عشر سجعات، قال: منهن في (الأعراف) وموضع السجود فيها _____ قولُه:

(١) البخاري (مع الفتح ٢/٢٥٠)، ومسلم (مع النووي ٥/٧٨).

(٢) مسلم (صد ٤٠٦).

(٣) البخاري (مع الفتح ٢/٥٥١)، ومسلم (مع النووي ٥/٧٤).

(٤) البخاري (مع الفتح ٢/٥٥٤)، ومسلم (٥/٧٥).

(٥) «شرح معاني الآثار» (١/٣٥٩).

(إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾).

[الأعراف: ٢٠٦].

ومنهن (الرعد) وموضع السجود عند قوله ٥: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾) [الرعد: ١٥].

ومنهن (النحل) وموضع السجود منها عند قوله تعالى: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ) [النحل: ٤٩] إلى قوله (يُؤْمِرُونَ ﴿٥٠﴾) [النحل: ٥٠].

ومنهن في سورة (بنو إسرائيل) وموضع السجود منها عند قوله تعالى: (يَخْرُجُونَ لِلْآذِقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾) [الإسراء: ١٠٧] إلى قوله: (خُشُّوعًا ﴿١٠٩﴾) [الإسراء: ١٠٩].

ومنهن سورة (مريم) وموضع السجود منها عند قوله: (إِذَا نُنَادِيَهُمْ أَيْنَ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾) [مريم: ٥٨].

ومنهن سورة (الحج) فيها سجدة في أولها عند قوله: (الْمُرَرَّاتِ اللَّهُ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) [الحج: ١٨] إلى آخر الآية.

ومنهن سورة (الفرقان) وموضع السجود منها عند قوله: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ) [الفرقان: ٦٠] إلى آخر الآية.

ومنهن سورة (النمل) فيها سجدة عند قوله تعالى: (أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ) [النمل: ٢٥] إلى آخر الآية.

ومنهن (آل عمران) فيها سجدة عند قوله تعالى: (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) [السجدة: ١٥] إلى آخر الآية.

ومنهن (حم) ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ وموضع السجود منها فيه اختلاف، فقال بعضهم: موضعه (تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾) [فصلت: ٣٧]، وقال

بعضهم: موضعه (فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾) [فصلت: ٣٨].



س: إذا لم تُعتمد هذه القصة المشار إليها، فما وجه الفتنة التي قال الله عنها: (وَلَوْ دَاوُدُ أَنْتَمَا فَنَنَّهُ)؟

وما وجه الاستغفار وسجود التوبة الذي صدر منه؟ وما الذي غفره الله له؟

ج: من العلماء من أجاب على ذلك بما حاصله أن العلم بذلك موكول إلى الله ٥.

ومنهم من قال: إنه استغفر لكونه أغلق الباب دون الناس حتى وصل الأمر بالخصوم إلى أن يتسوروا المحراب.

وهذا ليس فيه كبير مأخذٍ على نبي الله داود، ولا صغير مأخذٍ؛ إذ النفس لها حق كما أن للرعية حق، وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا يَقْضِيَنَّ حَكَمَ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضَبَانُ» ^(١).

فكذا المتعب المرهق من حق نفسه عليه عند القضاء أن يكون هادئ البال مستقر الحال لا يقضي وهو متعب مرهق.

***** ومن العلماء من قال إن الذي صدر من داود غ أنه قضى لأحد الخصمين قبل أن يستمع إلى الآخر، ومن المعلوم أن القاضي يلزمه أن يستمع وجهة نظر الآخر، ورده على ما وُجّه إليهم من تُهم.

وأجاب بعضهم على ذلك بأن سكوت الخصم يُعدُّ إقراراً منه لقول

(١) البخاري (حديث ١٧٥٨)، ومسلم (١٧١٧).

الآخر، فالله أعلم.

* ولنرجع إلى ما كنا بصده أ لا وهو ذكر نبي الله داود غ، فنقول وبالله التوفيق:

إن الله ٥ قال: (فَعَفَّرْنَا لَهُ ذَلِكْ) فأيا كان هذا الذي صدر من نبي الله داود غ فقد غفره الله له، والحمد لله رب العالمين.

فمن ثم فلا يُنال أبدًا من نبي الله داود غ كما تفعل طوائف اليهود! ولا يُنال من نبي الله داود أبدًا كما يفعل القصاص ويسترسلون في القصص، فنبى الله داود غ نبي كريم له عند الله زلفى وحسن مآب.



س: وضع معنى قوله تعالى: (يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَنْفُسُ إِلَىٰ الْحِسَابِ) (٦١).

ج: المعنى - والله أعلم -: يا داود إن الذي جعلك خليفة في الأرض هو الله هو الذيمكنك من قتل جالوت!

* هو الذي آتاك الملك والحكمة!!

* هو الذي اصطفاك فـ (اللَّهُ يَصْطَفِي مَنِ الْمَلَكِ كَرُسلًا وَمِنَ النَّاسِ).

[الحج: ٧٥]

* هو الذي اجتباك (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مَنِ رُسلِهِ مَنِ يَشَاءُ) [آل عمران: ١٧٩].

* هو الذي علمك مما يشاء!!

(قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنِ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنِ تَشَاءُ وَتُذِلُّ

مَنِ تَشَاءُ يَبْدِكِ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران: ٢٦).

فليذكر الحكام والملوك والوزراء والأمراء وذوو المناصب والوجاهات ذلك كله وليكن منهم على بالٍ وليقدموا له شكرًا.

*** ثم قال تعالى أمرًا هذا النبي الكريم - وغيره له تبع -: (فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) [ص: ٢٦]،** والحق ما أنزله الله في كتابه وعلى السنة رسله عليهم الصلاة والسلام.

فهذا فرض واجب على كل خليفة وقاضٍ، ليس بفضلٍ ولا نافلة.

قال الله تعالى لنبيه محمد □: (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ
وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾) [المائدة: ٤٩].

وقال تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾) [الجاثية: ١٨].

إنه لحق على ولاة الأمر وكل من تقلد منصبًا أن يتقى الله في منصبه وفي رعاياه، قال تعالى: (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِقَابُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾) [الحج: ٤١].
واجبٌ على الخليفة والحاكم أن ينتصر للمظلوم من الظالم، وأن يأخذ للضعيف حقه ممن بغى عليه.

واجب على الخليفة أن ينهى عن الفساد في الأرض ويأخذ على أيدي الشراذم والأراذل العابثين بالأعراض المغتصبين للأموال، سفكة الدماء، قطاع الطرق، ومروجي المخدرات والمسكرات.

واجب عليه أن يقيم الصلاة، وأن يؤتي الزكاة، ويحمل الناس على طاعة أمر الله ورسوله □، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

واجب عليه أن يطلب العون من الله، فالله المستعان على كل حال.

*** ثم يحذر الله نبيه داود غ فيقول له: (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)**

[ص: ٢٦] نعم اتباع الهوى - الذي منه ميل النفس إلى ما تشتهي، مع الإعراض عن كتاب الله - يضل عن سبيل الله، أيًا كان هذا المتبع لهواه، وإن كان من أذكى الناس وأعقل الناس وخير الناس!!

وماذا بعد الضلال عن سبيل الله؟ ماذا بعد ترك الحكم بين الناس بالحق؟!

بعد والعياذ بالله العذاب الشديد المؤلم الموجه (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ) **[ص: ٢٦]**.

نعم لهم عذاب شديد بما تركوا العمل ليوم القيامة.

فعيادًا بالله من الضلال عن سبيل الله! وعيادًا بالله من العذاب الشديد يوم الحساب!

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

هذه وصية من الله ﷻ لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله. وقد توعد تعالى من ضل عن سبيله، وتناسى يوم الحساب، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد.

قال الطبري \$:

وقوله: (يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) يقول تعالى ذكره: وقلنا لداود: يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكما بين أهلها.

كما حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي (إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً) ملكه في الأرض (فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) يعني: بالعدل والإنصاف (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى) يقول: ولا تؤثر هواك في قضائك بينهم على الحق والعدل فيه، فتجور عن الحق (فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) يقول: فيميل بك اتباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحق عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه، فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله.

وقوله: (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ) يقول تعالى ذكره: إن الذين يميلون عن سبيل الله، وذلك الحق الذي شرعه لعباده، وأمرهم بالعمل به، فيجورون عنه في الدنيا، لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضلالهم عن سبيل الله بما نسوا أمر الله، يقول: بما تركوا القضاء بالعدل، والعمل بطاعة الله (يَوْمَ الْحِسَابِ) من صلة العذاب الشديد.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيحٍ عن العوام: عن عكرمة، في قوله: (عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ) قال: هذا من التقديم والتأخير، يقول: لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا.



دفع شبهة

س: معلوم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يحكمون بالحق، فلماذا خص داود غ بقوله: (يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ)؟

ج: أجب على ذلك الشنقيطي بقوله:

ومعلوم أن نبي الله داود، لا يحكم بغير الحق، ولا يتبع الهوى، فيضله عن سبيل الله، ولكن الله تعالى، يأمر أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، وينهاهم، ليشرع لأممهم.

ولذلك أمر نبينا □، بمثل ما أمر به داود، ونهاه أيضاً عن مثل ذلك، في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: (وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ) [المائدة: ٤٢]. وقوله تعالى: (وَإِنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) [المائدة: ٤٩]، وكقوله تعالى: (وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) [الأحزاب: ١]، وقوله تعالى: (وَلَا تُطِيعُ مِنْهُمْ إِيثَا أَوْ كَفُورًا) [الإنسان: ٢٤]، وقوله تعالى: (وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) [الكهف: ٢٨].

وقد قدمنا الكلام على هذا، في سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا) [الإسراء: ٢٢].

وبينا أن من أصرح الأدلة القرآنية الدالة على أن النبي يخاطب بخطاب، والمراد بذلك الخطاب غيره يقيناً قوله تعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا) [الإسراء: ٢٣]، ومن المعلوم أن أباه □ توفي قبل ولادته، وأن أمه ماتت وهو صغير، ومع ذلك فإن الله يخاطبه بقوله تعالى: (إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا) ومعلوم أنه لا يبلغ عنده الكبر أحدهما، ولا كلاهما لأنهما قد ماتا قبل ذلك بزمان.

فتبين أن أمره تعالى لنبيه ونهيه له في قوله: (فَلَا تَقُلْ لِّمُؤْمِنٍ أَلَّا يَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ): إنما يراد به التشريع على لسانه لأمته، ولا يراد به هو نفسه □.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِّيَذَّبُوا ءَابَتَهُ وَيَسْتَدَكِّرَ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾).

ج: يبين الله سبحانه وتعالى أنه ما خلق الخلق عبثاً ولا لهواً ولا باطلاً، إنما خلقهم لحكمة أرادها، خلقهم وسيجازي المحسنين المطيعين على إحسانهم وطاعتهم، وسيعاقب المسيئين المتمردين على تمردهم وعتوهم وفسادهم.

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾)

[ص: ٢٧]

وأوضح الله سبحانه وتعالى أنه لا يستوي المصلح مع المفسد، ولا العادل مع الظالم الجائر، وأيضاً فلا يستوي المسلم مع المجرم، قال تعالى: (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾)

[ص: ٢٨]

كلا، فلا يستوي تقي وفاجر، ولا مؤمن وفاسق (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ

فَاسِقًا لَا يَسْتَوِينَ ﴿١٨﴾ [السجدة: ١٨]، (أَفَجَعَلُ الْمُجْرِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾).

[القلم: ٣٥-٣٦]

ألا فليتدبر هذا الكتاب العزيز، وليتلى وليعمل بما فيه، فلهذا أنزل، قال تعالى: (كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلَّا يَكُنِ لَكُمْ حِجَابٌ عَنْ آيَاتِهِ) (ص: ٢٩)، جعلنا الله وقارئ هذه الرسالة من أولي الألباب، أصحاب العقول النيرة، آمين، الله

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) عبثاً ولهواً، ما خلقناهما إلا ليعمل فيهما بطاعتنا، وينتهى إلى أمرنا ونهيها.

(ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) يقول: أي ظن أنا خلقنا ذلك باطلاً ولعباً، ظن الذين كفروا بالله فلم يوحده، ولم يعرفوا عظمته، وأنه لا ينبغي أن يعبد، فيتيقنوا بذلك أنه لا يخلق شيئاً باطلاً. (قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٣٧﴾) يعني: من نار جهنم. وقوله: (أَمْ جَعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ) يقول: أنجعل الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمر الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه (كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ) يقول: كالذين يشركون بالله ويعصونه ويخالفون أمره ونهيه.

(أَمْ جَعَلُ الْمُتَّقِينَ) يقول: الذين اتقوا الله بطاعته وراقبوه، فحذروا معاصيه (كَالْمُفْجَرِ ﴿٣٨﴾) يعني: كالكفار المنتهكين حرمان الله.

وقوله: (كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وهذا القرآن (كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) يا محمد (مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) يقول: ليتدبروا حجج الله التي

فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به.

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة القراء: (لِتَذَبُّوا) بالياء، يعني: ليتدبر هذا القرآن من أرسلناك إليه من قومك يا محمد.

وقراه أبو جعفر وعاصم (لتدبروا آياته) بالتاء، بمعنى: لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك.

وأولى القراءتين عندنا بالصواب في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان

صحيحتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب (وَلِتَذَكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾) يقول: وليعتبر أولو العقول والحجا ما في الكتاب من الآيات، فیرتدعوا عما هم عليه مقيمين من الضلالة، وينتهوا إلى ما دلهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثاً وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي: الذين لا يرون عبثاً ولا معاداً وإنما يعتقدون هذه الدار فقط، (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾) أي: ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم.

ثم بين تعالى أنه من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمن والكافر فقال: (أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) (٢٨) أي: لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر. وهذا

الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء فإننا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ونرى المظلم المظلوم يموت بكمده فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا. وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة. ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة، قال: (كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلَّا يَكُنِ الْإِنْسَانُ لَدُونَهُ لَقَدْ كَرِهَ الْإِنْسَانُ كُلُّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّه مِنْ لَدُنْهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (٢١) أي: ذوو العقول وهي الأبواب، جمع لب، وهو العقل.



ذِكْرُ نَبِيِّ اللَّهِ سَلِيمَانَ غ

(وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ
الصَّفِيفَتِ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ
بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا
سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا
يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ
أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾
هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّثَابٍ ﴿٤٠﴾)

[ص: ٣٠-٤٠]

س: اذكر معنى ما يلي:

(أَوَّابٌ - عُرِضَ عَلَيْهِ - بِالْعَشِيِّ - الصَّفِيفَتُ - الْجِيَادُ - حُبَّ الْخَيْرِ - ذَكَرَ رَبِّي - تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ - فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ - فَتَنَّا - جَسَدًا - أَنَابَ - رُخَاءً - حَيْثُ أَصَابَ - بَنَاءٌ - وَعَوَاصٍ - مُفْرَيْنَ - الْأَصْفَادِ - عَطَاؤُنَا - فَاْمُنُّ - أَمْسِكَ - بَغَيْرِ حِسَابٍ - زُلْفَى - وَحُسْنِ مَثَابٍ).

ج:

الكلمة	معناها
(أَوَّابٌ)	مُسَبِّح - مطيع لله - رجاء مستغفر
(عُرِضَ عَلَيْهِ)	مرَّت عليه ورآها
(بِالْعَشِيِّ)	من العصر إلى الليل
(الصَّفِيفَتُ)	الخيول (أثناء قيامها على ثلاثة أرجل وثني الرجل الرابعة حتى تكون على طرف الحافر)
(الْجِيَادُ)	قيل: السراع - وقيل: جمع جواد
(حُبَّ الْخَيْرِ)	حب الخيل والمال
(ذَكَرَ رَبِّي)	قيل: صلاة العصر، وقيل: عموم الذكر
(تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ)	اختفت الشمس وتغيَّبت بمغيبها
(فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ)	قولان: أحدهما: عقرها وضرب أعناقها، أي: قطع أرجلها ورقابها، والسوق: جمع ساق، والأعناق: جمع عنق.
(فَتَنَّا)	اختبرنا - ابتلينا
(جَسَدًا)	شيطانًا (عند أكثر العلماء) تمثل بصورة سليمان غ - وقيل: نصف الإنسان (الذي رزقه سليمان غ)

رجع واستغفر - ورجع إليه ملكه	(أَنَابَ)
لَيِّنَة - طيِّبَة - رخوة (من الرخاوة). وقيل: ليست بعاصفة وليست ببطيئة. وقيل: معناها مطيعة لسليمان غ	(مُخَفِّئَةً)
حيث أراد - إلى المكان الذي يُريده	(حَيْثُ أَصَابَ)
يعمل في البناء	(بِنَاءٍ)
عمله الغوص في البحار	(وَعَوَاصٍ)
مربوطون - موثقون	(مُقَرَّنِينَ)
السلاسل (سلاسل الحديد) - قيود الحديد	(الْأَصْفَادِ)
ما أعطيناه لك - ما مكَّناك منه - ما تفضلنا به عليك - فضلنا عليك	(عَطَاؤُنَا)
تفضل على من شئت - حُلْ (فَك) من الوثاق والقيود من شئت - أعط من شئت	(فَأَمَّنْ)
امنع من شئت - احرِّم من شئت - احبس من شئت - في القيود (من الشياطين)	(أَمْسَكَ)
لا حساب عليك ولا مؤاخذه عليك بدون حساب (لن نحاسبك)	(بَغَيْرِ حِسَابٍ)
قربة - (منزلة المقربين)	(زُلْفَى)
حسن مرجع ومصير - مصير حسن ومرجع حسن	(وَحَسَنَ مَّآبٍ)



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾).

ج: هذا امتنان من الله ٥ على نبيه داود غ، وتذكير له بهذه المنة، يمن الله عليه بأنه وهبه ورزقه ولدًا صالحًا نبياً كريماً مطيعاً وهو سليمان غ، فقد كان سليمان أيضاً مطيعاً لله مستغفراً كثيراً من التسييح والاستغفار عالمًا كذلك.

قال تعالى: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾) [ص: ٣٠].

وقال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا) [النمل: ١٥].

ومما لا شك فيه أن الرجل ينتفع بولده الصالح في الدنيا وبعد الممات.

ومن ثم فإن عباد الرحمن يقولون: (رَبَّاهِبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قَرَّةَ

أَعْيُنٍ وَأَجْعَلْنَا لِلْمُنْفِقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾) [الفرقان: ٧٤].

وقد قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ

ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ...» (١).

وعند أحمد في «المسند» (٢) بسند حسنٍ عن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ

الله ٥ ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا ربَّ أُنِّي لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك».

نعمة عظيمة من الله أن يرزق الشخص ولدًا صالحًا تُسخر له الريح والجن والإنس، والطير، وتعمل له الشياطين ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدر راسيات.

ثم مع ذلك كله يكون سببًا في رفعة درجاته في الآخرة.

(١) مسلم (حديث ١٦٣١) من حديث أبي هريرة ؓ مرفوعًا.

(٢) أحمد في «المسند» (٥٠٩/٢).

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَنَ) ابنه ولدًا (نَعَمْ الْعَبْدُ) يقول: نعم العبد سليمان (إِنَّهُ أَوَّابٌ) يقول: إنه رجاء إلى طاعة الله تواب إليه مما يكرهه منه. وقيل: إنه عني به أنه كثير الذكر لله والطاعة.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبرًا أنه وهب لداود سليمان، أي: نبيًا كما قال: (وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ) [النمل: ١٦] أي: في النبوة وإلا فقد كان له بنون غيره، فإنه قد كان عنده مائة امرأة حرائر.

وقوله: (نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) ثناء على سليمان غ بأنه كثير الطاعة والعبادة والإنابة إلى الله ٥.

**وهل قتل سليمان غ الخيل**

س: وضح معنى قوله تعالى: (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِينَتِ ابْنِ الْيَادِ) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٢٢) رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَنُفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٢٣).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - إذ عُرِضَتْ من العصر إلى الليل على سليمان غ الخيول السريعة التي من شأنها أنها صافنات تقف على ثلاثة أرجل وتثنى الرابعة مهينة مستعدة جميلة قوية، سريعة، فطفق غ ينظر إليها معجبًا بها حتى غربت الشمس ولم يكن قال أذكاره التي كان يقولها، وقال بعض العلماء: فاتته صلاة العصر، فلما كان ذلك استدرك غ، فقال: إني أحببت حبًا شديدًا الخيل، فالخيل هي الخير - وشغلني وألهاني حبها

عن ذكر الله ٥ حتى غابت الشمس واحتجبت واختفت، ثم قال: ردوا عليّ خيلي فردوها عليه، فلما ردّوها عليه، بدأ يمسح سيقانها ورقابها، واختلف العلماء في مسح السوق والأعناق، هل هو ضرب رقابها وقطع أرجلها بالسيف أم أنه مسح باليد.

فقال فريق من العلماء: إنه قتلها بعد أن قطع أرجلها، أي: قطع سيقانها ثم قتلها قرباً إلى الله، قالوا: وكان ذلك سائعاً في شريعتهم، كسر وقتل ما يشغل عن ذكر الله من هذه الدواب والآلات، قالوا: فأبدله الله خيراً من ذلك ريحاً تجري بأمره رخاء حيث أصاب...

وقال آخرون من أهل العلم: إن المراد بذلك أنه مسح رقابها وأرجلها حباً لها ولم يقتلها، وليس هناك ما يفيد أنه قتلها من سنة رسول الله ﷺ ولا أنه قطع أرجلها، ثم كيف يقطع أرجلها؟ وكيف يقتلها وفي ذلك إتلاف للمال وإتلاف للخيل المعدة للجهاد في سبيل الله.

قالوا: فلما لم يوجد نصٌّ صريح يُفيد أنه قطع أرجلها وقتلها - عن رسول الله ﷺ - ولم يكن للمحتج حجة إلا الاستدلال بالآية الكريمة، والآية الكريمة محتملة للأمرين، وثمَّ أمر مدفوع بنصوص آخر، صرنا إلى الأمر الذي لا يدفع بنصوص آخر، ألا وهو أنه مسحها بيده، كذا قالوا ما هذا حاصله، فאלله أعلم.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري §:

وقوله: (إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْإِجَادُ) يقول تعالى ذكره: إنه تواب إلى الله من خطيئته التي أخطأها، إذ عرض عليه بالعشي الصافنات؛

ف(إذ) من صلة أواب، والصافنات: جمع الصافن من الخيل، والأنثى: صافنة، والصافن منها عند بعض العرب: الذي يجمع بين يديه، ويثني طرف سنبك إحدى رجليه، وعند آخرين: الذي يجمع يديه. وزعم الفراء أن الصافن: هو القائم، يقال منه: صفنت الخيل تصفن صفوناً.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِنتُ لِلْجِدَادِ) (٣١) يعني: الخيل، وصفونها: قيامها وبسطها قوائمها.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: (الصَّفِنتُ لِلْجِدَادِ) (٣١) قال: الخيل أخرجها الشيطان لسليمان، من مرج من مروج البحر. قال: الخيل والبغال والحمير تصفن.

والصفن: أن تقوم على ثلاث، وترفع رجلاً واحدة حتى يكون طرف الحافر على الأرض.

وفي رواية عن ابن زيد قال: (الصَّفِنتُ) الخيل، وكانت لها أجنحة.

قال الطبري: وأما الجياد فإنها السراع، واحدها جواد.

قال: وقوله: (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) (٣٢) وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة الظاهر عليه من ذكره: فلهي عن الصلاة حتى فاتته، فقال: إني أحببت حب الخير. ويعني بقوله: (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ) أي: أحببت حباً للخير، ثم أضيف الحب إلى الخير. وعني بالخير في هذا الموضع الخيل، والعرب فيما بلغني تسمي الخيل: الخير، والمال أيضاً يسمونه الخير.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ): أي المال والخيل، أو الخير من المال.

وقوله: (عَنْ ذِكْرِ رَيْ) يقول: إني أحببت حب الخير حتى سهوت عن ذكر ربي وأداء فريضته. وقيل: إن ذلك كان صلاة العصر.

وأورد الطبري بسند حسن عن قتادة: (عَنْ ذِكْرِ رَيْ) عن صلاة العصر.

وقال الطبري:

وقوله: (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾) يقول: حتى توارت الشمس بالحجاب، يعني: تغيبت في مغيبها.

وقوله: (رُدُّوْهَا عَلَيَّ) يقول: ردوا علي الخيل التي عرضت عليّ، فشغلتنني عن الصلاة، فكروها عليّ.

وقوله: (فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾) يقول: فجعل يمسح منها السوق، وهي جمع الساق، والأعناق.

واختلف أهل التأويل في معنى مسح سليمان بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها، فقال بعضهم: معنى ذلك أنه عقرها وضرب أعناقها، من قولهم: مسح علاوته: إذا ضرب عنقه.

وأورد بسند حسن عن قتادة: (فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾) قال: قال الحسن: قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك، قال قولهما فيه، يعني: قتادة والحسن قال: فكسف عراقيبها، وضرب أعناقها.

وأورد الطبري من وجه آخر عن الحسن، وبه يصح النقل عن الحسن (وهو البصري) قال: أَمَرَ بِهَا فَعُقِرَتْ.

قال الطبري:

وقال آخرون: بل جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حباً لها.

وأورد الطبري بسند فيه مقال عن ابن عباس قوله: (فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ

وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٢﴾ يقول: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حباً لها، واختار الطبري قول ابن عباس هذا فقال: وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية؛ لأن نبي الله ﷺ لم يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالعرقبة، ويهلك ماله من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وقوله: (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾) ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذي يقطع به أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه^(١)، من ذلك عن جابر قال: جاء عمر ق، يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش، ويقول: يا رسول الله، والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب. فقال رسول الله ﷺ: «والله ما صليتها» فقال: فقمنا إلى بُطْحَانَ فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب.

ويحتمل أنه كان سائغاً في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال. والخيل تراد للقتال. وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعاً فنسخ ذلك بصلاة الخوف ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسايقة والمضايقة، حيث لا يمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود.

وقال ابن كثير \$:

(١) البخاري (٥٩٦)، ومسلم (٦٣١).

قال الحسن البصري: قال: لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك. ثم أمر بها فعقرت. وكذا قال قتادة.

وقال السدي: ضرب أعناقها وعراقبيها بالسيف.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: جعل يمسح أعراف الخيل، وعراقبيها حبًّا لها.

وهذا القول اختاره ابن جرير قال: لأنه لم يكن ليعذب حيوانًا بالعرقبة ويهلك مألًا من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها. وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر؛ لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبًا لله ٥ بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة؛ ولهذا لما خرج عنها الله تعالى عوضه الله تعالى ما هو خير منها وهي الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل.

وأورد بإسناد^(١) يصح لشواهدة عن أبي قتادة وأبي الدهماء: وكانا يكثران السفر نحو البيت - قالوا أتينا على رجل من أهل البادية، فقال البدوي: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني مما علمه الله تعالى وقال: «إنك لا تدع شيئًا اتقاء الله - ٥ - إلا أعطاك الله خيرًا منه».

وقال القرطبي \$:

والمفسرون اختلفوا في معنى الآية فمنهم من قال: مسح على أعناقها وسوقها إكرامًا لها وقال: أنت في سبيل الله فهذا إصلاح، ومنهم من قال: عرقبها ثم ذبحها وذبح الخيل وأكل لحمها جائز.

(١) أحمد في المسند (٧٨/٥، ٧٩).



س: هل كانت لهذه الخيل أجنحة؟

ج: ليس هنالك أخبار صحيحة تُفيد ذلك، وإن كان ذلك قد نُقل عن عددٍ من السلف.

صحَّ عن ابن زيد وغيره أن الصافنات الخيل، وكانت لها أجنحة. وأخرج أبو داود ^(١) من طريق محمد بن عوف حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمٍ أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَارَةُ بْنُ غَزِيَّةَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ **ف** قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا سَنَرٌ فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السَّنَرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟». قَالَتْ: بَنَاتِي. وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسَطَهُنَّ؟». قَالَتْ: فَرَسٌ. قَالَ: «وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟». قَالَتْ: جَنَاحَانِ. قَالَ: «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ». قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنَحَةٌ، قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ □.



فتنة سليمان غ

س: وضح معنى قوله تعالى: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ

(٣٤).

ج: المعنى - والله أعلم - ولقد ابتلينا سليمان غ واختبرناه لسببٍ من الأسباب لم يوضح هاهنا، ابتليناه بذهاب ملكه مدة من الزمن، وألقينا على

(١) أبو داود (٤٩٣٢)، وفي سنده يحيى بن أيوب الغافقي متكلم فيه.

كرسي المُلْك جسدًا، قيل: شيطانًا يحكم مكان سليمان غ، ثم تاب سليمان □ ورجع إلى الله ه، وردَّ الله ه عليه ملكه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: ولقد ابتلينا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا شيطانًا متمثلًا بإنسان، ذكروا أن اسمه صخر. وقيل: إن اسمه آصف. وقيل: إن اسمه أصر. وقيل: إن اسمه حقيق.

وقال \$: وقوله: (ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤) سليمان، فرجع إلى مُلكه من بعد ما زال عنه ملكه فذهب.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ أَي: اختبرناه بأن سلبناه الملك مرة، (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال ابن عباس، ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم: يعني: شيطانًا. (ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤) أي: رجع إلى ملكه وسلطانه وأبهته.



س: ما هذا الجسد الذي ألقى على كرسي سليمان غ، ولماذا ألقى هذا الجسد؟ وكيف أبعد؟

ج: ذهب جمهور أهل العلم إلى أن هذا الجسد هو شيطان تمثل في صورة إنسان، أما لماذا ألقى على كرسي سليمان غ، فيبدو من السياق، خاصة من قوله: (وَلَقَدْ فَتَنَّا)، ومن قوله: (ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤) أن ذلك لشيء صدر من سليمان غ لا يليق بمقام النبوة، ولم يُفصح عن هذا الشيء في آية

علمتها، ولا في حديث ثبت لديّ عن رسول الله ﷺ، وكذا كيف أبعد وكيف رجع لسليمان غمّ ملكه؟ فلم أقف على آية ولا حديث بذلك.

هذا، وإن كان قد ورد في الموقوفات عن بعض الصحابةؓ، وعن بعض التابعين رحمهم الله ما مفاده أن شيطاناً جلس على كرسي الملك زماناً يحكم بما هو مُستنكر ومستغرب إلى أن تاب سليمان غمّ مما صنع توبة عظيمة فرد الله إليه ملكه، وهذه الموقوفات وآثار التابعين غالب الظن أنها مُتلقاة من الإسرائيليات.

هذا، وقد ذهب بعض العلماء المتأخرين - وهم قلة - ولم أر لهم كبير سلف في هذا الرأي الذي ذهبوا إليه، ذهبوا إلى أن هذا الجسد هو نصف الإنسان الذي ابتلي به سليمان غمّ، فقد قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة منهن ولداً يجاهد في سبيل الله، فقيل: قل: إن شاء الله، فلم يقل (وغالب الظن أنه نسي)، فلم تلد امرأة منهن إلا واحدة ولدت شق إنسان (أي: نصف إنسان)، وقد جاء بذلك الأخير خبرٌ عن النبي ﷺ، لكن لا تعلّق له بالآية الكريمة فيما روي عن رسول الله ﷺ أما الخبر، فهو ما أخرجه البخاري ومسلم ^(١) من حديث أبي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ نَبِيُّ اللَّهِ لِأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِغُلَامٍ يَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ أَوِ الْمَلِكُ قُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ. فَلَمْ تَأْتِ وَاحِدَةٌ مِنْ نِسَائِهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ غُلَامٍ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَلَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. لَمْ يَخْنَثْ وَكَانَ دَرَكًا لَهُ فِي حَاجَتِهِ».

وهذه بعض الآثار والموقوفات التي أشرت إليها إجمالاً أذكر بعضها،

(١) مسلم (١٦٥٤)، والبخاري (٣٤٢٤).

وأعقب بمشيئة الله - بأقوال أهل العلم، والله المستعان.

أخرج الطبري^(١) بسند حسن عن قتادة قوله: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ

كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾) قال: حدثنا قتادة أن سلمان أمر ببناء بيت المقدس، فقيل له: ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد، قال: فطلب ذلك فلم يقدر عليه، فقيل له: إن شيطانًا في البحر يقال له صخر شبه المارد، قال: فطلبه، وكانت عين في البحر يردها في كل سبعة أيام مرة، فنزح ماؤها وجعل فيها خمر، فجاء يوم وروده فإذا هو بالخمر، فقال: إنك لشراب طيب، إلا أنك تصيبين الحليم، وتزيدين الجاهل جهلاً، قال: ثم رجعت حتى عطش عطشاً شديداً، ثم أتاها فقال: إنك لشراب طيب، إلا أنك تصيبين الحليم، وتزيدين الجاهل جهلاً، قال: ثم شربها حتى غلبت على عقله، قال: فأري الخاتم أو ختم به بين كتفيه، فذل، قال: فكان ملكه في خاتمه، فأتى به سليمان، فقال: إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت. وقيل لنا: لا يسمعن فيه صوت حديد، قال: فأتى ببيض الهدهد، فجعل عليه زجاجة، فجاء الهدهد، فدار حولها، فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه، فذهب فجاء بالماس، فوضعه عليه، فقطعها به حتى أفضى إلى بيضه، فأخذ الماس، فجعلوا يقطعون به الحجارة، فكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخلها بخاتمه؛ فانطلق يوماً إلى الحمام، وذلك الشيطان صخر معه، وذلك عند مقارفة ذنب قارف فيه بعض نسائه، قال: فدخل الحمام، وأعطى الشيطان خاتمه، فألقاه في البحر، فالتقمته سمكة، ونزع ملك سليمان منه، وألقى على الشيطان شبه سليمان؛ قال: فجاء فقعد على كرسيه وسريره، وسلط

(١) وهو حسن عن قتادة.

على ملك سليمان كله غير نسائه؛ قال: فجعل يقضي بينهم، وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا: لقد فتن نبي الله؛ وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب في القوة، فقال: والله لأجربنه؛ قال: فقال له: يا نبي الله، وهو لا يرى إلا أنه نبي الله، أهدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة، فيدع الغسل عمدًا حتى تطلع الشمس، أترى عليه بأسًا؟ قال: لا، قال: فبينما هو كـ _____ ذلك أربع _____ ين ليا _____ ة حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة، فأقبل فجعل لا يستقبله جني ولا طير إلا سجد له، حتى انتهى إليهم (وَأَلْفَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهٖ جَسَدًا) قال: هو الشيطان صخر.

وأخرج الطبري من طريقين عن ابن أبي نجيح^(١) عن مجاهد قوله:

(عَلَى كُرْسِيِّهٖ جَسَدًا) قال: شيطانًا يقال له آصف، فقال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك. فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر، فساح سليمان وذهب ملكه، وقعد آصف على كرسيه، ومنعه الله نساء سليمان، فلم يقربهن، وأنكرنه؛ قال: فكان سليمان يستطعم فيقول: أتعرفوني أطعموني أنا سليمان، فيكذبونه، حتى أعطته امرأة يومًا حوتًا يطيب بطنه، فوجد خاتمه في بطنه، فرجع إليه ملكه، وفر آصف فدخل البحر فارًّا.

وبسند صحيح عند الطبري عن سعيد بن جبیر: (وَأَلْفَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهٖ جَسَدًا)

قال: شيطانًا.

وبسند فيه كلام يسير عن السدي في قوله: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) قال: لقد

(١) وفي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير خلاف.

ابتلينا (وَأَلْفَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال: الشيطان حين جلس على كرسیه أربعين يومًا؛ قال: كان لسليمان مائة امرأة، وكانت امرأة منهن يقال لها: جرادة، وهي أثر نسائه عنده، وآمنهن عنده، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه، ولم يأت من عليه أحد من الناس غيرها؛ فجاءته يومًا من الأيام، فقالت: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك، فقال لها: نعم، ولم يفعل، فابتلي وأعطاه خاتمه، ودخل المخرج، فخرج الشيطان في صورته، فقال لها: هاتي الخاتم، فأعطته، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان بعد، فسألها أن تعطيه خاتمه، فقالت: ألم تأخذه قبل؟ قال: لا وخرج مكانه تائهاً قال: ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يومًا. قال: فأنكر الناس أحكامه، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماؤهم، فجاءوا حتى دخلوا على نسائه، فقالوا: إنا قد أنكرنا هذا، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله، وأنكرنا أحكامه. قال: فبكى النساء عند ذلك، قال: فأقبلوا يمشون حتى أتوه، فأحدقوا به، ثم نشروا التوراة، فقرءوا قال: فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه، ثم طار حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر، فابتلعه حوت من حيطان البحر. قال: وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع، وقد اشتد جوعه، فاستطعمهم من صيدهم، قال: إني أنا سليمان، فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجه، فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه، فقالوا: بئس ما صنعت حيث ضربته، قال: إنه زعم أنه سليمان، قال: فأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم، ولم يشغله ما كان به من

الضرر، حتى قام إلى شط البحر، فشق بطونهما، فجعل يغسل...، فوجد خاتمه في بطن إحداهما، فأخذه فلبسه، فرد الله عليه بهاءه وملكه، وجاءت الطير حتى حامت عليه، فعرف القوم أنه سليمان، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا، فقال: ما أحمدكم على عذرکم، ولا ألومکم على ما كان منكم، كان هذا الأمر لا بد منه، قال: فجاء حتى أتى ملكه، فأرسل إلى الشيطان فجاء به، وسخر له الريح والشياطين يومئذٍ، ولم تكن سخرت له قبل ذلك، وهو قوله: (وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَتَّبِعُنِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾) قال: وبعث إلى الشيطان، فأتي به، فأمر به فجعل في صندوق من حديد، ثم أطبق عليه فأقفل عليه بقل، وختم عليه بخاتمه، ثم أمر به، فألقي في البحر، فهو فيه حتى تقوم الساعة، وكان اسمه حقيق.

*** وبسند صحيح^(١) عن مبارك عن الحسن:** (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال: شيطانًا.

*** وأخرج الطبري أيضًا بأسانيد فيها ضعف عن ابن عباس قوله:** (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) قال: هو صخر الجني تمثل على كُرسيه جسدًا. ولكن له شواهد يصح بها عن ابن عباس ق^(٢).

*** وقد أورد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى جلّ هذه الأقوال، وقال:**

وهذه كلها من الإسرائيليات ومن أنكرها ما قاله ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبي شيبة وعلي بن محمد قالوا: حدثنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن المنهال بن

(١) ومبارك مدلسٌ وقد عنعن، لكن من العلماء من يرى أن روايته عن الحسن، في غير المرفوع تُتحمل، والله أعلم.

(٢) وسيأتي الأثر المطوّل عن ابن عباس في ذلك.

عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهٖ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾) قال: أراد سليمان أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه - وكانت الجرادة امرأته وكانت أحب نسائه إليه - فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي. فأعطته إياه. فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين فلما خرج سليمان من الخلاء قال لها: هاتي خاتمي. قالت: قد أعطيته سليمان. قال: أنا سليمان. قالت: كذبت لست سليمان فجعل لا يأتي أحدًا فيقول له: «أنا سليمان»، إلا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة. فلما رأى ذلك عَرَفَ أنه من أمر الله ٥. قال: وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله أن يرد على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان. قال: فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن: أتتكرن من سليمان شيئاً؟ قلن: نعم إنه يأتينا ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك. فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن أن أمره قد انقطع فكتبوا كتباً فيها سحر وكفر، فدفنوها تحت كرسي سليمان ثم أثاروها وقرءوها على الناس. وقالوا: بهذا كان يظهر سليمان على الناس فأكفر الناس سليمان غ فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه في البحر فتلقته سمكة فأخذته. وكان سليمان يحمل على شط البحر بالأجر فجاء رجل فاشترى سمكاً فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فدعا سليمان فقال: تحمل لي هذا السمك؟ فقال: نعم. قال: فيكم؟ قال بسمكة من هذا السمك. قال: فحمل سليمان غ السمك ثم انطلق به إلى منزله فلما انتهى الرجل إلى بابه أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فأخذها سليمان فشق بطنها، فإذا الخاتم في جوفها فأخذه فلبسه. قال: فلما لبسه

دانته له الجن والإنس والشياطين وعاد إلى حاله وَهَرَبَ الشَّيْطَانُ حَتَّى دَخَلَ جَزِيرَةً مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ فَأَرْسَلَ سَلِيمَانَ فِي طَلْبِهِ وَكَانَ شَيْطَانًا مَرِيدًا فَجَعَلُوا يَطْلُبُونَهُ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَجَدُوهُ يَوْمًا نَائِمًا فَجَاءُوا فَبَنَوْا عَلَيْهِ بَنِيَانًا مِنْ رِصَاصٍ فَاسْتَيْقِظَ فَوَثِبَ فَجَعَلَ لَا يَثْبُتُ فِي مَكَانٍ مِنَ الْبَيْتِ إِلَّا أَنْمَاطٌ مَعَهُ مِنَ الرِّصَاصِ قَالَ: فَأَخَذُوهُ فَأَوْثَقُوهُ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى سَلِيمَانَ، فَأَمَرَ بِهِ فَنَقَرَ لَهُ تَخْتًا مِنْ رِخَامٍ ثُمَّ أَدْخَلَ فِي جُوفِهِ ثُمَّ سَدَّ بِالْأَنْحَاسِ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَطَرَحَ فِي الْبَحْرِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ) قَالَ: يَعْنِي الشَّيْطَانُ الَّذِي كَانَ سُلْطَ عَلَيْهِ.

* هكذا أورد الحافظ ابن كثير عازيًا هذا الأثر لابن أبي حاتم، وهذا سند يُحَسِّنُ، ولكن فيه كما أشار الحافظ ابن كثير أمرٌ مستبشع جدًّا ومستنكر جدًّا فضلًا على سائر المستغربات فيه.

ألا وهو قول نسوة سليمان - في شأن الشيطان - إنه يأتينا ونحن حيض، فمعاذ الله أن يتسلط شيطان على نساء نبي كريم بهذه الطريقة، ثم هو أيضًا معارض بما في أثر مجاهد المتقدم.

*** ومن ثم فقد استنكره الحافظ ابن كثير § استنكارًا شديدًا، فقال بعد**

إيراده الأثر:

إسناده إلى ابن عباس قوي ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس - إن صح عنه - من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان غ فالظاهر أنهم يكذبون عليه ولهذا كان في السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله منه تشريفًا وتكريمًا لنبيه □، وقد رويت هذه القصة مطولة

عن جماعة من السلف، كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب - والله أعلم بالصواب.

قلت: والأمر كما أشار الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه الله فسيح جناته.

وهذا مزيد من أقوال العلماء - رحمهم الله - في هذا الصدد.



س: وضح المراد بقوله تعالى: (ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾).

ج: فيها وجهان للعلماء:

أحدهما: ثم رجع إلى سليمان غ مُلكه.

الثاني: ثم استغفر سليمان غ مما كان قد وقع منه - والله أعلم.



س: وضح معنى قوله: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾).

ج: ذلك قول سليمان غ، بعد أن ردَّ الله إليه ملكه سأل ربَّه ٥ قائلاً: يا رب استر عليَّ ما صدر مني ولا تؤاخذني به، وامحه أيضاً، وتفضل عليَّ يا رب بملكٍ لا يكون لأحدٍ من البشر من بعدي ملكٌ مثله، فأنت الوهاب تهب لمن تشاء ما تشاء.

* هذا هو المعنى الذي اختاره من أقوال أهل العلم والذي تشهد له الأدلة، أما الطبري فذهب مذهباً آخر، وأورد عن قتادة ما يؤيد به قوله ألا وهو أن المراد بقوله: (لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) أي: لا يسلبه مني أحدٌ، وأرى هذا المعنى بعيداً عن الأدلة وعن سياق الآية الكريمة.

قال الطبري \$:

قوله: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) يقول تعالى ذكره: قال سليمان راغباً إلى ربه: رب استر علي ذنبي الذي أذنبت بيني وبينك، فلا تعاقبني به (وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) لا يسلبني أحدٌ كما سلبني قبل هذه الشيطان.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ

بَعْدِيَّ) يقول: ملكًا لا أسلبه كما سلبته.

قال الطبري \$:

وقوله: (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾) يقول: إنك وهاب ما تشاء لمن تشاء، بيدك خزائن كل شيء تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت.

وأورد الحافظ ابن كثير \$ ما يتعقب به قول الطبري فقال:

(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِيَّ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾) قال بعضهم: معناه: لا ينبغي لأحد من بعدي، أي: لا يصلح لأحد أن يسلبني كما كان من قضية الجسد الذي ألقى على كرسيه لا أنه يحجر على من بعده من الناس. والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكًا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله، وهذا هو ظاهر السياق من الآية وبه وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ.

وأورد ما أخرجه البخاري ^(١) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ: «إِنَّ عَفْرِيَّتًا مِّنَ الْجِنِّ تَفَلَّتْ عَلَى الْبَارِحَةِ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - لِيَقْطَعَ عَلَى الصَّلَاةِ، فَأَمَكَّنَنِي اللَّهُ مِنْهُ وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِّنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تُصْبِحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِيَّ)».

قَالَ رَوْحٌ: فَرَدَّهُ خَاسِمًا.

وأورد ما أخرجه مسلم في صحيحه ^(٢) عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ». ثُمَّ قَالَ: «أَلْعَنَكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ». ثَلَاثًا. وَبَسَطَ

(١) البخاري (٤٨٠٨)، ومسلم (٥٤١).

(٢) مسلم (حديث ٥٤٢).

يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ. قَالَ: «إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِ فَقُلْتُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قُلْتُ أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ الثَّامَةِ فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ وَاللَّهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ صَبِيانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ».

وعند أحمد في المسند^(١) من طريق عبد الله بن الديلمي قال: دخلت على عبد الله بن عمرو، وهو في حائط له بالطائف يُقال له: (الوهط)... فذكر الحديث وفيه وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنْ سَلِمَانَ سَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى ثَلَاثًا، فَأَعْطَاهُ اثْنَتَيْنِ، وَنَحْنُ نَرْجُوا أَنْ تَكُونَ لَنَا الثَّالِثَةُ: سَأَلَهُ حَكْمًا يَصَادِفُ حَكْمَهُ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَسَأَلَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَسَأَلَهُ: أَيْمًا رَجُلٌ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لَا يَرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، خَرَجَ مِنْ خُطْبَتِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، فَنَحْنُ نَرْجُوا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَعْطَانَا إِيَّاهَا».

قلت (مصطفى): فهذه الأدلة تشير إلى صحة ما ذكر من أن سليمان غ سأل ربه مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ مِمَّنْ يَأْتُونَ بَعْدَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



س: وضح معنى قوله تعالى: (فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُفَاءً حَيْثُ أَصَابَ) (٣١).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - **:-** أن سليمان غ لما دعا رَبَّهُ ٥: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) (٣٥) استجاب الله ٥ دعاءه، وكان

(١) مسند أحمد (١٧٦/٢)، والنسائي (٣١٧/٨)، وغيرهما من طرق عن الأوزاعي حدثني ربعة بن يزيد عنه به... وسنده صحيح.

من صور إجابة هذا الدعاء أن الله ٥ سخر له الريح تجري بأمره، يأمرها سليمان غ فتسير ريحاً مطيعة لينة رخوةً إلى المكان الذي يريده منها غ. وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: فاستجبنا له دعاءه، فأعطيناه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده (فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ) مكان الخيل التي شغلته عن الصلاة (تَجْرِي بِأَمْرِ رُحَاءَ) يعني: رخوة لينة، وهي من الرخاوة.

وقال \$: واختلف أهل التأويل في معنى الرخاء، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه.

وأورد أقوال بعض أهل العلم في ذلك أنها طيبة وليست بعاصفة ولا بطيئة.

قال: وقال آخرون: معنى ذلك مطيعة لسليمان، وقال في قوله: (حَيْثُ أَصَابَ) يقول: حيث أراد من قولهم، أصاب الله بك خيراً، أي: أراد الله بك خيراً.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وقوله: (فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِ رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦) قال الحسن البصري \$: لما عقر سليمان الخيل غضباً لله ٥ عوضه الله ما هو خير منها وأسرع الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر.

وقوله: (حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦) أي: حيث أراد من البلاد.



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ۝٣٧) **وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنَيْنِ فِي**

الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّكَابٍ ﴿٤٠﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: وسخرنا الشياطين لسليمان □ يأمرها فتأتمر بأمره، وينهاها فتنتهي عما نهاها عنه، فريق منها يعمل في البناء فيبنون له ما يشاء من الأبنية كما قال تعالى: (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبَ وَتَمْثِيلٍ وَجَفَانٍ كُلِّجَوَابٍ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ) [سبأ: ١٣]، ومنها فريق يعمل في الغوص، يغوصون في قيعان البحار يستخرجون له اللؤلؤ وسائر أنواع الحلي، وما يريده من قيعان البحار، وآخرون - وهم المتمردون على الطاعة الخارجون عنها - قد رُبطوا وحبسوا في القيود والسلاسل والأغلال تعذيباً لهم وتأديباً، وقد قال تعالى: (وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) ﴿١٢﴾ [سبأ: ١٢].

أما قوله: (هَذَا عَطَاؤُنَا) أي: الذي أعطيناك إياه إذ سألت ملأً لا ينبغي لأحدٍ من بعدك. (فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ) تفضل على من شئت وأعطه ما شئت أو اجرم من شئت وامنع من شئت العطاء. (بِغَيْرِ حِسَابٍ) ﴿٣٩﴾ بلا حساب عليك ولا مؤاخذة عليك، وكل هذا ليس بمتسبب في حرمانه في الآخرة من الجزاء الحسن، بل (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا) في الآخرة (لَزُلْفَى) لقربة، منزلة المقربين (وَحُسْنَ مَّكَابٍ) ومآب حسن ومرجع حسن ومصير حسن، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري \$:

وقوله: (وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ) ﴿٣٧﴾ يقول تعالى ذكره: وسخرنا له الشياطين سلطانها عليها مكان ما ابتليناه بالذي ألقينا على كرسيه منها يستعملها فيما يشاء من أعماله من بناء وغواص؛ فالبناء منها يصنعون

محاريب وتمائيل، والغاصة يستخرجون له الحلي من البحار، وآخرون ينحتون له جفائاً وقدرًا، والمردة في الأغلال مقرنون.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾) قال: يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل، وغواص يستخرجون الحلي من البحر (وَالْآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾) قال: مردة الشياطين في الأغلال.

وقوله: (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾) اختلف أهل التأويل في المشار إليه بقوله: (هَذَا) من العطاء، وأي عطاء أريد بقوله: عطاؤنا، فقال بعضهم: عني به الملك الذي أعطاه الله.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة في قوله: (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾) قال: قال الحسن: الملك الذي أعطيناك فأعط ما شئت وامنع ما شئت. **قال:**

وقال آخرون: بل عني بذلك تسخير له الشياطين، وقالوا: ومعنى الكلام: هذا الذي أعطيناك من كل بناء وغواص من الشياطين، وغيرهم عطاؤنا.

وأورد أيضًا بإسناد حسن عن قتادة: (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾) قال: هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم في وثاقك وفي عذابك أو سرح من شئت منهم تتخذ عنده يدًا، اصنع ما شئت.

وقال آخرون: بل ذلك ما كان أوتي من القوة على الجماع.

واختار الطبري القول الأول، فقال:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن

والضحاك^(١) من أنه عني بالعتاء ما أعطاه من الملك تعالى ذكره، وذلك أنه جلّ ثناؤه ذكر ذلك عقيب خبره عن مسألة نبيه سليمان صلوات الله وسلامه عليه إياه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فأخبر أنه سخر له ما لم يسخر لأحد من بني آدم، وذلك تسخير له الريح والشياطين على ما وصفت، ثم قال له عزّ ذكره: هذا الذي أعطيناك من الملك، وتسخيرنا ما سخرنا لك عطاؤنا، ووهبنا لك ما سألتنا أن نهبه لك من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك (فَأَمْنُ أَوْ أَمْسِكَ بَغَيْرِ حِسَابٍ) (٣٩).

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (فَأَمْنُ أَوْ أَمْسِكَ بَغَيْرِ حِسَابٍ) (٣٩) فقال بعضهم: عني بذلك: فأعط من شئت ما شئت من الملك الذي آتيناك، وامنع من شئت منه ما شئت، لا حساب عليك في ذلك.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: قال الحسن: (فَأَمْنُ أَوْ أَمْسِكَ بَغَيْرِ حِسَابٍ) (٣٩) الملك الذي أعطيناك، فأعط ما شئت وامنع ما شئت، فليس عليك تبعة ولا حساب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أعتق من هؤلاء الشياطين الذين سخرناهم لك من الخدمة، أو من الوثاق ممن كان منهم مقرنًا في الأصفاد من شئت واحبس من شئت فلا حرج عليك في ذلك.

وأورد بإسناد حسن أيضًا عن قتادة: (فَأَمْنُ أَوْ أَمْسِكَ بَغَيْرِ حِسَابٍ) (٣٩) يقول: هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم في وثاقك وفي عذابك، وسرح من شئت منهم تتخذ عنده يدًا، اصنع ما شئت لا حساب عليك في ذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: هذا الذي أعطيناك من القوة على الجماع

(١) وقد تركت الكلام في إسناديهما.

عطاؤنا، فجامع من شئت من نسائك وجواريك ما شئت بغير حساب،
واترك جماع من شئت منهم.

وقال آخرون: بل ذلك من المقدم والمؤخر. ومعنى الكلام: هذا عطاؤنا
بغير حساب، فامنن أو أمسك. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: (هذا فامنن
أو أمسك عطاؤنا بغير حساب).

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول في قوله: (بَغَيْرِ
حِسَابٍ) وجهان: أحدهما: بغير جزاء ولا ثواب، والآخر: منة ولا قلة.
والصواب من القول في ذلك ما ذكرته عن أهل التأويل من أن معناه: لا
يحاسب على ما أعطى من ذلك الملك والسلطان. وإنما قلنا في ذلك هو
الصواب لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه.

وقوله: (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ ﴿٤٠﴾) يقول: وإن لسليمان عندنا قربة
بإنيابته إلينا وتوبته وطاعته لنا، وحسن مآب: يقول: وحسن مرجع ومصير
في الآخرة.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وقوله: (وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾) أي: منهم من هو مستعمل في الأبنية
الهائلة من محاريب وتمائيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات إلى غير
ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر وطائفة غواصون في
البحار يستخرجون مما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا
توجد إلا فيها (وَعَاخِرِينَ مُفْرِّينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾) أي: موثقون في الأغلال
والأكبال ممن قد تَمَرَّد وعصى وامتنع من العمل وأبى أو قد أساء في
صنيعه واعتدى.

وقوله: (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾) أي: هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا فأعط من شئت واحرم من شئت، لا حساب عليك، أي: مهما فعلت فهو جائز لك احكم بما شئت فهو صواب.



س: كيف يسأل سليمان غ ربّه أن يؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده؟
أليس في هذا طلب للدنيا؟
ج: أقول، وبالله التوفيق:

أولاً: طلب الدنيا ليس بممنوع إذا كان سيوجّه إلى طاعة الله ٥ وإلى مرضاته، وقد أثنى الله ٥ على أهل الإيمان إذ يقولون: (رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾) [البقرة: ٢٠١]، وقد كان المسيح عيسى غ وجيهاً في الدنيا كما أنه سيكون وجيهاً أيضاً في الآخرة.

ثانياً: قد يُقال إن سليمان غ طلب ذلك لدفع ما قد يتسرب إلى أهل الجهل والغواية من أن الله ٥ كرهه وطرده عن ملكه نقمةً منه عليه، فطلب مزيداً من نعم الله ٥ لدفع هذا الالتباس الذي قد يتولد عند بعض أهل الجهل.

الثالث: أنه طلب ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، وكان من ذلك تسخير الشياطين حتى لا يتسلط شيطان على ملكه مرة ثانية.

الرابع: أنه سأل ربه ذلك إذ لكل نبيّ خاصية وكرامة ومنزلة يُعرف بها في الدنيا، فكان هذا ما طلبه سليمان غ، لا للتعالي على خلق الله، ولا للبطر والأشر.

* هذا، وقد طرح الطبري رحمه الله تعالى مثل هذا السؤال، وأجاب عليه، فقال \$:

إن قال لنا قائل: وما وجه رغبة سليمان إلى ربه في الملك، وهو نبي من الأنبياء، وإنما يرغب في الملك أهل الدنيا المؤثرون لها على الآخرة؟ أم ما وجه مسألته إياه، إذ سأل ذلك ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وما كان يضره أن يكون كل من بعده يؤتى مثل الذي أوتي من ذلك؟ أكان به بخل بذلك، فلم يكن من ملكه، يعطي ذلك من يعطاه، أم حسد للناس، كما ذكر عن الحجاج بن يوسف؛ فإنه ذكر أنه قرأ قوله: (وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) فقال: إن كان لحسودًا، فإن ذلك ليس من أخلاق الأنبياء!

وأجاب الطبري على كل ذلك بقوله:

قيل: أما رغبته إلى ربه فيما يرغب إليه من الملك، فلم تكن إن شاء الله به رغبة في الدنيا، ولكن إرادة منه أن يعلم منزلته من الله في إجابته فيما رغب إليه فيه، وقبوله توبته، وإجابته دعاءه.

وأما مسألته ربه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فإننا قد ذكرنا فيما مضى قبل قول من قال: إن معنى ذلك: هب لي ملكًا لا أسلبه كما سلبته قبل. وإنما معناه عند هؤلاء: هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي أن يسلبنيه. وقد يتجه ذلك أن يكون بمعنى: لا ينبغي لأحد سواي من أهل زماني، فيكون حجة وعلماً لي على نبوتي وأني رسولك إليهم مبعوث، إذ كانت الرسل لا بد لها من أعلام تفارق بها سائر الناس سواهم. ويتجه أيضاً؛ لأن يكون معناه: وهب لي ملكًا تخصني به، لا تعطيه أحداً غيري تشريقاً منك لي بذلك، وتكرمة، لتبين منزلتي منك به من منازل من سواي، وليس

في وجه من هذه الوجوه مما ظنه الحجاج في معنى ذلك شيء.

وقال القرطبي \$:

إن سؤاله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده ليكون محله وكرامته من الله ظاهرًا في خلق السماوات والأرض؛ فإن الأنبياء و لهم تنافس في المحل عنده فكلُّ يحب أن تكون له خصوصية يستدل بها على محله عنده ولهذا: لما أخذ النبي □ العفريت الذي أراد أن يقطع عليه صلاته وأمكنه الله منه أراد ربطه ثم تذكر قول أخيه سليمان: (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي) فردّه خاسئًا، فلو أعطي أحد بعده مثله ذهبت الخصوصية فكأنه كره □ أن يزاحمه في تلك الخصوصية بعد أن علم أنه شيء هو الذي خص به من سخرة الشياطين وأنه أجيب إلى ألا يكون لأحد بعده والله أعلم.



بعض الفوائد من قصة داود وسليمان ث

س: اذكر بعض الفوائد من قصة داود وسليمان ث.

ج: ذكر السعدي \$ جملة من ذلك، فقال:

فصل

فيما تبين لنا من الفوائد والحكم في قصة داود وسليمان ث

فمنها: أن الله تعالى يقص على نبيه محمد □ أخبار من قبله، ليثبت فؤاده وتطمئن نفسه، ويذكر من عباداتهم وشدة صبرهم وإنابتهم، ما يشوقه إلى منافستهم، والتقرب إلى الله الذي تقربوا له، والصبر على أذى قومه، ولهذا - في هذا الموضع - لما ذكر الله ما ذكر من أذية قومه وكلامهم فيه وفيما جاء به، أمره بالصبر، وأن يذكر عبده داود فيتأسى به. **ومنها:** أن الله تعالى يمدح ويحب القوة في طاعته، قوة القلب والبدن،

فإنه يحصل منها من آثار الطاعة وحسنها وكثرتها، ما لا يحصل مع الوهن وعدم القوة، وأن العبد ينبغي له تعاطي أسبابها، وعدم الركون إلى الكسل والبطالة المخلة بالقوى المضعفة للنفس.

ومنها: أن الرجوع إلى الله في جميع الأمور، من أوصاف أنبياء الله وخواص خلقه، كما أثنى الله على داود وسليمان بذلك، فليقتد بهما المقعدون، وليهتد بهداهم السالكون (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدُهُ) [الأنعام: ٩٠].

ومنها: ما أكرم الله به نبيه داود غ، من حسن الصوت العظيم، الذي جعل الله بسببه الجبال الصم، والطيور البهم، يجاوبنه إذا رجَّع صوته بالتسبيح، ويسبحن معه بالعشي والإشراق.

ومنها: أن من أكبر نعم الله على عبده، أن يرزقه العلم النافع، ويعرف الحكم والفصل بين الناس، كما امتن الله به على عبده داود غ.

ومنها: اعتناء الله تعالى بأنبيائه وأصفياه عندما يقع منهم بعض الخلل بفتنته إياهم وابتلائهم بما به يزول عنهم المحذور، ويعودون إلى أكمل من حالتهم الأولى، كما جرى لداود وسليمان ن.

ومنها: أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى، لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، وأنه قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة من المعاصي، ولكن الله يتداركهم ويبادرهم بلطفه.

ومنها: أن داود غ، كان في أغلب أحواله ملازمًا محرابه لخدمة ربه، ولهذا تسور الخصمان عليه المحراب، لأنه كان إذا خلا في محرابه

لا يأتيه أحد، فلم يجعل كل وقته للناس، مع كثرة ما يرد عليه من الأحكام، بل جعل له وقتًا يخلو فيه بربه، وتقر عينه بعبادته، وتعينه على الإخلاص في جميع أموره.

ومنها: أنه ينبغي استعمال الأدب في الدخول على الحكام وغيرهم، فإن الخصمين لما دخلا على داود في حالة غير معتادة ومن غير الباب المعهود، فزع منهم، واشتد عليه ذلك، ورآه غير لائق بالحال.

ومنها: أنه لا يمنع الحاكم من الحكم بالحق سوء أدب الخصم وفعله ما لا ينبغي.

ومنها: كمال حلم داود غ، فإنه ما غضب عليهما حين جاءاه بغير استئذان، وهو الملك، ولا انتهرهما، ولا وبخهما.

ومنها: جواز قول المظلوم لمن ظلمه: «أنت ظلمتني» أو «يا ظالم» أو باغ عليّ ونحو ذلك لقولهما: (حَصَّامَانِ بَعِيَ بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ) [ص: ٢٢].

ومنها: أن الموعوظ والمنصوح، ولو كان كبير القدر، جليل العلم، إذا نصحه أحد، أو وعظه، لا يغضب، ولا يشمتز، بل يباده بالقبول والشكر، فإن الخصمين نصحا داود فلم يشمتز ولم يغضب ولم يثنه ذلك عن الحق، بل حكم بالحق الصرف.

ومنها: أن المخالطة بين الأقارب والأصحاب، وكثرة التعلقات الدنيوية المالية، موجبة للتعادي بينهم، وبغي بعضهم على بعض، وأنه لا يرد عن ذلك إلا استعمال تقوى الله، والصبر على الأمور، بالإيمان والعمل الصالح، وأن هذا من أقل شيء في الناس.

ومنها: أن الاستغفار والعبادة، خصوصًا الصلاة، من مكفرات

للدنوب، فإن الله، رتب مغفرة ذنب داود على استغفاره وسجوده.

ومنها: إكرام الله لعبده داود وسليمان، بالقرب منه، وحسن الثواب، وأن لا يظن أن ما جرى لهما منقص لدرجتهما عند الله تعالى، وهذا من تمام لطفه بعباده المخلصين، أنه إذا غفر لهم وأزال أثر ذنوبهم، أزال الآثار المترتبة عليه كلها، حتى ما يقع في قلوب الخلق، فإنهم إذا علموا ببعض ذنوبهم، وقع في قلوبهم نزولهم عن درجتهم الأولى، فأزال الله تعالى هذه الآثار، وما ذاك بعزيز على الكريم الغفار.

ومنها: أن الحكم بين الناس مرتبة دينية، تولاها رسل الله وخواص خلقه، وأن وظيفة القائم بها الحكم بالحق ومجانبة الهوى، فالحكم بالحق يقتضي العلم بالأمور الشرعية، والعلم بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الحكم الشرعي، فالجاهل بأحد الأمرين لا يصلح للحكم، ولا يحل له الإقدام عليه.

ومنها: أنه ينبغي للحاكم أن يحذر الهوى، ويجعله منه على بال، فإن النفوس لا تخلو منه، بل يجاهد نفسه بأن يكون الحق مقصوده، وأن يلقي عنه وقت الحكم كل محبة أو بغض لأحد الخصمين.

ومنها: أن سليمان غ من فضائل داود، ومن منن الله عليه حيث وهبه له، وأن من أكبر نعم الله على عبده، أن يهب له ولدًا صالحًا، فإن كان عالمًا، كان نورًا على نور.

ومنها: ثناء الله تعالى على سليمان ومدحه في قوله: (نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ

(٣٠)).

ومنها: كثرة خير الله وبره بعبده، أن يمن عليهم بصالح الأعمال

ومكارم الأخلاق، ثم يثني عليهم بها، وهو المتفضل الوهاب.

ومنها: تقديم سليمان محبة الله تعالى عن محبة كل شيء.

ومنها: أن كل ما أشغل العبد عن الله، فإنه مشئوم مذموم، فليُفَارِقْهُ وَلْيُقْبَلْ عَلَى مَا هُوَ أَنْفَعُ لَهُ.

ومنها: القاعدة المشهورة: «من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه»،

فسليمان غ عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس، تقديمًا لمحبة الله، فعوضه الله خيرًا من ذلك، بأن سخر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد، غدوها شهر، ورواحها شهر، وسخر له الشياطين، أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون.

ومنها: أن سليمان غ، كان ملكًا نبيًا، يفعل ما أراد، ولكنه لا يريد إلا

العدل، بخلاف النبي العبد، فإنه تكون إرادته تابعة لأمر الله، فلا يفعل ولا يترك إلا بالأمر، كحال نبينا محمد □، وهذه الحال أكمل.

ذكر نبي الله أيوب غ

قال الله تعالى:

(وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرِبْ بِهِ ۖ وَلَا تَحْنَثْ ۚ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾) [ص: ٤١-٤٤]

س: اذكر معنى ما يلي:

(مَسْنَى - نَادَى - بُصِبَ وَعَذَابٌ - أَرْكَضَ بِرَجْلِكَ^ط - مَغْتَسِلٌ بَارِدٌ - وَشَرَابٌ - رَحْمَةٌ مِنَّا - وَذِكْرٌ -
لِأُولَى الْأَلْبَابِ - ضِعْفًا - وَلَا تَحْنَثُ^ث - أَوَّابٌ).

ج:

معناها	الكلمة
أصابني	(مَسْنَى)
دعا - استغاث	(نَادَى)
النصب: المرض الذي أصابه في بدنه، والعذاب: الفقر الذي حلَّ به، والخسارة التي نالته في ماله. أي: بنصب في بدني (بآلام وأمراض في بدني، وعذاب في مالي (وقلة مال وخسارة في مالي). وقيل: النصب الشر والبلاء، والعذاب: الوسوسة التي وسوس له بها الشيطان.	(بُصِبَ وَعَذَابٌ)
ادفع الأرض برجلك - حرَّكها برجلك	(أَرْكَضَ بِرَجْلِكَ ^ط)
ماء متفجرٌ باردٌ للاغتسال به	(مَغْتَسِلٌ بَارِدٌ)
ماء باردٌ تشرب منه	(وَشَرَابٌ)
رأفةٌ منا به	(رَحْمَةٌ مِنَّا)
تذكيرًا	(وَذِكْرٌ)
لأصحاب العقول النيرة الرشيدة	(لِأُولَى الْأَلْبَابِ)
حزمة من عيدان - شمراخًا مجموعًا من عيدان	(ضِعْفًا)

لا تقع في الحنث (والمعنى ستبر بيمينك إن فعلت ذلك ولن تأثم)	(وَلَا تَحْنَثُ)
رجّاع - مستغفر - مسبح	(أَوَابٌ)



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ

بُصِّبَ وَعَذَابٍ) (٤١).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - واذكر يا رسول الله عبدنا ونبينا أيوب □، اذكره وما حلَّ به من البلاء وذكّر به أيضًا كي يُتأسى به في صبره ورضاه بقدر الله ٥، اذكره إذ نادى ربّه ٥ مستغيثًا به بعد أن أصابه من الضرّ الشديد ما أصابه، وحلَّ به من البلاء في ماله ما حلَّ، اذكر دعاءه واستغاثته إذ دعا واستغاث قائلاً: يا رب إنني أصابني الشيطان في جسدي ببلاءٍ شديد، وفي ماله بعذابٍ شديد، فقد مرضت مرضًا شديدًا وطال بي المرض، وذهب مالي، فاجتمع عليّ الفقر والمرض واجتمعت عليّ وساوس من الشيطان وهواجس. وهذه بعض الأقوال في ذلك.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: (وَأَذْكُرْ) أيضًا يا محمد (عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ) (مستغيثًا به فيما نزل به من البلاء: يا رب (أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بُصِّبَ)).

وقال \$:

وكان معنى النصب في هذا الموضع: العلة التي نالته في جسده والعناء الذي لاقى فيه، والعذاب في ذهاب ماله.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يذكر تعالى عبده ورسوله أيوب غ وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مَغْرَزُ إبرة سُلَيْمًا سوى قلبه ولم يبق له من حال الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحوًا من ثماني عشرة سنة. وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا فَسُلِبَ جميع ذلك حتى آل به الحال إلى أن أُلقي على مزبلة من مزابِلِ البلدة هذه المدة بكمالها ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته ف فإنها كانت لا تفارقه صباحًا ومساءً إلا بسبب خدمة الناس ثم تعود إليه قريبًا. فلما طال المطال واشتد الحال وانتهى القدر المقدور وتم الأجل المقدر تضرع إلى رب العالمين وإله المرسلين فقال: (إِنِّي مَسْفِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٨٣﴾) [الأنبياء: ٨٣]، وفي هذه الآية الكريمة قال: رب أني مسني الشيطان بنصب وعذاب، قيل: بنصب في بدني وعذاب في مالي وولدي. فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله. ففعل فأنبع الله عينا وأمره أن يغتسل منها فأذهب جميع ما كان في بدنه من الأذى ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عينا أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهبت ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهرًا وباطنًا ولهذا قال تعالى: (أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾).

قلت (مصطفى): وقول الحافظ ابن كثير \$ وعفا عنه في شأن نبي الله أيوب غ إنه أُلقي على مزبلة من مزابِلِ البلدة هذه المدة بكمالها قول غير

مقبول، ولا دليل عليه، وقد أخذه - فيما يظهر لي - من قول قتادة الذي أخرجه الطبري بسند حسن عن قتادة قال: (وَأَذْكُرُ عَبْدًا يُؤَبِّ) حتى بلغ: (يُصَّبِ وَعَذَابِ ٤١): ذهاب المال والأهل، والضرر الذي أصابه في جسده، قال: ابتلي أيوب، غ، سبع سنين وأشهرًا، ملقى على كُنَاسَةٍ لبني إسرائيل، تختلف الدواب في جسده ففرج الله عنه، وعَظَمَ له الأجر، وأحسن عليه الثناء.

قلت: وهذا وإن حُسِّنَ سنده إلى قتادة إلا أنه ليس عن رسول الله ﷺ ولعله تلقاه من الإسرائيليات وقد أحسن ابن العربي إذ قال \$ - فيما أورده عنه القرطبي \$:

قال ابن العربي القاضي أبو بكر ف: ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين الأولى قوله تعالى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أَنِّ مَسَّنِيَ الضُّرُّ) [الأنبياء: ٨٣] والثانية في (ص): (أَنِّ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ ۖ يَنْصُبِ وَعَذَابِ ٤١). وأما النبي ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: «بينما أيوب يغتسل إذ خر عليه رجل من جراد من ذهب» الحديث وإذ لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره أم على أي لسان سمعه؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات فأعرض عن سطورها بصرك وأصمم عن سماعها أذنيك فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالًا ولا تزيد فؤادك إلا خيالًا وفي الصحيح واللفظ للبخاري أن ابن عباس قال: يا معشر المسلمين! تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيكم أحدث الأخبار بالله تفرؤونه محضًا لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتب فقالوا: (هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشَرُّوا بِهِ ثُمَّناً قَلِيلًا) [البقرة: ٧٩]،

ولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم وقد أنكر النبي ﷺ في حديث الموطأ على عمر قراءته التوراة.

قلت (مصطفى): وكلام ابن العربي في الجملة طيب لكن عليه بعض المؤاخذات، منها قوله: فلم يصح عنه (أي: عن النبي ﷺ) أنه ذكره بحرف واحد إلا قوله: «بيننا أيوب يغتسل...» والتعقب عليه أن ما أورده الطبري يصح سنده ألا وهو ما أخرجه الطبري بسندٍ صحيح ^(١) عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلاً من إخوانه كانا من أخص إخوانه به، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: من ثمانى عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به؛ فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول، غير أن الله يعلم أنني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حقٍّ؛ قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، وأوحى إلى أيوب في مكانه: أن (أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾) فاستبطنته، فتلقته تنظر، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو على أحسن ما كان؛

(١) وأشار القرطبي رحمه الله إلى إعلاله بالإرسال إذ قال:

قلت: وذكره ابن المبارك أخبرنا يونس بن يزيد عن عقيّل عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ ذكر يوماً أيوب وما أصابه من البلاء وذكر أن البلاء الذي أصابه كان به ثمان عشرة سنة. وذكر الحديث القشيري. وقيل أربعين سنة.

فلما رآته قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، فوالله على ذلك ما رأيت أحداً أشبه به منك؛ إذ كان صحيحاً؟ قال: فإني أنا هو؛ قال: وكان له أندران: أندر للقمح، وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح، أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض».

*** والمؤاخذه الثانية على كلام ابن العربي \$ قوله:** «والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات...»، فهذا ليس بصحيح، ففي الأمر تفصيل يأتي في محله إن شاء الله.



س: كيف مسَّ الشيطانُ أيوبَ غ بنصب وعذاب؟

ج: أشير في بعض النقول التي ليس لها كبير إسناد، أن أيوب غ استنزله الشيطان فأوقعه في ذنبٍ - الله أعلم ما هو - حتى ذهب عنه ماله بسبب هذا الذنب.

وأورد القرطبي أقوالاً كثيرة جداً في هذا الصدد وتعقبها. هذا، ومن العلماء من قال: إن أيوب غ لما أصيب بالضر في بدنه والفقر في ماله ازداد الشيطان في وسوسته له، وقال: لو كنت نبياً ما حلّ بك الذي حلّ وما أصابك الذي أصابك، والله أعلم.



س: وضح معنى قوله: (أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مَغْسَلُ يَارِدٍ وَشَرَابٌ ٤٢).

ج: المعنى - والله أعلم - : اضرب يا أيوب - إذ سألت ربك ٥ كشف الضر عنك - اضرب برجلك الأرض، فضربها برجله فتفجرت الأرض

(وقيل: تفجرت منها عينان)، فقال الله له: (هَذَا مُغْتَسَلٌ) أي: ماءٌ للغسل قد تفجر فاغتسل به، (وَشَرَبٌ) (٤٢) أي: واشرب منه يذهب الله به عنك الداء.

قال الطبري \$:

وقوله: (أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ) ومعنى الكلام: إذ نادى ربه مستغيثاً به أني مسني الشيطان ببلاء في جسدي وعذاب بذهاب مالي وولدي فاستجبنا له وقلنا له: اركض برجلك الأرض: أي: حركها وادفعها برجلك والركض: حركة الرجل يقال منه: ركضت الدابة ولا تركض ثوبك برجلك.

وقوله: (هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) (٤٢) ذكر أنه نبعت له حين ضرب برجله الأرض عينان؛ فشرب من إحداها وَاغْتَسَلَ مِنَ الْآخَرَى.

وعنى بقوله: (مُغْتَسَلٌ): ما يغتسل به من الماء، يقال منه: هذا مغتسل، وغسول للذي يغتسل به من الماء. وقوله: (وَشَرَابٌ) (٤٢) يعني: ويشرب منه، والموضع الذي يغتسل فيه يسمى مغتسلاً.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال: ضرب برجله الأرض فإذا عينان تنبعان فشرب من إحداها وَاغْتَسَلَ مِنَ الْآخَرَى.

هذا، وقد أخرج البخاري وأحمد من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا خَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْتِى فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَى رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنِيكَ عَمَّا تَرَى قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ» (١).



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولَى

(١) أحمد (٣١٤/٢)، والبخاري (٢٧٨، ٣٤٠٤، ٤٧٩٩).

الْأَلْبَبِ (٤٣).

ج: المعنى - والله أعلم -: ورددنا لأيوب غ أهله الذين كانوا قد فرُّوا منه ونفروا عنه بسبب فقره ومرضه، ومعلوم أن زوجته كانت وفيه له، ورزقناه بأهلٍ آخرين مثلهم رافَّةً منا به وتذكراً لأصحاب العقول النيرة الرشيدة كي يعلموا أن الذي يكشف الضرَّ ويجيب المضطر ويعافي بعد سقم هو الله ٥.

كذا كي لا ييأس من رحمة الله يائس، ولا يقنط منها قانط، والله أعلم. هذا، ومن العلماء في قوله: (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) قال: فأحياهم الله بأعيانهم وزادهم مثلهم، أورد ذلك الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة والحسن (يعني البصري) - رحمهما الله.

وقال الحافظ ابن كثير:

وقوله: (رَحْمَةً مِنَّا) أي: به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته (وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَبِ (٤٣)) أي: لذوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرَجُ والمخرجُ والراحة.



س: وضع معنى قوله تعالى: (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ، وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا

نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)).

ج: المعنى - والله أعلم -: أن الله ٥ خَفَّفَ عن أيوب غ وعن أهله؛ إذ كان قد أقسم أن يضرب امرأته مائة جلدة فأمر أن يأخذ حزمة بها مائة عود مجتمعة فيضرب زوجته بها ضربة واحدة ويكون قد برَّ في يمينه ولم يقع في الحنث، أي: في إثم عدم الوفاء باليمين.

وبَيَّن ربنا - سبحانه وتعالى- سبب هذا الترخيص لأيوب غ بقوله: (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا) عند البلاء الذي ابتليناه به (نَعَمْ أَلْعَبُّ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾) أي: رجَّاع مستغفر.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

وقوله: (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) يقول: وقلنا لأيوب: خذ بيدك ضغثًا، وهو ما يجمع من شيء مثل حزمة الرطبة، وكملء الكف من الشجر أو الحشيش والشماريخ ونحو ذلك مما قام على ساق.

وأورد الطبري بإسناد حسنٍ عن قتادة: (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا...) الآية، قال: كانت امرأته قد عرضت له بأمر، وأرادها إبليس على شيء، فقال: لو تكلمت بكذا وكذا، وإنما حملها عليها الجزع، فحلف نبي الله: لئن الله شفاه ليجلدنها مائة جلدة؛ قال: فأمر بغصن فيه تسعة وتسعون قضيبًا، والأصل تكلمة المائة، فضربها ضربة واحدة، فأبر نبي الله، وخفف الله عن أمته، والله رحيم.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرِبْ بِهِ. وَلَا تَحْنَثْ) قال: ضغثًا واحدًا من الكلا فيه أكثر من مائة عود، فضرب به ضربة واحدة، فذلك مائة ضربة.

وقوله: (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمْ أَلْعَبُّ) يقول: إنا وجدنا أيوب صابرًا على البلاء، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله، والدخول في معصيته (نَعَمْ أَلْعَبُّ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾) يقول: إنه إلى طاعة الله مقبل، وإلى رضاه رجَّاع.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: (وَخُذْ بِدِرْكٍ ضِعْفًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْتَسِبْ) وذلك أن أيوب غ كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته. قيل: باعت صغيرتها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله ليضربنها مائة جلدة. وقيل: لغير ذلك من الأسباب. فلما شفاه الله وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب فأفتاه الله ٥ أن يأخذ ضغثًا - وهو: الشِّمْرَاخ - فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برّت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأناب إليه ولهذا قال تعالى: (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ ۖ أَوَّابٌ ۝٤٤) أثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه (نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ ۖ أَوَّابٌ ۝٤٤) أي: رجّاع منيب ولهذا قال تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسَبُ)

[الطلاق: ٢-٣].

وقد استدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل في الإيمان وغيرها وأخذوها بمقتضاها.

وأورد القرطبي رحمه الله تعالى أقوالاً لا أعلم لها مستنداً، فقال:

كان أيوب حلف في مرضه أن يضرب امرأته مائة جلدة وفي سبب ذلك

أربعة أقوال: أحدها: ما حكاه ابن عباس أن إبليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة أيوب فقال: أدأويه على أنه إذا برئ قال: أنت شفيتني لا أريد جزاء سواه قال: نعم! فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها وقال: ويحك ذلك الشيطان. الثاني: ما حكاه سعيد بن المسيب أنها جاءت به بزيادة على ما كانت تأتيه من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها. الثالث: ما حكاه يحيى ابن سلام وغيره: أن الشيطان أغواها أن تحمل

أيوب على أن يذبح سحلة تقرباً إليه وأنه يبرأ فذكرت ذلك له فحلف
ليضربنها إن عوفي مائة. والرابع قيل: باعت ذوائبها برغيفين؛ إذ لم تجد
شيئاً تحمله إلى أيوب وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام فلهذا حلف
ليضربنها، فلما شفاه الله، أمره أن يأخذ ضغثاً فيضرب به فأخذ شماريخ
قدر مائة فضربها ضربة واحدة.



ذكر طائفة من الأنبياء و

(وَذَكَرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَادَّكُرْ إسماعيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلُّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَّآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرِاتُ الطَّرْفِ أَنْزَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرْزُقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾)

[ص: ٤٥-٤٤]

س: وضع معنى ما يلي:

(أُولَى الْأَيْدَى - وَالْأَبْصَرِ - أَخْلَصَتْهُمْ - بِخَالِصَةٍ - ذَكَرَى الدَّارِ - الْمُصْطَفَيْنَ - الْأَخْيَارِ - هَذَا ذِكْرٌ - جَنَّتِ عَدْنٍ - مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا - يَدْعُونَ - قَصَصْتُ الطَّرْفِ - أَنْزَابٌ - لِيَوْمِ الْحِسَابِ - تَفَادٍ).

ج:

الكلمة	معناها
(أُولَى الْأَيْدَى)	أولي القوة - الأقوياء
(وَالْأَبْصَرِ)	جمع بصيرة، وهي الفهم والفقه في الدين والعلم
(أَخْلَصَتْهُمْ)	مَيَّزَنَاهُمْ - اختصصناهم
(بِخَالِصَةٍ)	بميزة - بخاصية
(ذَكَرَى الدَّارِ)	تذكر الدار الآخرة - تذكر يوم القيامة
(الْمُصْطَفَيْنَ)	المجتبين المختارين
(الْأَخْيَارِ)	جمع خير، وهو الفاضل الذي يصدر منه فعل الخير دومًا وقيل: الأخيار المختارون للنبوة
(هَذَا ذِكْرٌ)	هذا ثناء حسن - هذا تذكير - هذا شرف
(جَنَّتِ عَدْنٍ)	بساتين إقامة
(مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا)	الاتكاء: الميل بأحد الشقين على الآخر وقيل: الاتكاء: التربع
(يَدْعُونَ)	يطلبون - يسألون فيجابون
(قَصَصْتُ الطَّرْفِ)	غاضات البصر إلا على الأزواج لا ينظرن إلا إلى الأنماح
(أَنْزَابٌ)	في سنٍّ واحدة - متماثلات في الحسن

يوم القيامة	(لِيَوْمِ الْحِسَابِ)
انقطاع	(نَقَادٍ)



س: وضح معنى قوله تعالى: (وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى

وَالْأَبْصَرِ ٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ٤٧).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - : واذكر يا رسول الله - عليك صلاة الله، في نفسك ولقومك ولمن أرسلت إليهم هؤلاء العباد الصالحين الأنبياء الأتقياء إبراهيم خليل الرحمن، وولده إسحاق غ، ويعقوب حفيد إبراهيم، وابن إسحاق - عليهم جميعاً السلام-، هؤلاء الأنبياء الأقوياء؛ العلماء أقوياء في أبدانهم ذوو بصائر في قلوبهم، وذوو علم وفقه، لقد ميزناهم بميزة ألا وهي كثرة تذكركم للدار الآخرة، وكثرة استحضارهم لها فتذكركم لها يحملهم على العمل الصالح وملازمة التقوى، وكذا فهم يُكثرون من تذكير الناس بالآخرة.

ثم إنهم عند الله ٥ ممن اصطفاهم الله ٥ واجتباهم على سائر خلقه. إنهم عند الله معدودون في أهل الخير بل وأفاضل الخيرين المختارين الذين يصدر منهم دوماً الخير، والله أعلم.

هذا، وللعلماء أقوالٌ آخر في تفسير قوله تعالى: (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ٤٦) تتضح مما أسوقه من كلام أهل العلم رحمهم الله.

قال الطبري \$:

وقوله: (أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرِ ٤٥) ويعني بالأيدي: القوة، يقول: أهل القوة على عبادة الله وطاعته. ويعني بالأبصار: أنهم أهل أبصار القلوب، يعني

به: أولي العقول للحق.

وقوله ٥: (إِنَّا أَخْلَصْنَهُمْ بِخَالِصَةٍ) يقول تعالى ذكره: إنا خصصناهم بخالصة: ذكر الدار.

واختلف القراء في قراءة قوله: (بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾) فقرأته عامة قراء المدينة: (بخالصة ذكري الدار) بإضافة خالصة إلى ذكرى الدار، بمعنى: أنهم أخلصوا بخالصة الذكرى، والذكرى إذا قرئ كذلك غير الخالصة، كما المتكبر إذا قرئ: (على كل قلب متكبر) بإضافة القلب إلى المتكبر، هو الذي له القلب وليس بالقلب. وقرأ ذلك عامة قراء العراق: (بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾) بتنوين قوله: (بِخَالِصَةٍ) ورد ذكرى عليها، على أن الدار هي الخالصة، فردوا الذكر وهي معرفة على خالصة، وهي نكرة، كما قيل: لشر مآب: جهنم، فرد جهنم وهي معرفة على المآب وهي نكرة. والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: إنا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار: أي: أنهم كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة، ويدعونهم إلى طاعة الله، والعمل للدَّار الآخرة.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (إِنَّا أَخْلَصْنَهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾) قال: بهذه أخلصهم الله، كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله.

وقال آخرون: معنى ذلك أنه أخلصهم بعملهم للآخرة وذكرهم لها.

وأورد بإسناد يُحَسِّن عن السدي: (إِنَّا أَخْلَصْنَهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾) قال: بذكرهم الدار الآخرة، وعملهم للآخرة.

وقال آخرون: معنى ذلك: إنا أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة؛ وهذا التأويل على قراءة من قرأه بالإضافة. وأما القولان الأولان فعلى تأويل قراءة من قرأه بالتثنية.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾) قال: بأفضل ما في الآخرة أخلصناهم به، وأعطيناهم إياه؛ قال: والدار: الجنة، وقرأ: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ) [القصص: ٨٣]، قال: الجنة، وقرأ: (وَلَنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾) [النحل: ٣٠]، قال: هذا كله الجنة، وقال: أخلصناهم بخير الآخرة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: خالصة عقبي الدار.

قال: وقال آخرون: بل معنى ذلك بخالصة أهل الدار.

قال الطبري \$:

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يتأول ذلك على القراءة بالتثنية (بِخَالِصَةٍ) عمل في ذكر الآخرة.

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك على قراءة من قرأه بالتثنية أن يقال:

معناه: إنا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار الآخرة، فعملوا لها في الدنيا، فأتوا الله وراقبوه؛ وقد يدخل في وصفهم بذلك أن يكون من صفتهم أيضًا الدعاء إلى الله وإلى الدار الآخرة؛ لأن ذلك من طاعة الله، والعمل للدار الآخرة، غير أن معنى الكلمة ما ذكرت. وأما على قراءة من قرأه بالإضافة، فأن يقال: معناه: إنا أخلصناهم بخالصة ما ذكر في الدار الآخرة؛ فلما لم تذكر (في) أضيفت الذكرى إلى الدار كما قد بينا قبل في معنى قوله: (لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ) [فصلت: ٤٩]، وقوله: (سُؤَالِ نَعْيِكَ إِلَيْنَا)

نَعَايِهِ (ص: ٢٤).

وقوله: (وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾) يقول: وإن هؤلاء الذين ذكرنا عندنا لمن الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة الأخيار، الذين اخترناهم لطاعتنا ورسالتنا إلى خلقنا.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى مخبراً عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين:

(وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ﴿٤٥﴾) يعني بذلك: العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة.

وقال القرطبي \$:

(أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ﴿٤٥﴾) قال النحاس: أما (وَالْأَبْصَرِ ﴿٤٥﴾) فمتفق على تأويلها أنه البصائر في الدين والعلم وأما (أُولَى الْأَيْدِي) فمختلف في تأويلها فأهل التفسير يقولون: إنها القوة في الدين وقوم يقولون: (أُولَى الْأَيْدِي) جمع يد وهي النعمة أي: هم أصحاب النعم أي: الذين أنعم الله عز و جل عليهم وقيل: هم أصحاب النعم والإحسان؛ لأنهم قد أحسنوا وقدموا خيراً وهذا اختيار الطبري (وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ) أي: الذين اصطفاهم من الأنداس واختارهم لرسالته ومصطفين جمع مصطفى والأصل مصطفى وقد مضى في (البقرة) عند قوله: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ) [البقرة: ١٣٢] و(الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾) جمع خير.

وقال \$:

والدار يجوز أن يراد بها الدنيا أي: ليتذكروا الدنيا ويزهدوا فيها ولتخلص لهم بالثناء الحسن عليهم كما قال تعالى: (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ

عَلَيْهَا ﴿٥٠﴾ [مريم: ٥٠]، ويجوز أن يراد بها الدار الآخرة وتذكير الخلق بها ومن أضاف خالصة إلى الدار فهي مصدر بمعنى الإخلاص والتذكرى مفعول به أضيف إليه المصدر أي: بإخلاصهم ذكرى الدار ويجوز أن يكون المصدر مضافاً إلى الفاعل والخالصة مصدر بمعنى الخلوص أي: بأن خلصت لهم ذكرى الدار وهي الدار الآخرة أو الدنيا على ما تقدم.



ذكر بعض ما في الجنان

س: وضع معنى قوله تعالى: (وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عِدْنٍ مِّنْ مَّثَلٍ هُمْ فِيهَا مُتَّكِئِينَ ﴿٥٠﴾ فِيهَا يَنفَكُهَا كَثِيرٌ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْكَافِرِ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: واذكر يا رسول الله في نفسك ولأمتك أنبياء الله الكرام إسماعيل غ صادق الوعد، واليسع غ، وذا الكفل غ، اذكر هؤلاء الأفاضل واقتد بهم في صبرهم وتحملهم فهؤلاء ممن اختارهم الله ٥ للنبوّة وأكرمهم بها، فليكن ذكرهم منك على بالٍ، أما إسماعيل غ فله ذكر موسع في القرآن، وسيأتي الحديث عنه في بابہ إن شاء الله، أما اليسع وذا الكفل فليست لهم قصص في الكتاب العزيز ولا في السنة فيما علمت.

أما قوله تعالى: (هَذَا ذِكْرٌ)، فقيل: المراد هذا القرآن ذكر لك ولقومك بمعنى تذكير لك ولقومك، وقيل: شرف لك؛ إذ أنزل عليك وشرف لقومك، وقيل: هذا ذكر حسن وثناء جميل على هؤلاء الأنبياء الصالحين، (وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾) أي: ولمن اتقوا ربهم وخافوه ولم يشركوا به شيئاً

وأدوا ما افترضه عليهم واجتنبوا ما نهاهم عنه لحسن مرجع ومصير، أي: لمرجع حسن ومصير حسن يوم القيامة، ثم بيان هذا المصير الحسن ألا وهو (جَنَّتِ عَدْنٍ) بساتين إقامة (مُفَنِّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابَ) ﴿٥٠﴾ أبوابها مفتحة لهم، وقيل: تفتح لهم بالأمر (بالكلام) ليس باللمس (مُتَكِّينَ فِيهَا) أي: متكئين في هذه الجنات يجلسون جلسة المتكئ، وهو المائل بأحد الشقين، وقيل: الاتكاء التربع، أي: جلسة المتربع، متكئين فيها على الآرائك، على السُّرر في الحبال، متكئين على سرر مصفوفة، يقابل بعضهم بعضاً (يَدْعُونَ فِيهَا) يطلبون في هذه الجنات فاكهة كثيرة وشراب كثير ومهما طلبوا وجدوا، ومهما طلبوا أُجيبوا إلى طلبهم، فهم متلذذون بما هم فيه من النعيم، لا يُرد لهم طلب، وفضلاً عن ذلك فعندهم (قَصِيرَتُ الْأَطْرَفِ) الحسنات اللواتي غرضن أبصارهن وقصرنها على الأزواج فقط، فلا ينظرن لرجلٍ إلا لأزواجهن (أَنْزَابُ) ﴿٥٢﴾ في سنٍّ واحدة متساويات في الحسن والشباب والجمال، ويُقال لهم هناك: (هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ) ﴿٥٣﴾ أي: هذا هو الجزاء الذي وعدناكم به في الدنيا أننا سنجازيكم به يوم القيامة، إن هذا لرزقنا الذي رزقناكم إياه وفضلنا عليكم (مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) ﴿٥٤﴾ ليس له انقطاع ولا تحول ولا زوال.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري \$:

القول في تأويل قوله تعالى: (وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَاسَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ

﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَكَابٍ ﴿٤٩﴾).

يقول تعالى ذكره لنبيه □: واذكر يا محمد إسماعيل وإلياس وذا

الكفل، وما أبلوا في طاعة الله، فتأس بهم، واسلك منهاجهم في الصبر على ما نالك في الله، والنفاذ لبلاغ رسالته. وقد بينّا قبل من أخبار إسماعيل واليسع وذا الكفل فيما مضى من كتابنا هذا ما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع. والكفل في كلام العرب: الحظ والجد.

وقوله: (هَذَا ذِكْرٌ) يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد ذكر لك ولقومك، ذكرناك وإياهم به.

وقوله: (وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾) يقول: وإن للمتقين الذين اتقوا الله خفافه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، لحسن مرجع يرجعون إليه في الآخرة، ومصير يصيرون إليه. ثم أخبر تعالى ذكره عن ذلك الذي وعده من حسن المآب ما هو، فقال: (جَنَّتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾).

القول في تأويل قوله تعالى: (جَنَّتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَنَكِهِةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾).

قوله تعالى ذكره: (جَنَّتٍ عَدْنٍ): بيان عن حسن المآب، وترجمة عنه، ومعناه: بساتين إقامة.

وقوله: (مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾) يعني: مفتحة لهم أبوابها؛ وأدخلت الألف واللام في الأبواب بدلا من الإضافة، كما قيل: (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾) [النازعات: ٤١] بمعنى: هي مأواه.

وقال \$:

فإن قال لنا قائل: وما في قوله: (مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾) من فائدة خبر حتى ذكر ذلك؟ قيل: فإن الفائدة في ذلك إخبار الله تعالى عنها أن أبوابها تفتح لهم بغير فتح سكانها إياها، بمعاناة بيد ولا جارحة، ولكن بالأمر فيما ذكر.

وقوله: (مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾) يقول: متكئين في جنات عدن، على سرر يدعون فيها بفاكهة، يعني بثمار من ثمار الجنة كثيرة، وشراب من شرابها.

القول في تأويل قوله تعالى: (﴿٥٢﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الْأَطْرَافِ أَرْزَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾).

يقول تعالى ذكره: عند هؤلاء المتقين الذين أكرمهم الله بما وصف في هذه الآية من إسكانهم جنات عدن (قَصِيرَتُ الْأَطْرَافِ) يعني: نساء قصرن أطرافهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم، ولا يمددن أعينهن إلى سواهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: (﴿٥٢﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَتُ الْأَطْرَافِ) قال: قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم.

ونحوه عن السدي: (قَصِيرَتُ الْأَطْرَافِ) قال: قصرن أبصارهن وقلوبهن وأسماعهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم.

وقوله: (أَرْزَابٌ ﴿٥٢﴾) يعني: أسنان واحدة.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: (أَرْزَابٌ ﴿٥٢﴾) سُنٌّ واحدة.

ونحوه عن السدي: (أَرْزَابٌ ﴿٥٢﴾) قال: مستويات. قال: وقال بعضهم: متواخيات، لا يتباغضن، ولا يتعادين، ولا يتغايرن، ولا يتحاسدن.

وقوله: (هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾) يقول تعالى ذكره: هذا الذي يعدكم الله في الدنيا أيها المؤمنون به من الكرامة لمن أدخله الله الجنة منكم في الآخرة.

وأورد بإسناد حسن عن السدي: (هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾) قال: هو

في الدنيا ليوم القيامة.

وقوله: (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾) يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في جنات عدن من الفاكهة الكثيرة والشراب، والقاصرات الطرف، ومكانهم فيها من الوصول إلى اللذات وما اشتتهته فيها أنفسهم لرزقنا، رزقناهم فيها كرامة منا لهم (مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾) يقول: ليس له عنهم انقطاع ولا له فناء، وذلك أنهم كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها، فأكلوها، عادت مكانها أخرى مثلها، فذلك لهم دائم أبداً، لا ينقطع انقطاع ما كان أهل الدنيا أوتوه في الدنيا، فانقطع بالفناء، ونفذ بالإنفاذ.

وأورد بإسناد يُحسن عن السدي قال: رزق الجنة كلما أخذ منه شيء، عاد مثله مكانه ورزق الدنيا ما له نفاد.

وبإسنادٍ حسن عن قتادة: (مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾): أي ما له انقطاع.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين السعداء أن لهم في الآخرة (لِحُسْنِ مَآبٍ) وهو: المرجع والمنقلب. ثم فسره بقوله: (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) أي: جنات إقامة مفتحة لهم الأبواب.

والألف واللام هنا بمعنى الإضافة كأنه يقول: (تُفْتَحُ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٥﴾) أي: إذا جاؤوها فتحت لهم أبوابها.

وقال \$:

وقوله: (مُتَرَبِّعِينَ فِيهَا) قيل: متربعين فيها على سرر تحت الحجال (يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ) أي: مهما طلبوا وجدوا وحضر كما أرادوا. (وَشَرَابٍ ﴿٥٦﴾)

أي: من أي أنواعه شأؤوا أُنْتَهَمَ به الخدام (يَا كَوَّابٍ وَابَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾)
[الواقعة: ١٨].

(وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ) أي: عن غير أزواجهن فلا يلتفتن إلى غير
بعولتهن (أَنْزَابُ ﴿٥٢﴾) أي: متساويات في السن والعمر. هذا معنى قول ابن
عباس، ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والسدي.
(هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾) أي: هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة التي
وعدها لعباده المتقين التي يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم
وسلامتهم من النار.

ثم أخبر عن الجنة أنه لا فراغ لها ولا انقضاء ولا زوال ولا انتهاء

فقال: (إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾) كقوله تعالى: (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴿٥٥﴾)
[النحل: ٩٦]، وكقوله: (عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ ﴿١٠٨﴾) [هود: ١٠٨]، وكقوله: (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ ﴿٨﴾) [فصلت: ٨]، أي: غير مقطوع وكقوله: (أَكُلُوا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ
عُقْبَى الَّذِينَ أَتَقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾) [الرعد: ٣٥]، والآيات في هذا كثيرة
جداً.



ذكر بعض ما أعد للطغاة وأهل الشرك

قال الله تعالى:

(هَذَا وَإِلَى اللَّطِيفِينَ لَشَرِّ مَثَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَسَّرُ الْمُهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَنِحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَسَّرُ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ اتَّخَذْنَاهُمْ سَحَرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾)

[ص: ٥٥-٦٤]

س: اذكر معنى ما يلي:

(لِلظَّالِمِينَ - لَشَرِّ مَثَابٍ - يَصْلَوْنَهَا - فَيَسِّرُ لَهُمُ الْهَادُ - حَمِيمٌ - وَعَسَاقٌ - مِنْ شَكْلِهِ - أَزْوَاجٌ - فَوْجٌ - مُقَنَّنٌ مَعَكُمْ - لَا مَرْجَأَ - صَالُوا النَّارَ - قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا - فَيَسِّرُ الْفَرَارَ - عَذَابًا ضِعْفًا - سِحْرِيًّا - زَاغَتْ - تَخَاصُمُ).

ج:

الكلمة	معناها
(لِلظَّالِمِينَ)	للخارجين عن الطاعة - لمن تجاوز الحد في الظلم والطغيان
(لَشَرِّ مَثَابٍ)	شر مرجع ومصير - مرجع سيئ ومصير سيئ
(يَصْلَوْنَهَا)	يدخلونها مصلين بحرها
(فَيَسِّرُ لَهُمُ الْهَادُ)	بئس الفراش الذي يفترش (إذ كان الفراش من نار)
(حَمِيمٌ)	ماء بلغ أعلى درجات حرارته
(وَعَسَاقٌ)	بادر نزل إلى أقل درجات البرودة، وقيل: (مُنْتَن)
(مِنْ شَكْلِهِ)	على شاكلته - من لونه ونوعه - أشياء من هذا القبيل
(أَزْوَاجٌ)	أنصاف
(فَوْجٌ)	جماعة
(مُقَنَّنٌ مَعَكُمْ)	داخل معكم
(لَا مَرْجَأَ)	لا اتسعت به مداخلهم - لا اتسعت منازلهم في النار
(صَالُوا النَّارَ)	داخلوها وقد أحاطت بهم من كل جوانبهم
(قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا)	تسببتم لنا فيه بدعوتكم لنا إلى العصيان والكفر

بئس المكان الذي يُستقر فيه - بئس المنزل	(فَيْئَسَ الْفَرَارُ)
عذابًا مضاعفًا	(عَذَابًا مُّضَاعَفًا)
نسخر منهم ونستهزأ بهم - نسخرهم ونزلهم بالعمل	(سَخَرِيًّا)
مالت (فلم تعد تراهم) - عميت عنهم	(زَاغَتْ)
اختلاف وتلاعن وتباغض وتسابب	(تَخَاصُمَ)



س: وضع معنى قوله تعالى: (هَذَا وَلِكَ الْبَلَّغِينَ لَشَرِّ مَوَاقٍ) ٥٥ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا

فَيئَسَ لَهَا ٥٦ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ٥٧ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ٥٨) .

ج: المعنى - والله أعلم :- هذا الذي قد ذكرناه جزاء المتقين، أما الطاغون (وهم الذين تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان) بشركهم بالله وظلمهم للعباد، فله شر مرجع ومصير، لهم مصير سيئ ومرجع سيئ ألا وهو جهنم -والعياذ بالله - يدخلونها مصليين بحر ها يفترشونها وينامون عليها فلبئس الفراش الذي يفترش، وكذا فلبئس ما مهدوا به لأنفسهم، وإضافة إلى هذا الذي قد ذكر فليذوقوا طعامهم وشرابهم، فهذا (حَمِيمٌ) قد بلغ أعلى درجات حرارته، وهذا (وَعَسَاقُ ٥٧)، قد نزل إلى أدنى درجات البرودة، وقيل: معناه منتن، أما قوله: (وَأَخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ٥٨) فالمعنى - والله أعلم : وصنوف أخر من العذاب على هذه الشاكلة، شاكلة الشراب البارد شديد البرودة بعد الساخن شديد السخونة.

فصور من العذاب على هذه الشاكلة كالصعود الشديد في النار، ثم الهبوط الشديد فيها إلى غير ذلك.

وهذه بعض أقوال العلماء في تفسير الآيات.

قال الطبري \$:

يعني تعالى ذكره بقوله: (هَذَا): الذي وصفت لهؤلاء المتقين: ثم استأنف جل وعز الخبر عن الكافرين به الذين طغوا عليه وبغوا، فقال: (وَإِلَٰكٍ لِلطَّٰغِيْنَ) وهم الذين تمردوا على ربهم، فعصوا أمره مع إحسانه إليهم (شَرَّمَايَ) يقول: لشر مرجع ومصير يصيرون إليه في الآخرة بعد خروجهم من الدنيا.

وأورد بسند حسن عن السدي قال: (وَإِلَٰكٍ لِلطَّٰغِيْنَ شَرَّمَايَ) (٥٥) قال: لشر منقلب.

قال الطبري \$:

ثم بين تعالى ذكره: ما ذلك الذي إليه ينقلبون ويصيرون في الآخرة، فقال: (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) فترجم عن جهنم بقوله: (شَرَّمَايَ) (٥٥) ومعنى الكلام: إن للكافرين لشر مصير يصيرون إليه يوم القيامة؛ لأن مصيرهم إلى جهنم، وإليها منقلبهم بعد وفاتهم (فَنَسَّ إِلَٰهَهُ) (٥٦) يقول تعالى ذكره: فبئس الفراش الذي افترشوه لأنفسهم جهنم.

وقوله: (هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) (٥٧) يقول تعالى ذكره: هذا حميم، وهو الذي قد أغلي حتى انتهى حره، وغساق فليذوقوه؛ فالحميم مرفوع بهذا، وقوله: (فَلْيَذُوقُوهُ) معناه التأخير؛ لأن معنى الكلام ما ذكرت، وهو: هذا حميم وغساق فليذوقوه. وقد يتجه إلى أن يكون هذا مكتفياً بقوله فليذوقوه، ثم يبتدأ فيقال: حميم وغساق، بمعنى: منه حميم ومنه غساق.

كما قال الشاعر:

حتى إذا أضاء الصبح في غلس وغودر البقل ملوي ومحصول

وإذا وجه إلى هذا المعنى جاز في هذا النصب والرفع. النصب: على أن يضم قبلها لها ناصب، كم قال الشاعر:

زيادتنا نعمان لا تحرمننا تق الله فينا والكتاب تتلو

والرفع بالهاء في قوله: (فَلْيَذُوقُوهُ) كما يقال: الليل فبادروه، والليل فبادروه.

وأورد الطبري \$ في تفسير الغساق قولين:

أحدهما: إنه ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم.

والآخر: أنه البارد الذي لا يستطيع من برده.

قال الطبري \$:

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من صديدهم؛ لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغسوق، وإن كان للآخر وجه صحيح.

وقوله: (وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا) (٥٨) اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة (وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا) (٥٨) على التوحيد، بمعنى: هذا حميم وغساق فليذوقوه، وعذاب آخر من نحو الحميم ألوان وأنواع، كما يقال: لك عذاب من فلان: ضروب وأنواع؛ وقد يحتمل أن يكون مراداً بالأزواج الخبر عن الحميم والغساق، وآخر من شكله، وذلك ثلاثة، فقليل أزواج، يراد أن ينعت بالأزواج تلك الأشياء الثلاثة. وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين: (وأخر) على الجماع، وكأن من قرأ ذلك كذلك كان عنده لا يصلح أن يكون الأزواج وهي جمع نعتاً لواحد، فلذلك جمع آخر، لتكون الأزواج نعتاً لها؛ والعرب لا تمنع أن ينعت الاسم إذا كان

فعلاً بالكثير والقليل والاثنتين كما بينا، فتقول: عذاب فلان أنواع، ونوعان مختلفان.

وقال §:

وأما قوله: (من شكَّله) فإن معناه: من ضربه، ونحوه يقول الرجل للرجل: ما أنت من شكلي، بمعنى: ما أنت من ضربي بفتح الشين. وأما الشكل فإنه من المرأة ما علقت مما تتحسن به، وهو الدل أيضاً منها.

وأورد بسند صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) (٥٨) قال: من كل شكل ذلك العذاب الذي سمى الله، أزواج لم يسمها الله، قال: والشكل: الشبيه.

وقوله: (أَزْوَاجٌ) (٥٨) يعني: ألوان وأنواع.

وبسند صحيح عن الحسن في قوله: (وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) (٥٨) قال: ألوان من العذاب.

وقال ابن كثير §:

لما ذكر تعالى مآل السعداء ثنى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم فقال: (هَذَا وَابَتْ لِلظَّالِمِينَ) وهم: الخارجون عن طاعة الله المخالفون لرسول الله (شَرَّمَاءِ) (٥٥) أي: لسوء منقلب ومرجع. ثم فسره بقوله: (جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) أي: يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم (فِيئَسَ الْمُهَادُّ) (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ (٥٧) أما الحميم فهو: الحار الذي قد انتهى حرُّه وأما العَسَاق فهو: ضده، وهو البارد الذي لا يستطيع من شدة برده المؤلم ولهذا قال: (وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) (٥٨) أي: وأشياء من هذا القبيل،

الشيء وضده يعاقبون بها.

وأورد بإسناد ضعيف عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أن
دُلُّوا من غَسَّاق يَهْرَاق في الدنيا لَأَتُنَّتْ أَهْلُ الدُّنْيَا»^(١).

وقال الحسن البصري في قوله: (وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا) (٥٨) ألوان من
العذاب.

وقال غيره: كالزهرير والسموم وشرب الحميم وأكل الزقوم
والصعود والهوي إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة والمتضادة والجميع
مما يعذبون به ويهانون بسببه.



س: **وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ
إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ) (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَبُئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ
لَنَا هَذَا فَرِزْدَهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١)).**

ج: معناه - والله تعالى أعلم -: أنه يُقال لمن دخلوا النار واستقروا فيها
وأخذوا منازلهم منها، وهي عليهم ضيقة شديدة الضيق، هذه جماعة
أخرى تدخل عليكم يدفع بهم إلى النار معكم، فهم مدفعون دفعًا شديدًا،
فيقول أهل النار: لا مرحبًا بهؤلاء الداخلين لا اتسعت بهم المداخل ولا
اتسعت لهم المنازل، ضيق الله عليهم المنازل والمداخل إنهم داخلوا النار
مصلون بها، محيطة بهم من كل الجوانب، فيجيب الداخلون: بل أنتم لا
اتسعت لكم المنازل ولا المداخل، ضيق الله عليكم أشد وأشد، فأنتم الذين
تسببتم لنا في هذا بدعوتكم لنا إلى النار، وبإضلالكم لنا، فبئس المنزل

(١) أحمد (٢٨/٣ و ٨٣)، وغيره، وسنده ضعيف.

الذي نزلتموه وأنزلتمونا فيه، ما أسوأ هذا المقر والمستقر، ويستمر الداخلون المقتحمون في كلامهم ودعائهم، فيقولون: يا ربنا من تسبب لنا في هذه النار فزده عذاباً ضعفاً في النار، أي: أدقه عذاباً فوق العذاب، ونكلاً فوق النكال، وضيق فوق الضيق الذي هو فيه. وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري \$:

وقوله: (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ) يعني: تعالى ذكره بقوله: (هَذَا فَوْجٌ) هذه فرقة وجماعة مقتحمة معكم أيها الطاغون النار، وذلك دخول أمة من الأمم الكافرة بعد أمة؛ (لَا مَرْجَأَ لَهُمْ) وهذا خبر من الله عن قيل الطاغين الذين كانوا قد دخلوا النار قبل هذا الفوج المقتحم للفوج المقتحم فيها عليهم، لا مرجأ بهم، ولكن الكلام اتصل فصار كأنه قول واحد، كما قيل: (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) (١١٠) [الأعراف: ١١٠]، فاتصل قول فرعون بقول ملئه، وهذا كما قال تعالى ذكره مخبراً عن أهل النار: (كَلِمًا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا) [الأعراف: ٣٨].

ويعني بقولهم: (لَا مَرْجَأَ لَهُمْ) لا اتسعت بهم مداخلهم، كما قال أبو الأسود:

لا مرحب واديك غير مضيق

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ) في النار (لَا مَرْجَأَ لَهُمْ) إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنْتَ لَا مَرْجَأَ لَكُمْ... حتى بلغ: (فَيَسَّ الْقَرَارُ) (٦٠) قال: هؤلاء التابع يقولون للرؤوس.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَأَ لَهُمْ)

قال: الفوج: القوم الذين يدخلون فوجًا بعد فوج، وقرأ: (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا) التي كانت قبلها.

وقال الطبري \$:

وقوله: (إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾) يقول: إنهم واردو النار وداخلوها. (قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَاءَ لَكُمْ) يقول: قال الفوج الواردون جهنم على الطاغين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم لهم: بل أنتم أيها القوم لا مرجأ بكم: أي: لا اتسعت بكم أماكنكم، (أَنْتُمْ قَدْ مَشُوهْتُمْ لَنَا) يعنون: أنتم قدمتم لنا سكنى هذا المكان، وصلي النار بإضلالكم إيانا، ودعائكم لنا إلى الكفر بالله، وتكذيب رسله، حتى ضللنا باتباعكم، فاستوجبنا سكنى جهنم اليوم، فذلك تقديمهم لهم ما قدموا في الدنيا من عذاب الله لهم في الآخرة

(فَيَسَّرَ الْفَرَارَ ﴿٦٠﴾) يقول: فبئس المكان يستقر فيه جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: (قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ).

وهذا أيضًا قول الفوج المقتحم على الطاغين، وهم كانوا أتباع الطاغين في الدنيا، يقول جلّ ثناؤه: وقال الأتباع: (رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا) يعنون: من قدم لهم في الدنيا بدعائهم إلى العمل الذي يوجب لهم النار التي وردوها، وسكنى المنزل الذي سكنوه منها.

ويعنون بقولهم: (هَذَا): العذاب الذي وردناه (فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ) يقولون: فأضعف له العذاب في النار على العذاب الذي هو فيه فيها، وهذا أيضًا من دعاء الأتباع للمتبوعين.

وقال ابن كثير \$:

وقوله: (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾) هذا إخبار عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى: (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا) [الأعراف: ٣٨] يعني: بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية: (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ) أي: داخل معكم (لَا مَرْجَا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾) لأنهم من أهل جهنم (قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَا بِكُمْ) أي: فيقول لهم الداخلون: (بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَشِئْتُمْ لَنَا) أي: أنتم دعوتمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير (فَيَسِّرَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾) أي: فبئس المنزل والمستقر والمصير. (قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾) كما قال ٥: (قَالَتْ أُخْرَيْنَهُمْ لِأُولَئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُونَ) [الأعراف: ٣٨] أي: لكل منكم عذاب بحسبه.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: (هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ).

ج: المعنى - والله أعلم -: أنه يُقال لأهل النار الذين دخلوها وسبقوا إليها، وهي عليهم ضيقة وبهم مكتظة وملينة: هذا فوج داخلٌ معكم أي: وتزدادون ضيقاً إلى ما أنتم فيه من الضيق فيقابلون الفوج الداخل بقولهم: (لَا مَرْجَا بِهِمْ)، ضيقٌ الله عليهم كما سيضيقون علينا أكثر وأكثر، لا رحبت عليهم الأرض ولا اتسعت لهم المنازل.

وهذه صورة أخرى من صور العذاب للداخلين، وكتقريبٍ للقارئ، أقول إذا كان هناك قوم في الدنيا في سجن ضيقٍ فمن شدة ما هم فيه من

الضيق يفرحون إذا طرق الشرطي الباب وأخرج واحداً، وذلك لأنه سيترك مكانه فراغاً، فيفرحون بفتح الباب وخروج بعضهم، أما إذا فتح الشرطي الباب وأدخل عليهم أقواماً آخرين، فإنهم يتضايقون أشد الضيق، ويتألمون أشد الألم من شدة الزحام، ولكن قد ترى منهم مع ذلك من يُصبر الداخلين ويهون عليهم ويسرى عنهم كما قيل لبعض الأئمة لما أُدخل السجن في حق تكلم به: اصبر يا إمام فإنه سوط أو سوطان، ثم لا تدري بما يحدث لك، وستتحمل إن شاء الله، وسينفرج الأمر بإذن الله ونحو هذا الكلام، فمثل هذا الكلام يهون على الداخلين الجدد، أما إذا دخل الداخل ووجد مجرمين في استقباله يستقبلونه باللعن والسباب والشتم مع أنهم هم المتسببون له فيما حلَّ به، فهناك يزداد ألمًا إلى ألمه ونكدًا إلى نكده وبلاءً إلى بلائه.

وهذا الحال مع الفوج المقتحم للنار يدفع به لدخول النار فيرى من في النار في استقباله باللعنات والسباب والشتم وعدم الترحيب يقولون له: لا مرحبًا بك ولا اتسعت لك الأرض، ضيق الله عليك المنازل والمداخل، فهكذا يزداد همًا إلى همه وغمًا إلى غمه ونكدًا إلى نكده، والله أعلم.



س: في قوله: (اتَّخَذْتَهُمْ) قراءتان. وضحهما.

ج: القراءة الأولى: (اتَّخَذْتَهُمْ) بفتح الهمزة على الاستفهام.

والثانية: (اتخذناهم) بوصل الألف على الإخبار، أي: قد اتخذناهم سخرًا.

قال الطبري \$:

وقوله: (أَتَّخَذْنَهُمْ سَحَرِيًّا) اختلفت القراء في قراءته، فقرأته عامة قراء المدينة والشام وبعض قراء الكوفة: (أَتَّخَذْنَهُمْ سَحَرِيًّا) بفتح الألف من اتخذناهم، وقطعها على وجه الاستفهام، وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة، وبعض قراء مكة بوصل الألف من الأشرار: (اتخذناهم). وقد بينا فيما مضى قبل، أن كل استفهام كان بمعنى التعجب والتوبيخ، فإن العرب تستفهم فيه أحياناً، وتخرجه على وجه الخبر أحياناً.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالوصل على غير وجه الاستفهام، لتقدم الاستفهام قبل ذلك في قوله: (مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا) فيصير قوله: (اتخذناهم) بالخبر أولى وإن كان للاستفهام وجه مفهوم لما وصفت قبل من أنه بمعنى التعجب.

وإذ كان الصواب من القراءة في ذلك ما اخترنا لما وصفنا، فمعنى الكلام: وقال الطاغون: ما لنا لا نرى سلمان وبلاًاً وخباباً الذين كنا نعدهم في الدنيا أشراراً، اتخذناهم فيها سحرياً نهزأ بهم فيها معنا اليوم في النار؟



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله تعالى: (وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ

الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَهُمْ سَحَرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْبَصَرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾).

ج: أقول - وبالله تعالى التوفيق -: أن أهل النار لما استقروا فيها وأخذوا منازلهم فيها، فهم فيها يتضاغون ويتألمون، سألوا عن أقوام كانوا معهم في الدنيا، وكانوا في دنياهم يظنونهم سفهاء، يظنونهم أشراراً، يظنونهم ضاللاً، ويسخرون منهم ويُسخِّرونهم بالعمل ويذللونهم، كما كان

أبو جهل يفعل مع عمار وكما كان أمية يصنع مع بلال وغير هؤلاء، فقال هؤلاء الطغاة أبو جهل وأمие وغيرهم: أين عمار؟! أين بلال؟؟ أين هؤلاء الذين كانوا في الدنيا مُسخرين لنا - نستذلهم - ونسخر بهم؟ أين هم الآن؟

أهم معنا ولكننا لا نراهم؟ أبصارنا قد زاغت ومالت فلا تراهم؟! أم أنهم ليسوا معنا؟ فهذا وجه، وذلك مبني على أن الهمزة في قولهم: (أَتَّخَذْتَهُمْ) همزة قطع استفهامية، وعلى الوجه الآخر (اتَّخَذْنَاهُمْ سَخِرِيًّا) قد اتخذناهم في دنيانا محلاً للسخرية ومجالاً لها، أليسوا معنا أم أنهم معنا ولكن زاعت عنهم أبصارنا ومالت فنحن لا نراهم؟

ثم بعد ذلك يحدث التلاعن في النار بين أهلها، فيقول تعالى: (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾) أي: أن تخاصم أهل النار وتلاعنهم فيما بينهم واتهام بعضهم لبعض - كل ذلك حق وسيكون بلا ريب ولا شك. وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

وقال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: قال الطاغون الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه الآيات، وهم فيما ذكر أبو جهل والوليد بن المغيرة وذو وهما: (مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا) يقول: ما بالنا لا نرى معنا في النار رجالاً (كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾) يقول: كنا نعدهم في الدنيا من أشرارنا، وعنوا بذلك فيما ذكر صهيباً وخباباً وبلالاً وسلمان.

وقال \$:

وكان بعض أهل العلم بالعربية من أهل البصرة يقول: مَنْ كَسَرَ السِّينَ

من السخري، فإنه يريد به الهزء، يريد يسخر به، ومن ضمها فإنه يجعله من السخرة، يستسخرونهم: يستذلونهم، أزاغت عنهم أبصارنا وهم معنا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: (وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾) قال: فقدوا أهل الجنة (أَتَخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا) في الدنيا (أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾) وهم معنا في النار.

وقال \$:

وقوله: (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ) يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أخبرتكم أيها الناس من الخبر عن تراجع أهل النار، ولعن بعضهم بعضًا، ودعاء بعضهم على بعض في النار لحق يقين، فلا تشكوا في ذلك، ولكن استيقنوه تخاصم أهل النار.

وقوله: (تَخَاصُّمُ) ردُّ على قوله: (لَحَقٌّ) ومعنى الكلام: إن تخاصم أهل النار الذي أخبرتكم به لحق.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجه معنى قوله: (أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾) إلى: بل زاعت عنهم.

قال الحافظ ابن كثير \$:

(وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾) أَخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ (هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفقدون رجالًا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا: ما لنا لا نراهم معنا في النار؟ **قال مجاهد:** هذا قول أبي جهل يقول: مالي لا أرى بلالًا وعمارًا وصهيبًا وفلانًا وفلانًا. وهذا مثل ضرب، وإلا فكل الكفار هذا حالهم: يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم

يجدوهم فقالوا: (مَا لَنَا لَا نَرَى رَجُلًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ اتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا) أي: في الدنيا (أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْبَصَرُ ﴿٦٣﴾) يسلون أنفسهم بالمحال يقولون: أو لعلهم معنا في جهنم ولكن لم يقع بصرنا عليهم. فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات وهو قوله: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾) إلى قوله: (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾) [الأعراف: ٤٤ - ٤٩].

وقوله: (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾) أي: إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ولعن بعضهم لبعض لحق لا مرية فيه ولا شك.



تخاصم أهل النار

س: اذكر بعض صور تخاصم أهل النار.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾) [الشعراء: ٩٦ - ٩٩].

وقوله تعالى: (هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴿١٩﴾)، وقد نزلت في علي وحمزة وعبيدة، أمام عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وفيهم نزلت، وهم المتبارزون يوم بدر.

وقوله تعالى: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ

لَغَفْلَةٍ ﴿٢٩﴾ [يونس: ٢٨-٢٩].

أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ) فقرأ: (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ سَأَوْنَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾) [الشعراء: ٩٧-٩٨]، وقرأ: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) [يونس: ٢٨].. حتى بلغ: (إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَفْلَةٍ ﴿٢٩﴾) [يونس: ٢٩] قال: إن كنتم تعبدوننا كما تقولون إن كنا عن عبادتكم لغافلين، ما كنا نسمع ولا نبصر، قال: وهذه الأصنام، قال: هذه خصومة أهل النار، وقرأ: (وَصَدَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾) [الأنعام: ٢٤] قال: وضل عنهم يوم القيامة ما كانوا يفترون في الدنيا.



قال الله تعالى:

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنَّ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتُهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَخُذْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخَلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلِنُعَلِّمَنَّ بَاءَهُ، بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾) [ص: ٦٥-٨٨].

س: اذكر معنى ما يلي:

(مُنذِرٌ - الْعَفْرُ - نَبَأٌ - مُعْرِضُونَ - بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى - يَخْصِمُونَ - سَوَّيْتُهُ - فَعَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ - اسْتَكْبَرَ -
الْعَالِينَ - رَحِيمٌ - لَعَنَتِي - يَوْمَ الدِّينِ - فِعْرَنَكَ - لِأَعْوَنَهُمْ - الْمُحْلَصِينَ - الْمُتَكَلِّفِينَ - ذِكْرٌ - لِلْعَالَمِينَ -
نَبَأُهُ - حِينٍ).

ج:

معناها	الكلمة
مُحَذِّرٌ - مخوف - مُذَكِّرٌ	(مُنذِرٌ)
كثير المغفرة لعباده المؤمنين	(الْعَفْرُ)
خبر (والمراد بالنبا هنا القرآن)	(نَبَأٌ)
منصرفون	(مُعْرِضُونَ)
الملائكة في السماوات	(بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى)
يتجادلون	(يَخْصِمُونَ)
سَوَّيْتُ خَلْقَهُ وَعَدَلْتُ صَوْرَتَهُ	(سَوَّيْتُهُ)
فَجَرُوا لَهُ سَاجِدِينَ	(فَعَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)
تعاضم وتكبر وتمنع	(اسْتَكْبَرَ)
ذو علو وتكبر وارتفاع - تتعالى على ربك	(الْعَالِينَ)
مرجوم (مرجوم بالنجوم والشهب والكواكب) - مشتوم	(رَحِيمٌ)
طردي وإبعادي لك (من رحمتي ومن جنتي)	(لَعَنَتِي)
يوم القيامة	(يَوْمَ الدِّينِ)

بقدرك وبقهرك لمن خالفك وسلطانك وغلبتك من حرك	(فِعْرَتِكَ)
لأضلنهم ولأصرفنهم عن طريق الحق إلى الباطل	(لَاغْوَيْنَهُمْ)
الذين أخلصتهم أنت يا رب لعبادتك وطاعتك	(الْمُخْلِصِينَ)
الكاذبين - المتقولين - المتعمدين أن يزيّدوا وأن يأتوا بجديد	(الْمُكَلِّفِينَ)
تذكير	(ذِكْرٌ)
للإنس والجن	(لِلْعَالَمِينَ)
خبره - صدقه وتحققه - صدق ما قبله	(نَبَأُهُ)
وقلت (وقيل: إن ذلك تحقيق يوم بدر) وقيل: إنه يتحقق عند الموت وقيل: إنه يوم القيامة وقيل غير ذلك	(حِينَ)



إنما الله إله واحد

س: **وضح معنى:** (قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾).

ج: **قال الطبري \$ قولاً مفيداً في تفسيرها أو قال:**

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: (قُلْ) يا محمد لمشركي قومك. (إِنَّمَا أَنَا

مُنذِرٌ) لكم يا معشر قريش بين يدي عذاب شديد، أنذركم عذاب الله وسخطه

أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ بِهِ، فَاحْذَرُوهُ وَبَادِرُوا حُلُولَهُ بِكُمْ بِالتَّوْبَةِ (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾) يقول: وما من معبود تصلح له العبادة، وتتبغي له الربوبية، إلا الله الذي يدين له كل شيء، ويعبده كل خلق، الواحد الذي لا ينبغي أن يكون له في ملكه شريك، ولا ينبغي أن تكون له صاحبة، القهار لكل ما دونه بقدرته، رب السماوات والأرض، يقول: مالك السماوات والأرض وما بينهما من الخلق؛ يقول: فهذا الذي هذه صفته، هو الإله الذي لا إله سواه، لا الذي لا يملك شيئاً، ولا يضر، ولا ينفع. وقوله: (الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾) يقول: العزيز في نعمته من أهل الكفر به، المدعين معه إلهاً غيره، الغفار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم من كفره ومعاصيه، فأناب إلى الإيمان به، والطاعة له بالانتهاء إلى أمره ونهيهِ.

قال ابن كثير \$:

يقول تعالى أمراً رسوله □ أن يقول للكفار بالله المشركين به المكذبين

لرسوله: إنما أنا منذر لست كما تزعمون (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾) أي: هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه. (رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾) أي: هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه (الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾) أي: غفار مع عزته وعظمته.



س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾).

ج: قال بعض أهل العلم ما حاصله: قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين: إن هذا القرآن خبرٌ عظيم يخبر بأصدق الأخبار وينبئ بأصدق الأنبياء، ومع ذلك فأنتم عنه منصرفون لاهون.

ومن العلماء من قال: (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾) أي: إرسالي إليكم خبرٌ عظيم، ومع ذلك فأنتم معرضون عن إنذاري لكم. والقول الأول عليه أكثر العلماء.

قال الطبري §:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: (قُلْ) يا محمد لقومك المكذبيك فيما جئتهم به من عند الله من هذا القرآن، القائلين لك فيه: إن هذا إلا اختلاق (هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾) يقول: هذا القرآن خبر عظيم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السدي قال: قوله: (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾) قال: القرآن.

وقوله: (أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾) يقول: أنتم عنه منصرفون لا تعملون به، ولا تصدقون بما فيه من حجج الله وآياته.

وقال ابن كثير §:

(قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾) أي: خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال الله إياي إليكم (أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾) أي: غافلون.

قال مجاهد وشريح القاضي والسدي في قوله: (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾) يعني: القرآن.



س: في أي شيء كانت الملائكة تخاصم؟

ج: قال كثير من أهل العلم: في شأن خلق آدم غ؛ إذ قالوا لما قال الله لهم: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾) [البقرة: ٣٠].

وسياتي لذلك مزيدٌ إن شاء الله.



س: وضع المعنى الإجمالي لقوله: (مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْصِمُونَ ﴿٦٦﴾) إن يُوْحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾).

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: قل يا رسول الله لقومك ولمن بعثت فيهم: إنني كما تعلمون كنت أمياً، لا أقرأ ولا أكتب، ولم أتعلم عند أحدٍ من الناس، فأنتم تعرفونني، وما كان لي من علمٍ بما حدث من قبل في شأن إخبار الله ٥ ملائكته بأنه سيجعل في الأرض خليفة، وما كان لي من علمٍ بجواب الملائكة على ربهم، وما كان لي من علمٍ بقصة آدم وشأنه مع إبليس، ما كان لي من علمٍ بكل هذا إلا أن الله ٥ أوحى إليّ بذلك كله وإلا فقد كنتُ جاهلاً به.

هذا، وقوله تعالى: (إِذْ يَخْصِمُونَ ﴿٦٦﴾) مُفسرٌ بالذي جاء بعده، وهو قوله: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِيقُ بَشَرٍ مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾...) إلى آخر السورة.

وقوله: (إِنْ يُوْحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾) حاصل معناه: أن هذا العلم الذي أخبرني الله به أخبرني به؛ لأنني أنا نذير مبين، لست بشاعر ولا كاهن ولا كذاب ولا ساحر كما تدعون. وبنحو هذا قال عددٌ من العلماء.

قال الطبري \$:

وقوله: (مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى) يقول لنبيه محمد □: قل يا محمد لمشركي قومك: (مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْصِمُونَ ﴿٦٦﴾) في شأن آدم من قبل أن يوحى إليّ ربي فيعلمني ذلك، يقول: ففي إخباري لكم عن ذلك دليل

واضح على أن هذا القرآن وحي من الله وتنزيل من عنده؛ لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن، ولا هو مما شاهدته فعابنته، ولكني علمت ذلك بإخبار الله إياي به.

وأورد بإسناد حسن عن السدي: (بِأَمْرِ الْأَعْلَى إِذْ يُخَصِّمُونَ ﴿٧٦﴾) هو: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة: ٣٠].

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: (مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى) قال: هم الملائكة، كانت خصومتهم في شأن آدم حين قال ربك للملائكة: (إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرٌ مِّن طِينٍ ﴿٧٦﴾...) حتى بلغ (سَجِدِينَ ﴿٧٦﴾) وحين قال: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...) حتى بلغ (وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) [البقرة: ٣٠] ففي هذا اختصم الملائكة الأعلیٰ.

وقوله: (إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قريش: ما يوحى الله إليّ علم ما لا علم لي به، من نحو العلم بالملائكة الأعلیٰ واختصامهم في أمر آدم إذا أراد خلقه، إلا لأنني إنما أنا نذير مبين؛ (فإنما) على هذا التأويل في موضع خفض على قول من كان يرى أن مثل هذا الحرف الذي ذكرنا لا بد له من حرف خافض، فسواء إسقاط خافضه منه وإثباته. وإما على قول من رأى أن مثل هذا ينصب إذا أسقط منه الخافض، فإنه على مذهبه نصب، وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقد يتجه لهذا الكلام وجه آخر، وهو أن يكون معناه: ما يوحى الله إليّ إنذاركم. وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى، كانت (أنما) في موضع رفع؛ لأن الكلام يصير حينئذٍ بمعنى: ما يوحى إليّ إلا الإنذار.

وقال الطبري أيضًا:

قوله: (إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾) يقول: إلا أني نذير لكم، مبين لكم إلا إنذاركم. وقيل: إلا أنما أنا، ولم يقل: إلا أنما أنك، والخبر من محمد عن الله، لأن الوحي قول، فصار في معنى الحكاية، كما يقال في الكلام: أخبروني أني مسيء، وأخبروني أنك مسيء بمعنى واحد، كما قال الشاعر:

رجلان من ضبة أخبرانا أنا رأينا رجلا عريانا

بمعنى: أخبرانا أنهما رأيا، وجاز ذلك لأن الخبر أصله حكاية.

وقال الحافظ ابن كثير \$:

وقوله: (مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْصُمُونَ ﴿٦٩﴾) أي: لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملا الأعلى؟ يعني: في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له، ومحاботه ربه في تفضيله عليه.

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد^(١) حيث قال: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا جهضم اليمامي عن يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن أبي سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن يخامر عن معاذ ف، قال: احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نترأى قرن الشمس. فخرج رسول الله ﷺ سريعا فتَوَّب بالصلاة فصلّى وتَجَوَّز في صلاته فلما سلم قال: «كما أنتم على مصافكم». ثم أقبل إلينا فقال: «إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني

(١) المسند (٢٤٣/٥)، وأخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب: ومن سورة (ص) حديث (٣٢٣٥) عن محمد بن بشار عن معاذ بن هاني عن جهضم به.

قمت من الليل فصليت ما قُدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي في أحسن صورة فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملائكة؟ قلت: لا أدري رب -أعادها ثلاثاً- فرأيتُه وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال: يا محمد فيم يختصم الملائكة؟ قلت: في الكفارات. قال: وما الكفارات؟ قلت: نقل الأقدام إلى الجمعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات. قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام. قال: سل. قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة بقوم فتوقني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك». وقال رسول الله ﷺ: «إنها حق فادرسوها وتعلموها»، فهو حديث المنام المشهور ومن جعله يقظة فقد غلط وهو في السنن من طرق. وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله اليمامي به. وقال: حسن صحيح، وليس هذا الاختصاص هو الاختصاص المذكور في القرآن فإن هذا قد فسر وأما الاختصاص الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ...).

قلت (مصطفى): وهذا الحديث، وإن صحت له بعض الأسانيد لكنها أسانيد معلولة، والذي ظهر لي وبعد البحث في أسانيده أنه معلول ولا يثبت عن رسول الله ﷺ، مع علمي بأنه قد ألفت فيه كتب وصنفت فيه تصانيف، والله أعلم.



شيء من قصة خلق آدم غ وشأنه مع الملائكة

س: وضع معنى قوله تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾).

ج: هذه الآيات لها بعض التعلق بما قبلها، فالمعنى (مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٧١﴾) حين قال ربك للملائكة... إلى آخره.

وهذا إخبار بما قاله الله ٥ للملائكة قبل خلق آدم غ، أخبر الله ٥ ملائكته بأنه سيخلق آدم ويجعله خليفة في الأرض كما تقدم في قوله تعالى من سورة البقرة: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٢٠﴾)، وهنا قال سبحانه: (إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي) ضربت فيه الحياة بذلك، فخرُّوا له سجودًا، أي: أن الملائكة أُمروا بالسجود لآدم غ، وهذا السجود كان سجود تحية، كما سجد ليوسف غ أبواه وإخوته، ولكن ذلك نسخ في شريعتنا، فلما أمر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم غ سجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس فقد امتنع من السجود مستكبرًا متعاضًا على الأمر، فقد كان في علم الله من الكافرين، وإن كان قد أظهر خلاف ذلك.

وهنا قد يرد سؤال، وقد تقدم الجواب عليه بتفصيل في سورة البقرة، حاصله: هل إبليس من الملائكة؟ وتقدم بيان الخلاف في ذلك هنالك ورجحته أنه ليس من الملائكة، وإنما أمر بالسجود معهم تبعًا، ومن الدليل على أنه ليس من الملائكة قوله تعالى: (إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴿١٦﴾)

[الكهف: ٥٠]، وقوله: (خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ) **[ص: ٧٦]**، والملائكة إنما خلقوا من نور، وقد قال تعالى: (وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ) **[الرحمن: ١٥]**.

هذا، وقد قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسير الآيات التي وجه السؤال عن تأويلها:

وقوله: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ) من صلة قوله: (إِذْ يَخْتَصِمُونَ) **[٦٦]** وتأويل الكلام: ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون حين قال ربك يا محمد: (الْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ) **[٧١]** يعني: بذلك خلق آدم.

وقوله: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) يقول تعالى ذكره: فإذا سويت خلقه، وعدلت صورته، ونفخت فيه من روحي.

وقال في قوله:

(فَقَعُوا لَهُ سَجْدِينَ) **[٧٢]** يقول: فاسجدوا له وخرُوا له سجداً.

وقوله: (فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) **[٧٣]** يقول تعالى ذكره: فلما سوى الله خلق ذلك البشر، وهو آدم، ونفخ فيه من روحه، سجد له الملائكة كلهم أجمعون، يعني بذلك: الملائكة الذين هم في السماوات والأرض. (إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ) يقول: غير إبليس، فإنه لم يسجد، استكبر عن السجود له تعظماً وتكبراً.

(وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) **[٧٤]** يقول: وكان بتعظمه ذلك، وتكبره على ربه ومعصيته أمره، ممن كفر في علم الله السابق، فجحد ربوبيته، وأنكر ما عليه الإقرار له به من الإذعان بالطاعة.



س: وضح معنى قوله تعالى: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِدَيِّ^ط

أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاهْجُرْ
مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾.

ج: هذا - والله أعلم - معناه: أن الله سبحانه وتعالى سأل إبليس - عليه لعنة الله-، عن سبب امتناعه من السجود لآدم غ، فقال له: (أَسْتَكْبَرْتَ) أي: امتنعت مستكبراً على آدم غ متعاضماً عليه؟ (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ) على ربك سبحانه وتعالى، وكنت من قبل ذا علو وتكبر؟!

فحينئذ بين إبليس سبب امتناعه بقوله: (أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾) أي: أن الذي منعتني من السجود له كوني أفضل منه خلقت من نار، وخلق هو من طين، والنار أقوى من الطين وأفضل، كذا يرى إبليس، فحينئذ طرد إبليس من الجنة.

قال تعالى: (فَأَخْرَجَ مِنْهَا فِرْعَانَكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾) مرجوم مشتوم ملعون، وأيضاً مرجوم هو وذريته بالشهب والكواكب كما قال تعالى: (إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خُفِيَ الْخَطِيئَةُ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾) **[الصفافات: ٦- ١٠]**، وكما قال تعالى: (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ...) **[الملك: ٥]**.

أما قوله: (وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾) **[ص: ٧٨]**، فمعناه - والله أعلم -: وإنك مطرود من رحمتي إلى يوم الدين، ومطرود من الجنة إلى يوم القيامة.

قال الطبري \$:

يقول تعالى ذكره: (قَالَ) الله لإبليس، إذ لم يسجد لآدم، وخالف أمره:

(يَا إِبْلِيسُ مَا مََعَكَ أَنْ تَسْجُدَ) يقول: أي شيء منعك من السجود (لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ) يقول: لخلق يدي؛ يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عبيد المكتب قال: سمعت مجاهدًا يحدث عن ابن عمر، قال: خلق الله أربعة بيده: العرش، وعدن، والقلم، وآدم، ثم قال لكل شيء كن فكان.

وقال الطبري \$:

وقوله: (اسْتَكَبَرْتَ) يقول لإبليس: تعظمت عن السجود لآدم، فتركت السجود له استكبارًا عليه، ولم تكن من المتكبرين العالين قبل ذلك (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ) يقول: أم كنت كذلك من قبل ذا علو وتكبر على ربك (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ خَلْقِنِي مِنْ نَّارٍ) يقول جل ثناؤه: قال إبليس لربه: فعلت ذلك فلم أسجد للذي أمرتني بالسجود له؛ لأنني خير منه وكنت خيرًا؛ لأنك خلقتني من نار وخلقته من طين، والنار تأكل الطين وتحرقه، فالنار خير منه، يقول:

لم أفعل ذلك استكبارًا عليك، ولا لأنني كنت من العالين، ولكني فعلته من أجل أنني أشرف منه؛ وهذا تقرير من الله للمشركين الذين كفروا بمحمد ﷺ، وأبوا الانقياد له، واتباع ما جاءهم به من عند الله استكبارًا عن أن يكونوا تبعًا لرجل منهم حين قالوا: (أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْكِتَابَ مِنْ بَيْنِنَا) [ص: ٨]، (هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) [الأنبياء: ٣]، فقص عليهم تعالى ذكره قصة إبليس وإهلاكه باستكباره عن السجود لآدم بدعواه أنه خير منه، من أجل أنه خلق من نار، وخلق آدم من طين، حتى صار شيطانًا رجيمًا، وحققت عليه من الله لعنته، محذرهم بذلك أن يستحقوا باستكبارهم على محمد، وتكذيبهم إياه فيما جاءهم به من عند الله حسدًا، وتعظما من اللعن والسخط

ما استحقه إبليس بتكبره عن السجود لآدم.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: (قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَچِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾).

يقول تعالى ذكره لإبليس: (فَأَخْرِجْ مِنْهَا) يعني: من الجنة (فَإِنَّكَ رَچِيمٌ ﴿٧٧﴾) يقول: فإنك مرجوم بالقوم، مشتوم ملعون.

وقوله: (وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي) يقول: وإن لك طردي من الجنة (إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾) يعني: إلى يوم مجازاة العباد ومحاسبتهم.

وقال القرطبي \$:

قوله تعالى: (قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَّكَ) أي: صرفك وصدك (أَنْ تَسْجُدَ) أي: عن أن تسجد (لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ) أضاف خلقه إلى نفسه تكريماً له وإن كان خالق كل شيء وهذا كما أضاف إلى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد فخطب الناس بما يعرفونه في تعاملهم فإن الرئيس من المخلوقين لا يباشر شيئاً بيده إلا على سبيل الإعظام والتكرم فذكر اليد هنا بمعنى هذا.

قلت (مصطفى): وهذه الآية الكريمة (... لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ) من أوضح الأدلة على إثبات صفة اليدين لله ٥، ولكن مع مراعاة قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾) [الشورى: ١١].



س: وضح معنى قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾).

ج: الحاصل - والله أعلم -: أن إبليس لما أخبر بأن الله ٥ طرده من رحمته طلب من الله ٥ إمهاله وتأخيره فلا يقبضه إلى يوم القيامة، ولا يهلكه إلى يوم القيامة، فقال: (رَبِّ فَأَنْظِرْنِي) أخرني وأمهلني (إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٨﴾) وهو يوم القيامة، فأخذ وعدًا بذلك من الله ٥؛ إذ قال: (فَأَنْتَكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾) أي: من الممهلين المؤخرين المؤجلين إلى يوم القيامة، فحينئذٍ ولما يتيقن إبليس من أنه سيعيش إلى يوم البعث أقسم بعزة الله - بقدرة الله وسلطانه وشدة انتقامه ممن خالفه - (لَأُعْزِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾) لأصرفن عبادك عن طريق الطاعة إلى طريق المعصية، ومن طريق الإيمان إلى طريق الكفر إلا من اصطفيته أنت يا رب واخترته لعبادتك، فهذا لا سبيل لي عليه، كما قال تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾) [الحجر: ٤٢].

قال الطبري §:

(قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٨﴾) يقول تعالى ذكره: قال إبليس لربه: رب فإذ لعنتني، وأخرجتني من جنتك (فَأَنْظِرْنِي) يقول: فأخرنني في الأجل، ولا تهلكني (إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٨﴾) يقول: إلى يوم تبعث خلقك من قبورهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: (قَالَ فَأَنْتَكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ

الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فِعِزَّنَاكَ لِأَعْزِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾).

يقول تعالى ذكره: قال الله لإبليس: فإنك ممن أنظرته إلى يوم الوقت المعلوم، وذلك الوقت الذي جعله الله أجلاً لهلاكه. وقد بينت وقت ذلك فيما مضى على اختلاف أهل العلم فيه، وقال: (فِعِزَّنَاكَ لِأَعْزِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾) يقول تعالى ذكره: قال إبليس: فبعزتك: أي: بقدرتك وسلطانك وقهرك ما دونك من خلقك (لَأَعْزِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾) يقول: لأضلن بني آدم أجمعين (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ

الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ يقول: إلا من أخلصته منهم لعبادتك، وعصمته من إضلالي، فلم تجعل لي عليه سبيلاً فإني لا أقدر على إضلاله وإغوائه.

وقال القرطبي \$:

(قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٨﴾) أراد الملعون ألا يموت فلم يجب إلى ذلك وأخر إلى الوقت المعلوم وهو يوم يموت الخلق فيه فأخر إليه تهاونا به (الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾) لما طرده بسبب آدم

حاف
بعزة الله أن يضل بني آدم بتزيين الشهوات وإدخال الشبه عليهم فمعنى: (لَأُغْوِيَنَّهُمْ) لأستدعينهم إلى المعاصي وقد علم أنه لا يصل إلا إلى الوسوسة ولا يفسد إلا من كان لا يصلح لو لم يوسوسه ولهذا قال: (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾) أي الذين أخلصتهم لعبادتك وعصمتهم مني وقد مضى في (الحجر) بيانه.

هذا، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى مُجْمَلًا القول في الآيات

السابقة:

هذه القصة ذكرها الله تعالى في سورة (البقرة) وفي أول (الأعراف) وفي سورة (الحجر) و (سبحان) و (الكهف)، وها هنا وهي أن الله سبحانه أعلم الملائكة قبل خلق آدم غ بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمإ مسنون وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكرامًا وإعظامًا واحترامًا وامتنالًا لأمر الله ٥. فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسًا كان من الجن فخان طبعه وجبلته أحوج ما كان إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه ٥ فيه وادعى أنه خير من آدم

فإنه مخلوق من نار و آدم خُلِقَ من طين والنار خير من الطين في زعمه. وقد أخطأ في ذلك وخالف أمر الله، وكفر بذلك فأبعده الله وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه وسماه «إبليس» إعلامًا له بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذمومًا مدحورًا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأظهره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه. فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى وقال: (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٢) [إِلْعَادُكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ٨٣] كما قال: (أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ ۖ إِلَّا قَلِيلًا ٦٢) [الإسراء: ٦٢]، وهؤلاء هم المستثنون في الآية الأخرى وهي قوله تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ ۖ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ٦٥) [الإسراء: ٦٥].

س: وضح معنى قوله تعالى: (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ٨٤).

ج: أما الحق الثاني، وهو قوله: (وَالْحَقَّ أَقُولُ ٨٤) فمعناه عند الجماهير من العلماء، بل وبعضهم نفى الخلاف في قراءته وتفسيره، فهو بنصب الحق (وَالْحَقَّ)، ومعناه: وأقول الحق.

أما الحق الأول: وهو (فَالْحَقُّ) فالعلماء فيه قراءتان:

أحدهما: الحق بالضم، وله معانٍ حينئذٍ.

منها: الله الحق.

ومنها: أنا الحق.

ومنها: الحق مني.

الثاني: الحق (فيكون الحق الأول والحق الثاني منصوبتين) ومعناه:

الزموا الحق - اتبعوا الحق.

وما هي بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري \$:

اختلفت القراء في قراءة قوله: (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾) فقرأه بعض أهل الحجاز وعامة الكوفيين برفع الحق الأول، ونصب الثاني. وفي رفع الحق الأول إذا قرئ كذلك وجهان:

أحدهما: رفعه بضمير الله الحق، أو أنا الحق وأقول الحق.

والثاني: أن يكون مرفوعاً بتأويل قوله: (لَأَمْلَأَنَّ) فيكون معنى الكلام حينئذٍ: فالحق أن أملأ جهنم منك، كما يقول: عزمة صادقة لأتيناك، فرفع عزمة بتأويل لأتيناك؛ لأن تأويله أن أتيناك، كما قال: (ثُمَّ بَدَأَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتَهُ) [يوسف: ٣٥]، فلا بُد لقوله: (بَدَأَهُمْ) من مرفوع، وهو مضمَر في المعنى. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض المكيين والكوفيين بنصب الحق الأول والثاني كليهما، بمعنى: حقاً لأملأن جهنم والحق أقول، ثم أدخلت الألف واللام عليه، وهو منصوب؛ لأن دخولهما إذا كان كذلك معنى الكلام وخروجهما منه سواء، كما سواء قولهم: حمداً لله، والحمد لله عندهم إذا نصب. وقد يحتمل أن يكون نصبه على وجه الإغراء بمعنى: الزموا الحق، واتبعوا الحق، والأول أشبه لأنه خطاب من الله لإبليس بما هو فاعل به وبتباعه.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان

مستقيضتان في قراءة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، لصحة معنييهما.

وأما الحق الثاني، فلا اختلاف في نصبه بين قراء الأمصار كلهم،

بمعنى: وأقول الحق.



س: وضح معنى قوله تعالى: (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾).

ج: هذا قسم أقسمه الله وإخباراً أخبر الله به لأملأن جهنم منك يا إبليس ومن ذريتك ومن ممن تبعوكم من الجن والإنس.

قال ابن كثير \$:

قلت: وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى: (وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾) [السجدة: ١٣]. وكقوله تعالى: (قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾) [الإسراء: ٦٣].



س: وضح معنى قوله تعالى: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾) إِنَّهُوَ

إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾).

ج: المعنى - والله أعلم -: قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين لك المنكرين ما جئت به (وهو القرآن وما فيه من أخبار ووعد ووعد)، قل لهؤلاء: ما أسألكم على الإيمان بي وبهذا القرآن من أجر، وما أنا من متعمدي الاختلاق والكذب والإفك كما وصفتموني ووصفتكم الكتاب الذي معي؛ إذ قلتم: (إِنَّ هَذَا إِلَّا

أَخْلَقَ ﴿٧﴾) [ص: ٧]، وكما قلتم: (إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴿٨﴾) [الفرقان: ٤]، فاعلموا أن هذا القرآن: (وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ) [القلم: ٥٢]، تذكير للإنس والجن بما فيه من وعد ووعد وتذكير بالجنة والنار والثواب والعقاب،

وستعلمون (بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾) بعد وقت، صدق هذه الأخبار، وصدق ما فيه من وعدٍ ووعد.

هذا، وللعلماء أقوال في تفسير الحين هاهنا، وإن كانت للحين معاني أوسع وأكثر.

أما معاني الحين هاهنا فمنها: أنه وقت الموت، فعندها يتحقق للعبد صدق ما كان يُخبر به.

الثاني: أنه يوم القيامة.

وأورد بعض العلماء وجهًا آخر حاصله أنه يوم بدر، فقد تحقق لكثير منهم صدق ما أخبروا به.

أما من معاني الحين الآخر فمنها الصباح والمساء، قال تعالى: (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ) [الروم: ١٧-١٨]، ومنها فصول السنة: (صيف وشتاء...)، ومستندة قوله تعالى: (تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) [إبراهيم: ٢٥].

وتم أقوال آخر في هذا الباب.

وهذه أقوال بعض العلماء في الآيات المذكورة.

قال الطبري \$:

وقوله: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك، القائلين لك (أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا) [ص: ٧]: ما أسألكم على هذا الذكر وهو القرآن الذي أتيتكم به من عند الله أجرًا، يعني ثوابًا وجزاء (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾) يقول: وما أنا ممن يتكلف تخرصه وافتراءه، فتقولون: (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾) و (إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُنَا) [ص: ٧].

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾) قال: لا أسألكم على القرآن أجرًا تعطوني شيئًا، وما أنا من المتكلفين أتحرص وأتكلف ما لم يأمرني الله به.

وقال الطبري أيضًا في تأويل قوله تعالى: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلِتَعْلَمَنَّ نِبَاهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾).

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد □: قل لهؤلاء المشركين من قومك: (إِنْ هُوَ) يعني: ما هذا القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) يقول: إلا تذكير من الله (لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾) من الجن والإنس، ذكرهم ربهم إرادة استنقاذ من آمن به منهم من الهلكة. وقوله: (وَلِتَعْلَمَنَّ نِبَاهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾) يقول: ولتعلمن أيها المشركون بالله من قریش نبأه، يعني: نبأ هذا القرآن، وهو خبره، يعني حقيقة ما فيه من الوعد والوعيد بعد حين.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: (وَلِتَعْلَمَنَّ نِبَاهُ) قال: صدق هذا الحديث نبأ ما كذبوا به، قيل: (نِبَاهُ) حقيقة أمر محمد □ أنه نبي.

قال الطبري \$:

ثم اختلفوا في مدة الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع: ما هي، وما نهايتها؟ فقال بعضهم: نهايتها الموت.

وأورد عن قتادة بإسنادٍ حسن قوله: (وَلِتَعْلَمَنَّ نِبَاهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾)، أي: بعد الموت، وقال الحسن: يا ابن آدم! عند الموت يأتيك الخبر اليقين.

قال الطبري: وقال بعضهم: كانت نهايتها إلى يوم بدر.

وقال بعضهم: يوم القيامة.

وقال بعضهم: نهايتها القيامة.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيحٍ.

عن ابن زيد أيضاً في قوله: (وَلَعَلَّكُمْ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾) قال: يوم القيامة يعلمون نبأ ما كذبوا به بعد حين من الدنيا وهو يوم القيامة. وقرأ: (لَكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾) [الأنعام: ٦٧]، قال: وهذا أيضاً الآخرة يستقر فيها الحق، ويبطل الباطل.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أعلم المشركين المكذبين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين من غير حدٍّ منه لذلك الحين بحد، وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا إلى ظهور حقيقته، ووضوح صحته في الدنيا، ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه ببدر، وقبل ذلك، ولا حدٌّ عند العرب للحين، لا يجاوز ولا يقصر عنه. فإذا كان ذلك كذلك فلا قول فيه أصح من أن يطلق كما أطلقه الله من غير حصر ذلك على وقت دون وقت.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيحٍ عن عكرمة: سئلت عن رجل حلف أن لا يصنع كذا وكذا إلى حين، فقلت: إن من الحين حيناً لا يدرك، ومن الحين حين يدرك، فالحين الذي لا يدرك قوله: (وَلَعَلَّكُمْ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾) والحين الذي يدرك قوله: (تَوَقَّ أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبِّهَا) [إبراهيم: ٢٥]، وذلك من حين تصرم النخلة إلى حين تطلع، وذلك ستة أشهر.

وقال ابن كثير \$:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجراً تعطونيهِ من عرض الحياة الدنيا (وَمَا أَنَا بِمُكَلِّفٍ ﴿٨٦﴾) أي: وما أزيد على ما أرسلني الله به، ولا أبتغي زيادة عليه بل ما أمرت به

أدبته لا أزيد عليه ولا أنقص منه وإنما أبتغي بذلك وجه الله ٥ والدار الآخرة.

وأورد أثر عبد الله بن مسعود^(١) قال: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لا يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله قال لنبيكم □: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) (٨٦) أخرجاه من حديث الأعمش به.

تم بحمد الله.



(١) البخاري (٤٨٠٩)، ومسلم (٢٧٩٨).